تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم ديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤل :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوى :

فى الهند و پاكستان ست روبيات

فى الخارج مايعادلها عدا اجرة البريد

العدد الأول المجلد السادس

ذوالحجة سنة ١٣٨٩هـ

فبراير سنة ١٩٧٠م

محتويات هذا العدد

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٦ ربيات فى پاكستان إلى العنوان التالى :

الحاج شوكت على يو ، پى سوڈا فيكٹرى ناتهہ روڈ ـ لاهور .

ملحوظة : يرسل إيصاله إلينا بعد تحويل المبلغ على البريد

(و الله يضاعف لمن يشاء) فيزيده عـلى ذلك زيادة لا تقدر و لا تحصر : فذلك العدد لا مفهوم له ، و قيل يضاعف تلك المضاعفة التى ضرب لها المثل . (و الله واسع) فلا ينحصر فضله ، و لا يحـد عطاؤه ، (عليم) بمن يستحق المضاعفة من المخلصين الذين يهديهم اخلاصهم الى وضع النفقات فى مواضعها التى يكثر نفعها و تبقى فائدتها زمنا طويلا كالمنفقين فى خدمة الدين و اعلاء شأن الحق و تربية الامم على آداب الدين و فضائله التى تسوقهم الى سعادة المعاش و المعاد . حتى اذا ماظهرت آثار نفقاتهم النافعة فى قوة ملتهم و سعة انتشار دينهم ، و سعـادة افراد امتهم عاد عليهم من بركات ذلك ، و فوائده ما هو فوق ما انفقوا بدرجات لا يمكن حصرها .

و ان خدمة الدين ، و اعلاء شأن الحق و تربية الأمة تربية صالحة بناءة تختلف طرقها و دواعيها بحسب اختلاف الظروف و العصور ، و ان اية امة لا تعلو فى الارض و لا تسمو مكانتها بين الامم الا اذا استعد افرادها للانفاق فى سبيل مصالح الامة و تدعيم شانها بنشر العلوم و تاليف الجمعيات الخيرية و الدينية و غير ذلك من الاعمال التى تقوم بها المصالح العامة . فان نفقة كل فرد من الأفراد فى المصالح العامة هى التى تكون مسعدة للامة كلها من حيث ان مجموع النفقات التى بها تقوم المصالح ، تتكون مما يبذله الافراد . فلولا الجزئيات لم توجد الكليات ، و من حيث ان النـاس يقتـدى بعضهم ببعض بمقتضى الجبلة و الفطرة فكل من بذل شيئا فى سبيل الله كان اماما و قدوة لمن يبذل بعده

و ان لم يقصدوا الاقتداء به ، لان الناس يتأثر بعضهم بفعل بعض من حيث لا يشعرون ·

و الفضل الاكبر في هذه الأمة لمن يبدأ بالانفاق فى عمل نافع لم يسبق اليه ، اولئك هم واضعوا سنن الخير و الفائزون باكبر المضاعفة . لأن لهم اجورهم و مثل اجور من اقتدى بسنتهم ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من سن فى الاسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل اجر من عمل بها (١)

و امتنا الاسلامية فى اشد حاجة اليوم الى انماء هذه العاطفة و اذكاء شعلتها فى نفوس ابنائها حتى يتعودوا الانفاق فى سبيل الله . و ان سبيل الله لأوسع مجالا فى الوقت الحاضر ، فصرح هذه الأمة لا يعاد بناؤه و احكامه الا بالانفاق فى التعليم و التربية و الكفاح و اعداد ما يستطاع من قوه مادية و معنوية ، و الذين ينفقون فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا و لا اذى ، لهم اجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ·

---

(١) اخرجه مسلم فى صحيحه و ابو داؤد و الترمذى .
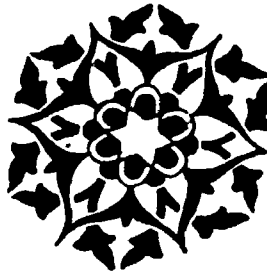
﴿ على قدر النعمة يعطى ﴾

روى أن امرأة سألت الليث بن سعد شيئا من عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له : انها كانت تقنع بأقل من هذا !! فقال : « انها سألت على قدر حاجتها - - و نحن نعطيها على قدر النعمة علينا » .

و قد قيل انه لم تجب على « الليث بن سعد » الزكاة مع أن دخله كان يبلغ فى اليوم الف دينار - - و ذلك لكثرة ما كان ينفقه ابتغاء مرضاة الله ، فقد كان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمأة و ستين مسكينا . و بذلك لا يحول الحول على النصاب الذى تجب فيه الزكاة !

افادات الإمام الشيخ محمد قاسم النانوتوى رح

(مؤسس دار العلوم بديوبند)

(معرب)

حول الآية : لا تنكحوا ازواجه من بعده أبداً .

قال الامام الشيخ رح في بيان علة حرمة نكاح ازواجه ﷺ بعد وفاته ان علاقة ازواجه به لم تنقطع بعد . فانه حى ، و حياته قائمة بجسده الأطهر الذى كان يملأ ابصار الناس فى هذا العالم نوراً ، و انما الموت عارض له ، و لا استحالة فى اجتماع الضدين اذا كان احدهما أصليا و آخرهما عارضا ، و انما المحال هو اجتماع الضدين المتساويين أصلا او عروضا ، و اذا كان الامر كذلك فلا يجوز نكاح ازواجه ﷺ كما يجوز نكاح الزوجات اللاتى مات ازواجهن و انقطعت علاقتهن بهم بعد مماتهم ، و تفصيل ذلك : ان الانبياء عليهم السلام ارواحهم [illegible]

علاقتها قائمة باجسادها كما كانت قبل الوفاة ، و هذا هـو السبب فى
بقاء اجسادهم سالمة من التمزق و التفتت كما صرح بذلك فى الأحاديث ،
و بناء على هذا التعلق الروحى و الجسدى القائم لا يجوز لأزواجه ﷺ
ان ينكحن بعده كما لا يجوز لزوجات الأحياء ان ينكحن احداً وازواجهن
احياء . و لهذا السبب لا يورث الأنبياء فان الوارثة لايتحقق معناهـا
الا بالتوفى والموت الذى هو عبارة عن انقطاع علاقة الروح من الجسد .
فلا تعارض بين قوله ﷺ : « لا نورث » و الآية : « يوصيكم الله فى
اولادكم الخ » و بين قوله تعالى : « لا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً »
و الآية : « و الذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا » ، لان مصداق
الآية (يوصيكم الله) و الآية « والذين يتوفون » هم الذين لم تبق
لأرواحهم علاقة مع ابدانها كما كانت فى الحياة . و يدل عـلى انقطاع
هـذه العلاقة كلمة الترك الواردة فى قوله تعالى : « للرجال نصيب مما
ترك الوالدان » و كلمة التوفى فى قوله تعالى : « و الذين يتوفون منكم »
فان (التوفى) لا يصح معناه الا اذا اخرج الشئ من شئ أخر . و هو
هنا ليس الا قبض الروح و نزعها عن البدن . كما أن الترك انما يصح
استعماله فى حق الذين شغفوا بحب المال و الاولاد اذا فارقوا هذا العالم
السفلى إلى العالم العلوى ، و ذلك لا يمكن الا بمفارقة الروح الجسد و
إنقطاع علاقتها السابقة معه . و الا فان الترك لا مدلول له هنا . و هم
كمغلول الأيدى و الارجل الذين لا يتسنى لهم لقاء الأولاد و التصرف
فى الأموال ، و لكن أزواجهم و أموالهم لا تزال فى ملكهم و انما

منعوا التصرف فيها (فلا يقال انهم تركوا) و هكذا القول فيمن أصيب بسكتة ، فلا تزال ازواجه و أمواله ملكا له ، الا أن الفرق بينهما ان الأول مقيد جسمه ، و الثانى مقيد روحه ، و محبس الروح ليس الا هذا الجسد الترابى ، فيتوقف تمدده الذى يظهر بواسطة الافعال الاختيارية كما يتقلص نور مصباح يغطى بغطاء فينحصر فى دائرة محدودة ، لايتمدد و لا ينبعث ، و مثل ذلك موت الأنبياء عليهم السلام ، الا ان فى السكتة تنزع الروح من جميع الأعضاء سوى عدة مواضع منها فيتجرد الجسم من جميع القوى الروحانية كالقوة السامعة و القوة الباصرة حتى اذا لم تتخذ التدابير الضرورية تفارق البقية الباقية من الروح جسد المصاب بالسكتة و اما ابدان الأنبياء عليهم السلام فعلاقة ارواحها معها لا تزال قائمة الا أنها تتجمع من اطراف الجسم و جوانبه فى مركز واحد . فتتقوى حياتهم دون أن يطرأ عليها اضمحلال .

و ملخص القول ان علاقة ارواح الأنبياء مع أجسادهم لا تضمحل و يجتمع فيهم الحيوة و الموت معا كنور المصباح و ظلمة الظرف المحيط به . فيجتمعان معا و يتقوى النور بتقلصه و تجمعه فى مكان واحد لاحاطة ظلمة الظرف المحيط به .

و لا استحالة فى اجتماع الضدين فان الماء برودته الطبيعية لا تفنى بعروض الحرارة الخارجية له ، و لأجل ذلك يطفئ الماء الحار النار ، و لو لا فيه برودته الطبيعية لما أمكن به الاطفاء بعد طريان الحرارة الخارجية عليه و زوال برودته بحسب الظاهر فاذا كان احد الضدين

بل هو كثير طبيعيا ذاتيا و الآخر عارضا خارجيا لا يستحيل اجتماعهما ، بل هو كثير الوقوع و أمر مشاهد فى الحياة اليومية ، و هكذا موت الأنبياء عارض كالحرارة الخارجية للماء و كالظرف المظلم المحيط بنور المصباح فهم احياء ، و صفة الحياة لا تزال فيهم كبرودة الماء الطبيعية و مثل نور المصباح المغطى بغلاف الظلام ، و لاجل هذا قال النبي ﷺ : « لا نورث » و قال الله تعالى : « لا تنكحوا أزواجه من بعده أبدا » فانه لا يورث و لا تنكح أزواج من لم يمت موتا حقيقيا و هو مفارقة الروح الجسد مفارقة حقيقية .

استقبال القبلة و استدبارها

عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ إذا أتيتم
الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط و لا بول و لا تستدبروها
و لكن شرقوا أو غربوا .

(رواه الترمذي)

نموذج من درس الحديث بدار العلوم

من إعداد و تعريب : محمد افضل البستوي الطالب بقسم التعريب

سؤال : استقبال القبلة و استدبارها بالغائط و البول مباح أم ممنوع؟
جواب : قال أبو حنيفة رح : استقبال القبلة و استدبارها بالغائط و
البول مكروه تحريما مطلقا سواء كان في البنيان أو في الصحراء
و هو قول مجاهد و ابراهيم النخعي و أبي أيوب
و سفيان الثوري و جمهور الصحابة و التابعين ، و قال داؤد
الظاهري مباح لا كراهة فيه مطلقا ، سواء كان في

الفيافى و هو قول مالك رح. و قال أحمد بن حنبل رح : الاستدبار جائز مطلقا سواء كان فى البنيان أو فى الفيافى ، و الاستقبال مكروه مطلقا ، سواء كان فى البنيان أو فى الفيافى . و قال الشافعى رحمه الله الاستقبال و الاستدبار كلاهما جائزان فى البنيان و مكروهان فى الفيافى و اليه ذهب اسحاق بن راهويه و مالك فى قول و كذا أحمد بن حنبل فى قول ·

﴿ دليل أحمد بن حنبل ﴾

لأحمد بن حنبل رح ما روى عن ابن عمر قال لقد ارتقيت على ظهر البيت فرأيت رسول الله ﷺ على لبنتين مستقبل بيت المقدس لحاجته و فى رواية مستقبل الشام مستدبر الكعبة . أخرجه أبو داؤد و الترمذى و النسائى و قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح و ما روى عن أبى أيوب الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول و لا تستدبروها . رواه الترمذى و غيره . و قال الترمذى هذا الحديث أحسن شئ فى هذا الباب و أصح . فدل هذا الحديث على كراهة استقبال القبلة و استدبارها فى البنيان و الصحراء كليهما . ثم خصص بحديث ابن عمر لكونه حسنا صحيحا . و قال الاستدبار جائز مطلقا فى البنيان و الصحراء و الحكم الاخر يبقى على حاله و هو كراهة الاستقبال مطلقا فى الصحراء و البنيان .

﴿ دليل داؤد الظاهرى رحمه الله ﴾

و لداؤد الظاهرى ما روى عن جابرؓ أنه قال نهى نبي الله ﷺ أن نستقبل القبلة ببول ، فرأيته قبل أن يقبض بعام يستقبلها . قال داؤد الظاهرى ان هذا الحديث ناسخ للاحاديث الأخرى المتعلقة بهذا الباب و لا وجه لنسخ كراهية الاستقبال فقط دون كراهية الاستدبار لأنهما فى حكم واحد فنسخا جميعا و ثبت أن الاستقبال و الاستدبار جائزان لا كراهة فيهما مطلقا سواء كان فى البنيان أو فى الصحراء .

﴿ دليل الشافعى رحمه الله ﴾

و للشافعىؒ رواية مروان الأصفر قال رأيت ابن عمر أناخ راحلته مستقبل القبلة ثم جلس يبول اليها فقلت يا أبا عبد الرحمن اليس قد نهى عن هذا قال بلى انما نهى عن ذلك فى الفضاء فاذا كان بينك و بين القبلة شئ يسترك فلا باس . و رواية ابن عمر قال لقد ارتقيت على ظهر البيت فرأيت رسول الله ﷺ على لبنتين مستقبل بيت المقدس مستدبر الكعبة لحاجته و ما رواه ابن ماجة عن خالد بن أبى الصلت عن عراك عن عائشة أنها قالت : ذكر عند رسول الله ﷺ قوم يكرهون أن يستقبلوا بفروجهم القبلة . فقال اراهم قد فعلوها . استقبلوا بمقعدتى القبلة أخرجه الدارقطنى و البيهقى و احمد بن حنبل فى مسنده و حسنه النووى فى شرح الصحيح لمسلم و ماروى عن جابر بن عبدالله قال

نهى نبي الله ﷺ أن نستقبل القبلة ببول فرأيته قبل أن يقبض بعام يستقبلها . قال الشافعي رح كان حديث أبي أيوب الأنصاري مطلقا فجاءت الأحاديث المذكورة آنفا و قيدته . كان لا يدرى بحديث أبي أيوب أكراهة الاستقبال و الاستدبار متعلق بالبنيان ام بالصحراء فدلت هذه الأحاديث على أنه متعلق بالصحراء اما فى البنيان فرخصة ، فعمل بتقييد المطلق ، و حكم بكراهة الاستقبال و الاستدبار فى الصحراء و رخص فى الكنف و البنيان ·

﴿ دليل أبي حنيفة رحمه الله النقلي ﴾

و له حديث أبي ايوب الانصاري قال قال رسول الله ﷺ اذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول و لا تستدبروها رواه الترمذى و غيره و قال الترمذى هذا الحديث أحسن شئ فى هذا الباب واصح . فكراهة الاستقبال و الاستدبار قد ثبت مطلقا فكانه حكم كلى و قاعدة كلية و الأصل عندنا أن القاعدة الكلية تبقى على حالها و ان جاء حكم جزئى و هو يخالف القاعدة الكلية فلا يعدل فيها و يتتبع مصداق ذلك الحكم الجزئى فاذا وجد له محل يحمل عليه . فلما رأينا الحكم الجزئى يخالف القاعدة الكلية فما عدلنا فيها و ما قيدنا الحكم المطلق ، و حكمنا بكراهية الاستقبال و الاستدبار كما كان من قبل و قلنا بانه مخصوص بالنبي ﷺ أو هو محمول على العذر . و كيف يمكن التعديل فى القاعدة بحكم قد ثبت بحديث حسن صحيح أو بحديث حسن غريب أو بحديث ضعيف أو

بحديث مرسل أو منقطع ، و هی قد ثبتت بحديث هو أصح شئ فی الباب و احسن . و يويد مذهبنا ما روی عن سلمان الفارسی أنه قال لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبله بغائط أو بول . و ما روی عن ابی هريرة قال قال رسول الله ﷺ انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاذا اتی أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة و لا يستدبرها و ما روی عن معقل الأسدی قال نهی رسول الله ﷺ ان نستقبل القبلتين ، روی الاحاديث الثلاثة ابو داؤد و غيره . و كذلك ما رواه ابن ماجة عن ابی سعيد الخدری ان رسول الله ﷺ نهانی ان اشرب قائما و أن ابول مستقبل القبلة . و ما رواه عنه انه ﷺ نهی ان يستقبل القبلة بغائط و بول . و مارواه عن عبد الله بن الحارث قال سمعت النبی ﷺ يقول لا يبولن احدكم مستقبل القبلة و ما رواه عن ابی ايوب قال نهی رسول الله ﷺ ان يستقبل الذی يذهب الغائط القبلة و قال شرقوا او غربوا .

﴿ جواب عن حديث ابن عمر ﴾

و حديث ابن عمر محمول علی أنه كان قبل النهی أو كان لعذر أو هو مخصوص بالنبی ﷺ و هذا الحديث لا يستحق ان يستدل به ، فان فيه احتمالات ، فانه يمكن أن يكون استدبار النبی ﷺ الكعبة قبل النهی و يمكن انه كان لعذر حدث هناك ، و يمكن أنه كان مخصوصا به و يمكن أن ابن عمر كان قد رأی النبی ﷺ بعد قضاء الحاجة و يحتمل أنه قد رأی راس النبی ﷺ و هو منحرف الی بيت المقدس و الممانعة متعلقة

بالعضو المخصوص و كيف يمكن ان يرى ابن عمر النبى ﷺ بنظر غائر و هو يقضى حاجته فيشخص حاله و يعرف . و فى رواية كان النبى ﷺ فى ذلك الوقت فى الكنيف و فى اخرى انه كان محجوبا باللبنات فعلم بذلك انه رآه بنظر خاطف و لم ير الا اعلى البدن و المعتبر فى الاستقبال و الاستدبار حال قضاء الحاجة ، و هو العضو المخصوص الذى هو فى اسفل البدن . و قال الاستاذ مولانا عبد الأحد سمعت ابى يقول : و يحتمل أن النبى ﷺ لما سمع وقع أقدام ابن عمر لحرف راسه عما كان عليه اى جمله الى بيت المقدس فرآه ابن عمر فى هذه الحال ، فاذا حدث فيه الاحتمال بطل به الاستدلال ، و هو حديث مؤول و حديث ابى ايوب محكم و الترجيح للحكم ، و حديث ابن عمر فعلى و حديث ابى ايوب قولى و الترجيح للقولى و حديث ابن عمر حسن صحيح و حديث ابى ايوب احسن شئ فى هذا الباب و اصح ، و الترجيح للاحسن و الأصح و حديث ابن عمر يثبت كون الاستقبال و الاستدبار جائزاً فى البنيان و حديث ابى ايوب مطلق فيه والمطلق يجرى على اطلاقه فكانه يثبت حرمة الاستقبال و الاستدبار فى البنيان و اذا تعارض المحل و المحرم فالترجيح للمحرم .

﴿ جواب عن حديث مروان الأصفر ﴾

وحديث مروان الأصفر أى بول إبن عمر الى راحلته وهى فى جهة الكعبة منه و قوله إنما نهى عن ذلك فى الفضاء فاذا كان بينك و بين

القبلة شئ يسترك فلاباس . ليس الا فهمه ، و فهم الراوى أزاء الحديث المرفوع الاحسن الأصح ، ليس بشئ ·

﴿ جواب عن حديث جابر بن عبد الله ﴾

و حديث جابر فی اسناده محمد بن اسحاق قال الشافعی رح فيه انه مدلس (۱) و حديث المدلس المعنعن غير مقبول (۲) و هذه وقعة سفر فيمكن ان يكون هذا قبل رواية أبی ايوب و يحتمل ان يكون بعدها فهو لا يستحق أن يكون مبينا لهما لاحتمال القبلية و البعدية و لكونه غير موضح و غير مفسر و لا يمكن ان يكون ناسخا لها لانه يجب ان يكون الناسخ مساويا للنسوخ أو أصح منه و أحسن ، و هو ليس بمساو لهما فضلا عن ان يكون أصح منها و أحسن فانه حديث حسن غريب و فعلی ، و رواية أبی ايوب حديث أصح و احسن و قولی و الحديث الاحسن و الأصح افضل من الحديث الحسن الغريب ، و القولی ، أرجح من الفعلی ·

﴿ جواب عن حديث عراك ﴾

و أما حديث عراك عن عائشة (۱) فلانسلم بكونه متعلقا بالاستقبال و الاستدبار لعدم تعين معنى المقعدة . فان المقعدة هی كل ما يقعد عليه الانسان كالسرير و الحصير و غيرهما . و الحق أن يقال : إنه لما أخبر النبی ﷺ بتوغل القوم بانهم لا يستدبرون القبلة عند شرب الماء و أكل

الطعام و غيرهما ايضا فقال استقبلوا بمقعدتى القبلة اى استقبلو بعصيرى القبلة (٢) و فى روايته خالد بن أبى الصلت و هو متكلم فيه فقد قال شمس الدين الذهبى فى كتابه « ميزان الاعتدال » ان خالد بن أبى الصلت منكر و قال ابن الحزم انه مجهول . و فيها ارسال فقد قال احمد ابن حنبل « من اين سمع عراك عن عائشة انما هو عن عراك عن عروة عن عائشة » و فيها انقطاع فقد قيل ان خالد بن أبى الصلت لم يسمع عن عراك . و لما قال عمر بن عبد العزيز ما استقبلت القبلة بالغائط و البول و ما استدبرت الى الآن لحدث عراك هـــذا الحديث فـــلم يقبله فهذا الحديث بمقابلة حديث أبى ايوب المرفوع الأحسن الأصح ليس بشئ .

{ دليل الامام ابى حنيفة العقلى }

و له دليل عقلى ايضا و هو أن الأئمة كلهم قد اتفقوا على أن علة نهى الاستقبال بالبول و الغائط و الاستدبار بهما هى حرمة القبلة فان القبلة بيت الله المحرم فقد جاء فى الكتاب الحميد « عند بيتك المحرم » و روى حذيفة قال قال النبى ﷺ « من تفل تجاه الكعبة جاء يوم القيامة و تفله بين عينيه » أو هى حرمة المصلين المستقبلين للكعبة من الملائكة و الجنة و الناس لحرمة الكعبة و المصلين باقية الى الآن كما كانت و الحرمة فى البنيان و الصحراء سواء فاذا وجدت العلة وجد المعلول اى النهى ايضا فى البنيان و الصحراء كليهما كما فى باب التفل تجاه الكعبة المحرمة المكرمـــة .

طريق تبادل التمثيل السياسي و القنصلي و حضور المؤتمرات و ابرام المعاهدات ، و الاشتراك في المنظمات الدولية ، و غير ذلك من مظاهر النشاط الدولي .

﴿ مفهوم السيادة في الدولة الاسلامية ﴾

ما من شك في أن الدول الاسلامية في جميع العصور توافرت لها الأركان الثلاثة التي يشترطها فقهاء القانون الدولي الحديث . وهي الشعب و الاقليم و السلطة الحاكمة . فهي بذلك في لغة العصر الحالي دولة مستقلة ذات سيادة .

و النتائج التي يرتبها فقهاء العصر الحالي على هذه السيادة قامت اول ما قامت مكتملة في التاريخ لدى الدولة الاسلامية و هي :

١ ـ كان الدولة الاسلامية اختيار نظامها السياسي ففي عهد الخلفاء الراشدين كانت الخلافة ـ رئاسة الدولة ـ بالاختيار و عن طريق البيعة و هذا أشبه بالنظام الجمهوري و في العهدين الأموي و العباسي كانت الخلافة بطريق ولاية العهد بشرط أن تتبعها بيعة الشعب للخليفة الجديد أول حكمه ، و هذا و ان كان أقرب الشبه بالنظام الملكي الوراثي الا انه حوفظ فيه على رد الأمر الى رضا الشعب باعتباره مصدر السلطات و لو من طريق شكلي و ذلك ياخذ البيعة في بدء ممارسة الخليفة السلطة و في هذا المسلك مراعاة للاخذ بمبدأ الشورى الذي يحتمه الاسلام .

٢ ـ كانت ارادة الأقليم داخليا من الناحيتين التنظيمية و الاقتصادية

وفق ارادة السلطة الحاكمة (الخليفة و أعوانه) . و ذلك فى حدود القواعد الأساسية للشريعة الاسلامية فكان الخلفاء يقسمون الدولة الى ولاية تخضع لنظام الحكم المركزى كما كان الحال فى العهد الأموى أو تخضع لنظام اللامركزية كما كان الحال فى العهد العباسى . أما النظام الاقتصادى فى الاسلام فيرعى الملكية الفردية الخاصة و لكنه يعتبرها وظيفة اجتماعية لخدمة الفرد و المجموع معا ، فلا يدعها تجنح يمينا الى الرأسمالية المستقلة و لا يسار الى الشيوعية الماحقة و الأمر بين ذلك عوان وفق ما تستدعيه مصلحة الجماعة ، فللسلطة الحاكمة متى دعت هذه المصلحة التدخل لتأخذ من اموال الأغنياء عدا الزكاة المفروضة بقدر ما يدفع النوازل كالحرب و غيرها بل لها ان تحدد الملكية الخاصة و أن تحد منها بقدر ما يسد الضروريات الى جميع أفراد الأمة .

٣ — كان للسلطة الحاكمة فى دول الاسلام تنظيم علاقاتها بالافراد و تنظيم علاقاتهم مع بعضهم البعض ، فى حدود الشرع من حرية و مساواة و تعاون دون تفرقة بسبب الجنس أو اللون أو الدين و مع الحفاظ على حرية الذميين بمباشرة شعائر أديانهم ، الى حد لم تقربه أرقى الدول فى عصرنا الحاضر و لم تبلغ مداه من ناحية التطبيق العلمى .

٤ — كان للدولة الاسلامية أن تسن من التشريعات ما يلائم ظروف كل زمان و مكان فى أطار القواعد الأساسية العامة التى فرضها الشرع .

٥ — و كان للقضاء الاسلامى الهيمنة و الفصل فى جميع أقضية

المسلمين و فى جميع ما يمس النظام العام و الآداب ، و فى أقضية الذميين متى تحاكموا الى قضاة المسلمين . أما فى قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بالذميين فكان يسمح لهم بالتقاضى الى قاض من ملتهم . و لكن تحت سلطان السلطة الحاكمة الاسلامية أو هى التى تأذن له فى حدود الشرع بمباشرة عمله و هى التى تقوم على تنفيذ أحكامه .

٦ ــ كان للسلطة الحاكمة فى الدولة الاسلامية اتخاذ ما تراه من تنظيم لعلاقاتها بالدول الأخرى و رعاياها . فعرف الاسلام أول ما عرف حقوق الذميين و المستامنين وحقوق المعاهدين و حقوق المصالحين و عن الدول الاسلامية و بعد إثنى عشر قرنا من الزمان أخذت قواعد القانون الدولى العام و الخاص فى أوربا متبلورة من أحكام الشريعة الاسلامية و عن نظم الحكم فى دوله المختلفة .

هذا و لا يفوتنا أن نشير الى أن فقهاء الاسلام يذهبون فى تحديد إقليم الدولة الى تقسيم العالم الى دارين : دار الاسلام و دار الحرب و فى الأولى يكون للهيئة الحاكمة فى دولة الاسلام جميع السلطات الست التى مر ذكرها . و فى الثانية تنمحى هذه السلطات أو تنقض الى حد معين و يختلف هذا الحد باختلاف آراء الفقهاء .

و نبادر فنقول انه لما أعلنت الحرب على المسلمين و الاسلام من مشركى مكة ثم من مشركى الجزيرة العربية ثم من مشركى الدولتين الفارسية و الرومية . نظر فقهاء ذلك الزمان فوجدوا أن الدنيا بحكم الواقع مقسمة الى دارين : دار الاسلام و دار الحرب . فهذه التسمية

و هذا التقسيم وليد الواقع و الظروف السياسية اذ ذلك و ليست هذه القسمية بذاتها موجوده فى الكتاب و لا فى السنة بل هى نظرية من احتهاد الفقهاء على خلاف بينهم . و ليس معنى ذلك أن الحرب هى الصلة بين المسلمين و غيرهم من الشعوب و الدول على نحو ما يقول به المستشرقون و فقهاء الدول الغربية .

و يقول الدكتور عن الدين فودة فى مقال له ، بمجلة منبر الاسلام « ان سبب هذه الخلافات هو محاولة الفقهاء لتحديد مفهوم السيادة فى دولة الاسلام ، و هل هى سيادة شخصية و انتهى بعد مناقشة آراء الفقهاء فى الشريعة الى انها سيادة أقليمة » .

و نشير الى أن الخلاف كان قائما حول مدى سريان احكام الشريعة الاسلامية و قواعـــد النظام العام على المسلمين و غير المسلمين المقيمين بدار الاسلام و عدم سريانها خارج هذا النطاق فى البلاد الأخرى التى سميت من طريق المقابلة بدار الحرب . و هذا واضح من تعريف الفقهاء لكل من الدارين فيذهب محمد بن الحسن الشيبانى الى أن دار الاسلام هى (اسم للوضع الذى يكون تحت يد المسلمين و يامنون فيه عـــلى أنفسهم) و يذهب الامام الفاهستانى الحنفى فى كتابه جامع الرموز الى أن دار الاسلام هى (ما يجرى فيها حكم امام المسلمين) و عرف دار الحرب بانها (ما يجرى فيها أمر رئيس الكافرين) و مفهوم ذلك أنه ليس بشرط فى دار الاسلام وجود أغلبية من المسلمين فيها بل يكفى أن تكون قد دخلت فى حرب مع المسلمين فغلبت على امرها و اراد اهلها

الاحتفاظ بدينهم و نظامهم مع دفع الجزية دلالة على الخضوع و التبعية و ترك الدعوة الى الاسلام حرة .

و دار الاسلام لا تصير دار حرب الا بتوافر شروط ثلاثة عند أبى حنيفـــة :

١ ـ اجراء الاحكام المغايرة لاحكام الاسلام جهارا . و أن يحكم المسلمين حاكم غير مسلم . و لا يرجعون الى قضاة المسلمين .

٢ ـ الاتصال بدار الحرب بحيث لا يكون بينهما بلد من بلاد الاسلام يلحق المسلمين المدد منها .

٣ ـ زوال الأمان الأول الذى كان للمسلم باسلامه و للذمى بفقد الذمة قبل استيلاء غير المسلمين على تلك الدار . و يذهب الشـافعى الى أن دار الاسلام لا يمكن ان تنقلب الى دار حرب . هذا على ما قاله ابن حجر أخذا بظاهر الحديث (الاسلام يعلو و لا يعلى عليه) .

و حاصل ذلك أن مفهوم الحنفية لسيادة الدولة الاسلامية أقرب الى أن تكون اقليمية بحسب تعبير فقهاء القانون الدولى الحالى . أما مفهوم الشافعية فيجعل تلك السيادة أقرب ما تكون من السيادة الشخصية و على ذلك فجميع ما ذهب اليه فقهاء القانون الدولى العصرى من مفاهيم و نظريات أورده فقهاء الشريعة فى عمومه أما الفروع فبلغوا فى ذلك شأن لا تدانيه النظريات العصرية الحديثة . و فى هذا القدر كفاية خشية تشعب البحوث فى الفروع و فروع الفروع .

المناقضات (١)

بين الشعراء المسلمين و الشعراء المشركين

• • •

الفاضل ابو زبير محمد اسماعيل
المتخرج من دار العلوم بديوبند

- النهضة الادبية و تطور الشعراء العربي بعد ظهور الاسلام
- النقائض (٢) الشعرية فى ايام الرسول ﷺ .
- غزوات الرسول ﷺ و كثرة المناقضات .
- نماذج من المناقضات بين شعراءالاسلام و شعراءالمشركين و اليهود
- تحول النقائض الشعرية من جاهلية الى اسلامية .

---

(١) تناقض الشاعر الشاعر : قال احدهما قصيدة ، فنقضها صاحبه عليه رادا عليه [illegible]
و النقض : الهدم و الكسر بعد البناء و الاحكام .

(٢) النقيضة : قصيدة ينقض بها الشاعر ما قاله شاعر آخر ، كنقائض جرير و الفرزدق (المعجم)

كان ظهور الاسلام نهضة عامة شملت الدين و السياسة و الاجتماع و الأدب و اخذت تتغير هذه النواحى و ما يتصل بها من طور جاهلى عربى الى طور جديد ا كثر انسانية تساوى بين الاجناس و لا تفوق بين جنس و آخر . و كان رسول الله ﷺ ياخذ بيد هذه الأمة فيزيل ما بينها من حقد و ثأر و يواخى بينها و يؤلف من قبائلها المتنافرة شعبا متحدا يخضع لسلطان واحد و يدين بملة واحدة ثم يتقدم الى الشعوب مختلفة الأجناس فى أقطار الأرض يدعوها الى الدين الاسلامى و يربطها برباط واحد و وشائج إنسانية لعل الناس يحيون على هذا الاصل الكريم من تحاب و تعاون و وئام . و لهذه الأسباب كانت الحياة الاسلامية تختلف عن الحياة الجاهلية . فالعصبية القبلية و العصبية القومية بدأت تتضاعف و تحل محلها العقيدة الدينية الاسلامية .

و حاول الرسول عليه السلام و خلفاؤه رض فى محاربة العصبية القبلية و الحمية الجاهلية من شعر و نثر و ان لم يستطيعوا محوها من نفوس العرب .

كما جاهر بعض الشعراء و قال :

فلا تحسبوا الاسلام غير بعدكم رماح مواليكم . وذاك بكم جهل

و كذلك الديانات القديمة من يهودية و مسيحة و مجوسية و وثنية بدأت تتضاءل امام الاسلام و اخذالاسلام يحل محلها حتىاصبح دين العرب و اجتهد أن يكون دين البشر كله — هـــذه الدعوة الاسلامية اثارت

عواطف متناقضة بين دعاة الحق الجديد و أنصار الباطل القديم . و هذا الصراع بين الحياتين امر طبيعي . فمن الناس من جمد سلوكهم و تعلقوا بالماضى الذى ولدوا عليه لا يحيدون عنه قيد انملة . و منهم من فكر و قدر و استطاع أن يساير الزمن فتبيت له انوار الهدى فاهتدى .

و من مستلزمات هذه النهضة قيام نهضة أدبية و قد حدث ذلك فعلا ، و كان ذا مظاهر شتى . فالقرآن الكريم كان معجزة هـذه الدعوة و اصلها الأول . و كان فى مستوى أدبى لا يضاهى ، سواء فى موضوعاته أو معانيه أو أساليبه أو غايته الانسانية . و كانت اقوال الرسول و خطبه و تعاليمه سندا ثابتا لنهضة البشر و هدى لسلوكهم القومى و الانسانى الى الى جانب بلاغتها الممتازة .

هذه التعاليم النبوية و الهدى الربانى و تلك النهضة الانسانية الجديدة السامية لما راجت بين كثير من العرب و أخذت تتسرب فيمن كانوا يرفضونها فى البداية — خافت البقية الباقية من المنكوبين على أنفسهم فاخذوا يناقضونها فاضطر شعراء الاسلام و أنصار الرسول من المسلمين العرب الى نقضهم . و هكذا ظهرت ظاهرة جديدة للنقائض و وجدت العرب صعيدا جديدا و مارسوا عليها بكل ما يملكون من وسائل النقض، و لما رأى الشعراء من القبائل المجاورة هذه المناقضات و المنافسات بين شعراء الاسلام و المشركين من قريش بدأوا يتضمون .اما إلى شعراء الاسلام و أنصار الرسول أوالى الشعراء المشركين من قريش الذين كانوا يناقضون شعراء الاسلام و أنصار الرسول ، فانضم أمية بن

الصلت الثقفى و كعب بن الأشرف اليهودى و غيره من الشعراء اليهود الى المشركين من قريش . كما انضم الاعشى التميمى و معبد الخزاعى و غيرهما من الشعراء الى الشعراء المسلمين و انصار الرسول .

و قد قامت هناك مدرستان و لعبتا دورا له أهمية فى هذا الفن — اعنى بهما المكية و المدنية — و انتمى اليهما مجموعة من نبغاء الفن . فكان من شعراء المدرسة المكية ضرار بن الخطاب و عبد الله بن الزبعرى و ابو سفيان بن الحارثة كما كان من شعراء المدرسة المدنية حسان بن ثابت و عبد الله بن رواحة و غيرهما .

و الحقيقة أن النقائض فى ايام الرسول كانت امتداد للنقائض الجاهلية من الناحية الفنية ، لان الذين قاموا بهذا الفن فى ايام الرسول هم كانوا من رجالهم فى الجاهلية سواء فى ذلك شعراء مكة أو المدينة من العرب : المشركين و اليهود رجالهم و نسائهم . و لكن التغير الذى حدث فى تلك الآونة بسبب الدين الجديد أصاب المناقضة الشعرية نفسها بتغير من وجوه شتى . و لعل اول هذه الوجوه هو الموضوع . فقد كان يدور موضوعها فى الجاهلية حول مرعى أو رئاسة بينما بدأ يدور بعد ذلك — حول دين جديد و أمة حديثة تريد أن تنهض و هداية مستنيرة تتبع — فأصبح موضوعا ساميا انسانيا عاما بعد ما كان قبليا جاهليا . و مما لا شك فيه أن هذا التحول تحول خطير فى تاريخ فن النقائض .

ثانيها المعانى . و مما لاشك فيه ايضا ان التحول من الجاهلية الى الاسلام كان عسيرا و بطيئا فى ابتكار المعانى و رغم ذلك فان المعانى الدينية غابت

على غيرها . فتوجد فى كلام المدرستين — معان قديمة تدور حول الاحساب و الانساب و الايام و غيرها . كما توجد فيهما معان جديدة تدور حول دين الآباء و الأجداد و الكفر و الاسلام و الهدى و الضلال . و ثالثهما الاساليب — فقد كانت اساليب النقائض الاسلامية الاولى مضطربة غير مستقيمة عند شعراء المدرستين فكانت منها العبارات الجزلة القوية و منها الضعيفة المهلهلة و منها الوسطى العادية . و اسباب هذه الاضطرابات كثيرة متعددة . فمنها ضعف الشاعرية القرشية و حداثتها و منها ارتجال الشعر امام الحوادث الطارئة ، و منها هرم بعض الشعراء و اقتحامهم جميعا امام مجال جديد تطلب مرانة جديدة ، و منها — و لعل أهم من كلها — التزام بعضهم حدودا و آدابا اسلامية تقيد حرية القول و الى ذلك أشار الاصمعى بقوله :

طريق الشعر اذا أدخلته فى باب الخيرلان ، يتضح ذلك بالموازنة بين حسان و الحطيئة الذى لم يغمره تيار الاسلام لما غمر حسان فاحتفظ الحطيئة بمذهبه الأصيل فبقى شعره جزلا مستوى الاسلوب . و منها — الغاية ؛ و الباحث حينما يبحث عن غاية النقائض الجاهلية يجد انها عبارة عن اشتفاء النفس و سيرورة قبليه و افتخار بالشعر و بعث الرهبة فى النفوس و نحو ذلك و أما النقائض الاسلامية فكانت فى سبيل الدين و الدولة و فى سبيل اصلاح البشر و نحوها . و أما الفنون التى كانت قوام النقائض الاسلامية و عناصرها فهى الفنون الجاهلية من مديح و هجاء و فخر ورثاء و وصف و وعيد و غيرها و لم تفتح فى الشعر العربى أبواب

رئيسية فى ذلك الحين و لكن هذه الفنون — كما قلت — قد تأثرت فى موضوعاتها و معانيها و أساليبها و غايتها بمقتضيات النهضة الاسلامية و نأتى بأمثلة من مظاهر هـذا التغير الذى فيه سمات الدعوة الاسلامية رسولها عليه السلام فيما بعد ؟

و رغم ان العرب آمنوا بالرسول و صدقوه و تابعوه فى تعاليمه و سننه السنية . لكنهم بدأوا يرجعون الى أصلهم فيما بعد كما بدأوا يناقضون فيما بينهم . و قد وجدت الحمية القومية أو العصبية القبلية زمن الامويين و حييت قوية .

و هنالك مشابهة اخرى بين الفنين الجاهلى و الاسلامى و ذلك أنهما قويا و شاط فى ظل الايام فقد رأيت فيما مضى أن معظم النقائض الجاهلية انما تدور حول الأيام كوقعة كلاب الأول — مثلا — حينما قتل شرحيل بن الحارث الكندى فيقع حوار بين سلمة الحارث الكندى وبين حنش البكرى . و كذالك مادار بين أمرئ القيس وعبيد الابرص حول مقتل ابن امرئ القيس حجر الكندى — من مناقضة خطيرة و ما الى ذلك من الوقائع . كما رأيت ان النقائض الاسلامية ايضا تدور حول الغزوات كبدر و أحد و الخندق و الفتح و نحو ذلك .

و ما دامت الحروب تبعث فى نفوس الشعراء موقف التحدى ، فطبيعى أن توجد تلك المناقضات . اذ كانت لهذه الحروب كلامية بجانب الحروب الدموية . و لذلك كانت سيرة الرسول و مغازيه أهم مصادر النقائص الاسلامية . و ان غزرة بدر كانت اولى الغزوات الهامة فى

تاريخ الاسلام ، فان آثارها كانت خطيرة حيث أعلت مكانة المسلمين كما أنزلت بمشركى مكة و يهود المدينة ذلة و نكالا ، هلك فيها جماعة من علية مكة و اعيانها .

قال عبد الله بن الزبعرى السهمى يبكى قتلى بدر من المشركين :

ماذا على بدر و ماذا حوله — من فتية البيض الوجوه كرام
تركوا نبيها خلفهم و منبها — و ابنى ربيعة خير خصم فئام
و الحارث الفياض يبرق وجهه — كالبدر جلى ليلة الأظلام
و اذا بكى باك فاعول شجوه — فعلى الرئيس الماجد بن هشام
حيا الاله أبا الوليد و رهطه — رب الأنام ، و خصهم بسلام

هذا البكاء يقوم على صفات جاهلية اجتماعية من كرم و قوة و حسب و هو أسف شديد على هؤلاء العلية الذين ذهبت بهم سيوف المسلمين . و عاد ارهاطهم الى مكة من دونهم . فاجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضـ :

ابك بكت عيناك ثم تبادرت — بدم تعل غروبها سجام
ماذا بكيت به الذين تتايعوا — هلا ذكرت مكارم الأقوام
و ذكرت منا ماجدا ذا همة — سمح الخلائق صادق الاقدام
اعنى النبى أخا المكارم و الندى — و أبر من يولى على الاقسام
فلمثله و لمثل ما يدعو له — كان الممدح ثم غير كهام

فاذا كان ابن الزبعرى يبكى على قتلى قريش يوم بدر كما يبكى اى

شاعر جاهلى قتلى قومه فى بعض الايام فان حسان بن ثابت وازن بين قتلى بدر من المشركين و بين مكانة الرسول و نبه على أنهم الباغون ثم زاد على ذلك بالاشارة الى رسول الله و دعوته و أنه بذلك أحق بالمدح و أولى بالفضل و كان رد حسان قائما على نقطتين هامتين : استنكار البكاء على قتلى المشركين و التحفى بالرسول و دعوته الاسلامية الكريمة و نستطيع ان نقول : أن هذه النقطة الثانية هى نقطة الالتقاء بين القديم و الحديث من معانى النقائض . و واضح أن المناقضة تدور حول النهضة الاسلامية العامة و فى سبيل غايتها الكريمة — و كان الاسلوب جزلا و ان لم يكن أحسن الاساليب القديمة ·

و هناك شعر كثير قيل فى بدر و اليكم حوار كان بين حسان بن ثابت و الحارث بن هشام فى فراره هذا اليوم —

قال حسان بن ثابت قصيدته المشهورة التى استوفى فيها طبعه الجاهلى الاصيل لجاءت قوية و جزلة :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة	تشفى الضجيع ببارد بسام
كالسمك تخلطه بماء سحابة	أو عاتق كدم الذبيح مدام
يا من لعاذلة تلوم سفاهة	و لقد عصيت على الهوى لوامى
ان كنت كاذبة الذى حدثتنى	فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم	و نجى براس طمرة و لجام
و بنو أبيه و رهطه فى معرك	نصر الاله به ذوى الاسلام

و هذا نسيب تقليدى و تعبير بالفرار و فخر بانتصار الاسلام .

فأجابه الحارث بن هشام معتذرا من فراره يوم بدر بقوله :

الله اعلم ما تركت قتالهم ... حتى حبوا مهرى بأشقر مزبد

و عرفت أنى ان أقاتل واحدا ... اقتل و لا ينكى عدوى مشهدى

فصددت عنهم و الأحبة فيهم ... طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

فالحارث بن هشام اتخذ فى الرد طريقة التوجيه فاعترف بالفرار و لكنه برر باصابة فرسه و انفراده و ان قتله لا ينفع عدوه شيئا و انه ينتظر يوم الانتقام و هذا شاذ فان اختلاف الروى يدل على عدم تكامل أوصاف النقائض و كان حسان بن ثابت قويا فى فنه يستوفى طبعه القوى و موقفه المنتصر و ايمانه الصبيح .

و لما أصيب أصحاب بدر من المشركين نزع اليهود بما فيهم شاعرهم كعب بن الأشرف اليهودى لقتل أشراف العرب و ملوك الناس و لخوفه على مكانة قومه بيثرب فأتى مكة و نزل على عبد المطلب بن أبى وداعة السهمى و جعل يحرض قريش على الرسول و من معه و بدأ ينشد و يبكى أصحاب بدر من قريش الذين أصيبوا بهذا اليوم فقال :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... و لمثل بدر تستهل و تدمع

قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا ان الملوك تصرع

كم قد أصيب به من ابيض ماجد ... ذى بهجة ياوى اليه الضبع

طلق اليدين اذا الكواكب اخلفت ... حمال أنكال يسود و يربع

نبئت أن الحارث بن هشامهم ... فى الناس روض الصالحات ويجمع

يغزو يثوب بالجموع و انما ... يحمى على الحسب الكريم الأروع

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ابكى لكعب ثم على بعيرة — منه و اعطى مجدعا لا يسمع
و لقد رايت ببطن بدر منهم — قتلى تسح لها العيون و تدمع
فابكى فقد ابكيت عبدا واضعا — شبه الكليب الى الكليبة يتبع
و لقد شفى الرحمن منا سيدا — و أهان قوما قاتلوه و صرعوا
و نجا و أفلت منهم من قلبه — شعف يضل لخوفة يتصدع

فقد تتضمن ابيات كعب بكاء على القتلى و تحريضا للاحياء ان ينفذ المدينة من المهاجرين و الانصار فكان النفس بسخرية به و شماتة بالاعداء و هجاء للفارين و "تفيا بالرسول .

و كانت غزوة احد انتصارا للمشركين من القريش و اشتفاء لنسائهم و لا سيما هند بنت عقبة التى مثلت بحمزة عم النبى و قال ابو سفيان بذكر صبره فى ذلك اليوم و معاونة ابن شعوب اباه على حنظلة بن ابى عامر حتى قتله ابن شعوب و قال من ابيات :

لو شئت نجتنى كميت طميرة — و لم احمل النعماء لابن شعوب
و مازال مهرى مزجر الكلب منهم — لدن غدوة حتى دنت لغروب
و سلى الذى قد كان فى النفس انى — قتلت من النجار كل نجيب
و من هاشم قوما كريما و مصعبا — كان لدى الهيجاء غير هيوب
و لو انى لم اشف نفسى منهم — لكانت شجا فى القلب ذات ندوب
فابوا و قد اودى الجلابيب منهم — بهم خدب من معطب و كتيب
اصابهم من لم يكن لدمائهم — كفاء و لا فى خطة بضريب

فاجابه حسان بن ثابت :

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم و لست لزور قلته بمصيب

اتعجب أن اقصدت حمزة منهم نجيبا و قد سميتـه بنجيب ؟

الم يقتلوا عمرا و عقبـة و ابنه و شيبة و الحجاج و ابن حبيب

غداة دعا العاص عليا فراعـه بضربة عـضب بله بخضيب

ادعى ابو سفيان انه كان يستطيع الفرار و عدم احتمال منة ابن شعوب و لكنه ثبت و كان قريبا من العدو طول اليوم و قد انتقم من بنى هاشم و من الخزرج و عير المسلمين بهزيمتهم و غلبة الناس لهم فرد عليه حسان بان حمزة لم يمت هدرا و انما قتل به فى بدر علية قريش .

و كثرت المناقضة بالشعر فى اعقاب احد يدافع الفخر و الاشتفاء من جانب المشركين ثم المناهضة و ذكر بدر و الهجاء من جانب المدينة . و من هذه النقائض قصيدة هبيرة بن ابى وهب المخزومى من المشركين و مطلعها :

ما بال هم عميد بات يطرقنى بالود من هند تعدو عواديها

فاجابه حسان بن ثابت فقال و مطلعها :

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم الى الرسول فجند الله مخزيها

و اهم ما فى مناقضات أحد أن شعراء المشركين و من معهم كانوا يقفون مفتخرين متحدين يذكرون أثارهم فى المسلمين و يتمنون انهم لو شهد اهل بدر من صرعى مشركين ما حل بالمسلمين فى احد — و شعراء المسلمين كانوا يجيبونهم فيذكرون بدرا ازاء احد و يجعلون الحرب سجالا

ثم يوصفون آثار المسلمين فى المشركين يوم بدر ثانيا و يزيدون فيذكرون اعتزاز المسلمين بالدين و طاعة الله و رسوله ·

و بعد غزوه بدر سنة ٤٠ هجرية اراد بنو النضير من اليهود الغدر برسول الله فاجلاهم الى خيبر و منهم من ذهب الى الشام . و كان من الاشراف الذين ذهبوا الى خيبر سلام بن ابى الحقيق و كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق و حيى بن اخطب . و لما نزلوها دان لهم اهلها ، و قد صور الشعراء هذا الحادث و ما لابسه تصويرا حسنا تشير منه الى ما يتصل بموضوعنا . قال رجل من المسلمين — قيل هو على بن أبى طالب رضى الله عنه — فى هذا الاجلاء :

عرفت و من يعتدل يعرف ... و ايقنت حقا و لم أصدف
عن الكلم المحكم اللاء من ... لدى الله ذى الرافة الأرأف
رسائل تدرس فى المؤمنين ... بهن اصطفى احمد المصطفى
فيا أيها الموعدوه سفاها ... و لم يات جورا و لم يعنف
الستم تخافون ادنى العذاب ... و ما آمن الله كالأخوف
و ان تصرعوا تحت أسيافه ... كمصرع كعب ابى الأشرف
و أجلى النضير الى غربة ... و كانوا بدار ذوى زخرف
الى اذرعات ردافى و هم ... على كل ذى دبر اعجف

فاجابه السماك اليهودى :

ان تفخروا فهو فخر لكم ... بمقتل كعب أبى الأشرف
غداة غدوتم على حتفه ... و لم يات غدرا و لم يخلف

فعل الليالى و صرف الدهور يديل من العادل المنصف.
بقتل النضير و احلافها و عقر النخيل ولم تقطف
فان. لا أمت ناتكم بالقنا و كل حسام معا مرهف
بكف كمى به يحتمى متى يلق قرنا له يتلف
مع القوم صخر و أشياعه اذا غادر القوم لم يضعف
كليث تبرج حمى غيله اخى غابة هاصر أجوف

فتتضمن الكلمة الاولى اعتزازا بالاسلام و الرسول عليه السلام و وعيدا لليهود و اشارة الى قتل كعب بن أبى الأشرف و الى اجلاء بنى النضير الى خيبر و الشام ·

و المناقضة تتضمن غدر المسلمين بكعب و انتظار هزيمة المسلمين بما نكلوا بنى النضير و تهديدهم بالثار فالمعانى متقابلة متوازنة تتركز من الجانبين حول الغدر و العدوان و التربص و فيها روح الدين .

و الحقيقة أن الجدل و المناقضة بين الاسلام و اليهودية كانت قوية مثلها القرآن الكريم و الشعر العربى و أن هذه المناقضات تدل على ما لقيت الدعوة الاسلامية من عنت اليهود و اعتزازهم باحسابهم و ثقافتهم و حضارتهم و منزلتهم الاجتماعية حتى غلبها الاسلام .

و كانت غزوة خندق متصلة بغزوة بنى قريظة و ذلك ان نفوا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى و حيى بن أخطب النضرى و كنانة بن أبى الحقيق النضرى و هوذة بن قريش الوايلى و أبو عمار الوائلى و نفر من بنى النضير و نفر من بنى وائل ضربوا الاضراب على رسول

الله ﷺ . خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب ضد رسول الله ﷺ و قالوا انا سنكون معكم عليه و ان دينكم خير من دينه فنشطت قريش لحرب ضد الرسول و أصحابه و أخذ هؤلاء اليهود يحثون غطفان الى حرب ضد الرسول حتى أتوا المدينة بعد حفر الخندق ثم أتى حيي بن أحطب النضرى كعب بن أسد القرظى فحمله على نقض عهد قريظة مع الرسول . فلما فرغ المسلمون من حفر الخندق غزوا بنى قريظة و قد قال ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى من المشركين فى يوم الخندق :

و مشفقة تظن بنا الظنونا — و قد قدنا عرندسة طحونا
كان زهاءها أحد اذا ما — بدت اركانه للناظرينا
ترى الابدان فيها مسبغات — على الابطال و اليلب الحصينا
جردا كالقداح مسومات — نوم بها الغواة الخاطئينا
كانهم اذا صالوا و صلنا — بباب الخندقين مصافحونا
فا حجرناهم شهرا كريتا — و كنا فوقهم كا لقاهرينا
نراوحهم و نغدو كل يوم — عليهم فى السلاح مدججينا
فلولا خندق كانوا لديه — لدمرنا عليهم اجمعينا
فان نرحل فانا قد تركنا — لدى أبياتكم سعدا رهينا
و سوف نزوركم عما قريب — كما زرنا كم متوازرينا

فنقضه كعب بن مالك و دافع عن المسلمين بقوله :

وسائلة تسائل ما لقينا — و لو شهدت رأتنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عــدلا　　على ما نابنا متــوكلينــا
وكان لنا النبي وزير صدق　　به نعلو البرية أجمعيـنــا
نقاتل معشرا ظلموا و عفوا　　و كانوا بالعداوة موصدينا
ترانا فى فضافض سالفات　　كغدران البلاسته بلينا
بباب الخندقين كان أسدا　　شوابكهن يحمين العر ينـا
لتنصر احمدا و الله حتى　　نكون عباد صدق مخلصينا
و يعلم أهل مكة حين ساروا　　و أحزاب أتوا متحزبينا
بان الله ليس له شريك　　و ان الله مولى المؤمنينا
فاما تقتلوا سعدا سفاها　　فان الله خير القـادرينـا
سيـدخـله جنانا طيبات　　تكون مقـامة للصـالحينـا
كما قد ردكم فلا شريدا　　لغيظــكم خـزايا خائبينـا

و الآسلوب فى النقيضتين كما ترى جزل قوى و قد دارت المناقضة حول غزوة خندق و قتل سعد بن معاذ رض فيقول ضرار بن الخطاب ابن مرداس الفهرى مهددا المسلمين و سوف نزوركم - - - الخ . و فيه تعريض و سخرية كما لا يخفى .

و لما كان أمر الحديبية و ما اعقبها من هدنة بين الرسول و أهل مكة كانت حادثة أبى بصير عتبة بن أسيد من المستضعفين و ذلك ان طلبت قريش رده اليهم فاشار عليه رسول الله ﷺ أن ينطلق الى قومه فانطلق مع رجل من بنى عامر بن لوئ و مولى لهم حتى اذا كان بذى الخليفة قتل أبو بصير العامرى فقام سهيل بن عمرو يطلب بديته فسفهه

أبو سفيان فقال فى ذلك موهب بن رباح أبو أنيس حليف بنى زهرة أو هو أشعرى :

أتانى من سهيل ذرء قول   فايقظنى و مابى من رقاد
فان تكن العتاب تريد منى   فعاتبنى فما بك من بعادى
أتوعدنى وعبد مناف حولى   بمخزوم . ألهفا ، من تعادى
فان تغمر قناتى لا تجدنى   ضعيف العود فى الكرب الشداد
أسامى الاكرمين انا بقومى   اذا وطى الضعيف بهم ارادى
هم منعوا الظواهر غيرشك   الى حيث البواطن فالعوادى
بكل طمرة و بكل نهد   سواهم قد طوين من الطراد
لهم بالخيف قدعلمت معد   رواق المجد رفع بالعماد

فاجابه عبد الله بن الزبعرى فقال :

رأس موهب كحمار سوء   أجاز ببلدة فيها ينادى
فان العبد مثلك لا ينادى   سهيلا ، ضل سعيك من تعادى
فاقصر يابن قين السوء عنه   وعد عن المقالة فى البلاد
ولا تذكر عتاب ابى يزيد   فهيهات البحور من الثماد

و الحقيقة أن المناقضة هنا داخلية بين رهطين من قريش بمكة لان القاتل التجا الى المدينة أخيرا بموافقة قريش فبقى الأمر بين عامر بن لوئى و سائر قريش فاما أبو أنيس فانكر طلب سهيل و وعيده و تهديده و فخر عليه فانهرى له عبد الله الزبعرى فهجاه و نزل به عن سهيل .

و فى غزوة خيبر خرج مرحب اليهودى من حصنهم و قدجمع سلاحه

يرتجز و هو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
اطعن أحيانا و حينا اضرب اذا الليوث أقبلت تحرب
ان حماى للحمى لا يقرب

و هو يقول من المبارز فاجابه كعب بن مالك فقال :

قد علمت خيبر أنى كعب مفرج الغمى جرى صلب
اذا شبت الحرب تلتها حرب معى حسام كالعقيق عضب
نطوكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو يفى النهب
بكف ماض ليس فيه عتب

و بعد - فنكتفى بهذا القدر من النقائض الاسلامية ، و الواقع أن النقائض الاسلامية قد دارت حول الغزوات و الايام و لكن الاسلام صار موضوعا للنقائض مكان العصبيات القبلية فى الجاهلية . و كانت معانى النقائض جاهلية و اسلامية ، الجاهلية حين يحتفظ الشعراء من المؤيدين و المعارضين بطبعهم الأصيل و الاسلامية حين يستمدون من الدعـــوة الاسلامية مادة جديدة و ذلك طبيعى ما دامت الفترة فترة الانتقال و التحول . و النقائض الاسلامية الاولى تمتاز بانها كانت قصيرة العمر أو ضرورة وقتية استدعتها المهاجاة بين مــكة و المــدينة فى ظل الاسلام ، فلما تصالحت مكة و المدينة و دخلت العرب فى الدين الجديد أمة واحدة لم يبق هناك مجال لهذه المناقضة فسكتت و أخذ الخلفاء يحاربون دواعيها الجاهلية و يشغلون العرب بالفتوح الخارجية و ينكرون انشادها

دفنا للاحقاد القديمة و حفظا للوئام بين المسلمين فانكروا الفخر و الهجاء و غزوا فيه الشعراء و حبسوهم فلم تظهر المناقضة حتى استدعاها الخلاف السياسى بين على و معاوية رضى الله عنهما .

• • •

حفظ الله سبحانه اسم يحي من أن يسمى به أحد حتى جعله سبحانه اسما لنبيه الكريم يحي عليه السلام . (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحي لم يجعل له من قبل سميا) كذلك حمى سبحانه اسم احمد أن يسمى به أحد حتى كان النبي الكريم محمد هو الذى يخلع عليه هذا الاسم الكريم مع أن اسم أحمد أعلن على لسان عيسى عليه السلام قبل مولد الرسول بنحو ستة قرون . ثم ظل فى افواه الحواريين و فى صحف الانجيل دون أن يخطر ببال أحد أن يسمى به ابنا من ابنائه على عادة الناس فى تسمية أبنائهم باسماء النبيين و القديسين : (و اذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة و مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد)

المسلمون[1] فى آخر ايام حكومتهم

أبو بكر الغازيبورى المتخرج من دار العلوم بديوبند
المدرس بالمدرسة الاسلامية ، غازيبور

لم يصب المسلمين فى الهند من الدهشة و الحيرة و المهانة و الذل ما أصابهم أثر انهيار الدولة المغولية التى كانت تغرغر منذ مدة العوبة بيد الشركة الانجليزية — التى كابتها بافانينها الاثيمة البغيضة و جعلتها جسدا

(١) بدأت اجمع تراجم حياة اكابر دار العلوم بالعربية و رأيت ان اقدم لقرأة دعوة الحق مما كتبت ما يتعلق بحياة المسلمين فى الهند من الناحية الدينية و السياسية ليقدروا مدى جهود علماء دار العلوم فى ميدان العمل و الكفاح صيانة للكيان الاسلامى فى الهند و قضاء على الخطر الداهم على حياة الامة الاسلامية بها , و كيف سدوا فيضان البدعات و الحركات التبشيرية المسيحية التى كادت ان تكتسح اتحاد المسلمين . و ارجو الله ان يوفقنى لما قصدته و عزمت عليه .
(ابو بكر الغازيبورى)

بلاروح و عرقا بلا دم و اكلت من لحمها و عظمها — حتى لفظت نفستها الاخيرة فى ١٨٥٧ بعد أن دامت الحكومة المسلمة فى الهند ثمانية قرون متوالية و بقى المسلمون تبوأوا عرش البلاد متصرفين فى الأمور مدة لم يحظ بها قوم فى تاريخ الهند الطويل .

و لم تواجه الامة الاسلامية فى تاريخها الهندى الضيق الزاهر كارثة اقوى و أفدح من هذه الكارثة الالمية التى زعزعت اساس التاريخ الاسلامى فى الهند و هدمت صرحه المشيد المنيع . و تركته انقاضا و اكداسا تمثل لنا ايامنا و تعرض امامنا درسا و عبرة . و لعل المسلمين لم يكونوا ابدا فى تاريخهم كله أشنع حالة . ثقافة و عقلا و فكرا و لا احوج و افقر الى صواب النظر و سلامة الطبع منهم فى تلك الايام . فكانت الافكار تسودها السماجة و العقول السذاجة ، و كانت الافكار تعمها التفاهة و العوج و تشمل الاخلاق الخلاعة و القذاعة ، و كانت العادات الجاهلية ارتسخت فى نفوس المسلمين و انصبغت حياتهم بصبغة تضاد الصبغة الاسلامية الالهية التى امر الله باختيارها « صبغة الله و من احسن من الله صبغة » .

و انما كانت حياتهم كلها التلهى عن الاوامر الالهية و البعد عن الاسلام و تعاليمه القيمة و التجرد من كريم الاخلاق و نبالة الافكار و الولوج فى المنكرات و الفحشاء و التمسك بالظنون و الأوهام ، و لم ير المسلمون فى تاريخهم من سوء التدبير و فساد النظر و قلة الحنكة و الخبرة و الانشغال بالترف و البذخ و سوء التصرف و عدم العباء بمناهى الشرع

فى ولاة الامور ، و الذين يملكون عنان البلاد كما رأو فى ذلك الوقت الحرج القاسى الذى كان يهدد الكيان الاسلامى فى الهند و ينذر ابناء الاسلام على حياتهم انذارا بليغا ، و الحكومة و الشعب جميعا يتشاغلان فى نزواتهما و اشباع هواهما من غير شعور و احساس بالخطر الجسيم و الداء الذى تأصل فى جسمهم و السوس الذى ينخر داخلهم . فقد بلغ تدهور الاخلاق و الانحطاط و قلة الثقافة و الادب الى حد ليس بعده حد ، لم يبق الاسلام الا رسمه و لم تبق الشريعة الا اسمها ، هتكت محارم الاوامر فى علن و وضع من السنة النبوية من غير حياء ، و شاع الفساد فى الطبقات كلها اعلاها و اسفلها فكانت حالة المسلمين من الناحية الدينية انهم ظنوا الاسلام التوسل بالاضرحة و الانحناء للقبور و تقديم النذور الاولياء و تجصيص المقابر و تسجيتها بالأردية الحريرية و القاء الورود عليها ، يعتقدون أن أصحاب القبور قادرون على النفع و الضر . على الاعطاء و المنع ، يعدونهم شركاء الله فى تصريف الامور الكونية يظنون أن التقرب الى الله لا يمكن الا بواسطتهم و بشفاعتهم . شأن المشركين الذين قالوا « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » و هولاء شفعائنا عند الله » فلماذا لا يتمسك باهداب الاولياء و لماذا لا يتذلل لهم و لا يتمسح بقبورهم و لا يسجد لها .

و لم تكن حالة لمسلمين هذه فى الهند فحسب بل اصيب العالم (١)

---

(١) ينقد الكاتب الشهير « احمد امين » حالة الاسلام فيقول : اذاً فما بال العالم الاسلامى اليوم يعدل عن هذا التوحيد المطلق الخالص من كل شائبة الى ان يشرك بالله كثيرا من خلقه

الاسلامی جمیعا بهذه المحنة القاسیة و هذه النکبة الالیمة ، و المرض الخبیث المتعدی . فی کل قطر اسلامی حجر و شجر و قبور و اضرحة یعتقد فیها اعتقادا لا یتفق و الاسلام . امتشج بالتوحید . و هو عبارة لیس فی الوجود ذو سلطة و قوة و منفذ حکم غیر الله ، و لیس فی الوجود من یستحق التعظیم و العبادة و الرکون الیه الا الله الواحد القهار الغالب علی کل شئ فانه لا ینفذ فی الکون الا امره . و لا تتحرك ورقة من غیر ارادته و مشیئته . و لا تمطر السماء و لا تنبت الارض الا بحکمه — امتشج بهذا التوحید الذی نشده الاسلام و طالب اعتقاده کل من ینجسم فی صفه کثیرا من المعتقدات الفاسدة و الاوهام الباطلة و الظنون السخیفة یتشوه بها وجه الدین و تتمسخ صورة الشریعة النقیة الوضیئة . و یتحول شکل الاسلام خرافات و منکرات و شرکا و بدعات و جهالة و ظلاما .

و قد جاء الاسلام لیخرج الناس من الظلمات الی النور و من الضلالة الی الهدایة و من حضیض الحیاة الی سموها و من عبادة الاصنام الی عبادة الرحمن . و قد ساد العالم الاسلامی جمیعا محنة فی دینه و نکبة فی عقائده و کانت الهند فی مطلعه فانها کانت منذ زمن قدیم یسکنها الهنادك ، و لما دخلها الاسلام و شاع فی أهلها تاثر به أبناءها

فهولاء الاولیاء یحج الیهم و تقدم لهم النذور و یعتقد انهم قادرون علی النفع و الضر ، و هذه الاضرحة لاعداد لها تنام فی جمیع اقطاره (انظر کتابه « زعماء الاصلاح فی العصر الحدیث » ص ۱۱)

و امنوا به و اخذوه كدين و لم تقم فيهم عندذلك دعوة سليمة توجههم توجيها سليما . و لم يهتم المسلمون (١) و لا ملوكهم بهولاء الذين دخلوا فى الاسلام جديدا فانتقل معهم (٢) كثير من العقائد الهندوكية الكدرة الفاسدة ينبعث منها الشرك و البدعة و انتقل معهم كثير من عاداتهم و تقاليدهم و ما يعم مجتمعاتهم من اخلاق و آداب تغلغلت فى داخلهم و امتزجت بشاشة قلوبهم . و كان كل من الطبقات السافلة الى الاسر العالية و من الشعب الى الملوك مبتلى بهـــذه الحالة السيئة و الامراض الخلقية و المحنة الدينية ، نقل صاحب « بزم اخر » (المحفل النهائى) — و هو قضى بعض ايامه فى القلعة الحمراء بدلهى مع الاسر الملكية — فى كتابه بعض ما رأى من سوء حال الملوك فذكر منه « كان ابناء الاسرة الملكية يقيمون المواكب المحرمية كعادة الشيعة و يمثلون ادوار المقتولين فى كربلاء و يحاكون الحسن و الحسين و يضربون على الطبول و ينفخون فى الابواق و ينشدون المراثى و ياتون كل الخرافات التى جاءت عن طريق الشيعية حتى ان الملك نفسه يحاكى فقيرا للحسن و الحسين و يلبس

(١) من الحقيقة المرة يجب ان نعترف بها كمسلم صادق ان ابناء الاسلام لم يعنوا بالاسلام فى الهند و ثنوا البال عنه مدة بعيدة خمسة قرون متوالية و لم ينظموا امر الدعوة فتقاصت تعاليمه فى حدود متعينة و ما تمتع بها من كان جديدا بالاسلام و من يعود اليه اكبرالذنوب على الاخص هم الملوك و ولاة الامور الا البعض منهم يتلالأ ذكرهم عــلى صفحات التاريخ و لو لا وجود الصوفية و جهودهم الجبارة المتوالية و ما يمتلكون من حرارة دينية و غيرة اسلامية و بعض الجهود المنفردة لما قامت للاسلام و المسلمين فى الهند قائمة و انهار لمانه و ذهب بريقه .

(٢) انظر المقالة « شهيد اعظم » للاستاذ سعيد احمد الاكبرابادى ، نشرتها المجلة « الفرقان » فى عدد خاص .

ثيابا خضرة و يعلق فى عنقه اكياسا من هذا اللون و السيد منهم يسحبه بالسلاسل و يكون احد منهم ساقيا يسقون الحضور و يطوف حامــلا سقايته على ظهره (١) .

و تفعل الاسرة الملكية كل ما تعمله الشيعية فى هذا الشهر من الخرافات و الأمور الماجنة و المحاكاة القدعة و التمثيلات و الفحشاء و المستهجنات و هى تقضى حياة مهينة ذليلة فى السجن طائعة لامر الانجليز و مجلاة عن عرش البلاد التى حكم عليها آباءها قرونا طويلة و مدة غير قصيرة .

و كانت البلاد قد تفشت فى اكثر مناطقها العقائد الشيعية و ميولها و تمثلت فى حياة العامة ميوعتها و آدابها بحكم كونهم فى اكثر المناطق و الاقاليم متبوئين على عروش الحكم قابضين عـلى أزمتهم . يقول الشيخ مناظر احسن الغيلانى « كان بهادر شــاه مائلا الى التشيع و كل من جاء بعده من الملوك المغول يوجد فيه ميل الى العقائد الشيعية ثم حدثت فى الهند تطورات ادت البلاد الى حالة تسودها النزعات الشيعية و تحولت ازمة الأمور السياسية الى ايدى أهل التشيع يعلمون عقائدهم فى عان و جهر و يندر حينئذ شخصيات بارزة لم تتملك قلوبه نزعات شيعية و كانت هذه الوبئية عامة ابتليت بها الحكومة الهندية المسلمة فى آخر ايامها (٢) و يقول فى مكان آخر : منع فى خطبات الجمعة ذكر اسماء الخلفاء الثلاثة

---

(١) سوانح قاسمى ص ٦١ ج ٢ نقلا عن « بزم آخر » (٢) سوانح قاسمى ص ٦٠ ج ١

ابي بكر و عمر وعثمان ، و من الملوك المغولى من هو من أهل السنة بحكم الاسم و لكن حياته كلها كانت اختلطت بالعقائد الشيعية اختلاطا كبيرا و لم يبق بينه و بينهم فرق كبير و قد غلب هذا اللون على اكثرية المسلمين فى الهند (١) .

ان بهادر شاه نفسه يدعو علماء الطرفين الى بلاطه للمناظرة و يحمى الشيعية (٢) و البديهى ان الشعب يكون طوع امر الحكومة و رهن عقائدها و تتفاعل حياة الشعب بحياة الحكومة ، و نقطع بحكم التاريخ بان فساد الشعب يعود اكثره الى فساد الحكومة و ما تحسنت حاله الا اذا تحسنت الحكومة ، و من الداهية العظيمة التى واجهتها الامة الاسلامية فى كل عصرها وجود علماء السوء و انتشار عقائد الصوفية الملحدة و كون المشعوذين مبعثرين مع خزعبلاتها و افانينهم ، يعيثون فى الارض فسادا و تنبعث عنهم جراثيم اخلالية فتاكة يستحلون الحرام و يحرمون الحرام يخلعون ربقة الشريعة من اعناقهم بدعوى انهم عاملون بالطريقة ، فالطريقة عندهم اسم للتجرد من الاخلاق الكريمــة العالية و التنكص عن الفرائض و الواجبات و التعرى من لباس النبالة و الكرامــة و الابتعاد من الكتاب و السنة و التعامى عن الشريعة فكذلك كان ذلك العصر الذى نتحدث عنه عانى اهله هذه المصيبة الطامة و النكبة الاليمة .

و كانت هــذه النكبة اية نكبة للاسلام فى الهند و اية رزيئة للسلمين بها فقد ذهب هـذا برواء الدين و لمعانه . ابتعد الناس من

---

(١) . سوانح قاسمى ص ٦١ ج ٢ ؛ (٢) سوانح قاسمى ص ٦١ ج ٢ ؛

القرآن و السنة و نبذو تعاليمهما النقية الطاهرة وراء ظهورهم وحلي محلها من البدعات و المنكرات و الفساد و الزيغ ماشوه وجه الدين و قبح منظره و كدرصفوه و مسخ صورته . و كان ذلك الوقت شديدا على الاسلام و المسلمين قد تفشت الجهالات و الاظلام و عم الشرك و البدعة و العدوان على الدين و البغى على علماء الحق . و الفسوق و الانحراف عن الآداب الاسلامية المشوهة و الزيغ في العقائد ، و خلت القلوب من الايمان الحقيق و انتفت الغيرة الاسلامية و الانفة الايمانية فلم يكن الاسلام الا مجموعة اوهام و عادات جاهلية عضت الامة الاسلامية عليها بالنواجذ مطمئنة بايمانها الزائف مغترة باسلامها المشوه(۱)

و كانت طبقة الصوفية الضالة سوسا فى كيان الامة الاسلامية ، نخر جسمها و اكل من ايمانها و عقائدها و جرت عليها اعظم النكبات و جعلتها فى مصيبة طامة يقول مجدد الالف الثانى فى هذه الطبقة : بعض الصوفيين و الملحدين يتصدون لأن يجردوا انفسهم عن الشريعة و يحسبون ان الاحكام الشرعية انما هى للعامة فحسب (۲) و يقول : ان بعضا من الصوفية يعنون بالاذكار و الاوراد و يهملون الفرائض و السنن . جعلوا لانفسهم رياضيات و مجاهدات غير عائبين بالصلوة و الجماعة (۳) .

و كانت تظن هذه الطبقة من الصوفية ، الطريقة ، هى الأصل

(۱) راجع « تقوية الايمان للعاهد الشهيد اسمعيل » ، و الصراط المستقيم) للشيخ المذكور و مقالة الاستاذ الاكبر آبادى المذكورة . (من مكاتيبه نقلا عن تذكرة المجدد .

(۳) المكاتيب ج ۱ ص ۲٦۱ .

و اما الشريعة فهى كالقشر و كان من قولها السائر : ان الشريعة قشر الحقيقة و الحقيقة مخ الشريعة (١) و كانت العامة من المسلمين مصيدة لشبكاتها مخدوعة بعمائمهما مغترة بمظاهرها الخلابة تعتقد فيها ما يقوله مجدد الالف الثانى : ان من بايع على ايدى هولاء المتصوفين فهو حر فى فعل ما يشاء فان مرشده يقيه يوم القيامة شر العذاب (٢) و يذكر المجدد فى بعض مكاتيبه حالة المسلمين فى وقته و يتحسر عليها : « قد بدا كثير من عقائد اهل الشرك و الكفر فى المسلمين (٣) .

و قد نشا هذا الداء فى جميع البيئات و المجتمعات و بخاصة كانت احوال النساء اقسى وانكر ياتين الشرك و يفعلن الكفر فى علن دون اكتراث و من غير شعور بدينهن و قد ذكر المجدد ما بلغ اليه من احوالهن يقول : الاكثرية من نساء المسلمين ابتلين بالحرام و المحظورات و الاستمداد بغير الله و هن فى جهالة عامة متراكمة (٤)

و كان ذبح الحيوان على القبور باسم الله فاشيا و الاستعانة باصحابها عامة و تقديم النذور للاولياء و السجود من الدين و من اهم الامور الشرعية يبتلى بها كل صغير و كبير ، يصور الشيخ السرهندى حالة البدعة التى انغمس المسلمون فيها « ان الدنيا منغمسه فى بحر البدعات و تطمئن فى ظلامها . لا يستطيع احد ان يقوم لمحوها و ازالتها و احياء السنة و اشعال شمعة الشريعة و يلفظ بكلمة حقة و يدعو الى تعاليم الاسلام ،

---

(١) المكاتيب نقلا عن تذكرة المجدد ص ١١٦ : (٢) المكاتيب ج ٣ ص ٧٥ :
(٣) المكاتيب ج ١ نقلا عن التذكرة ص ١١٩ : (٤) التذكرة ص ١١٩ :

ان العلماء انفسهم مغمورون فى البدعات و الضلالات و ساعون فى اخماد السنة (١) . كان العلماء بدل ان يهدوا الناس الى المعروف و الكتاب و السنة يرشدونهم الى البدعات الخرافات غير خائفين من الله . يقول الشيخ السرهندى : ان العلماء انفسهم يرشدون الى البدعة و يظنون انهم يحسنون صنعا . و يفتون لجوازها (٢)

و يقول فى مكتوب آخر : قد تسلط علـــى اهل الهند ظلمات الشرك و البدعات بعد الف عام و تضائل نور الاسلام و السنة (٣) .

و قد استمرت هذه الحال الى ان نهض الشيخ السيد اسمعيل الشهيد بدعوته و اتباعه لمكافحة هـــذا الداء و ازالة الرجس الذى علق بعقيدة اسلامية صافية خالصة من كل شائبة فجعلو الاصلاح و التوحيد من اهم مقاصد حياتهم و كان بناء دار العلوم نوعا من تلك الجهود التى اضطلع هؤلاء المخلصون ، و قد نجحت دار العلوم فى اهدافها السامية و اغراضها النبيلة الى حد بالغ فى تاريخ الاصلاح و التوحيد يخلد اسمها على صفحات التاريخ الهندى .
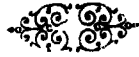
(١) المكاتيب ج ١ ص ٢٧٠ : (٢) المكاتيب ج ٢ رقم ٥٤ :

(٣) المكاتيب رقم ١٢٠ الدفتر الثالث :

القضية الفلسطينية اسلامية لا عربية محضة

بقلم : الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بالفقيه العلوى
مفتى لجنة الافتاء و المدير العام لمعهد دار الحديث الفقهية بما لانج

ان القضية الفلسطينية . خصوصا بعد احراق المسجد الاقصى الذى أشعله اصبع الشيطان الصهيونى ، فقد شغل جانبا عظيما من اهتمام المسلمين فى جميع أنحاء العالم . فقد مستهم الحادثة و ضربت على الوتر الحساس من قلوبهم و شعروا بلطمة العار فى وجوههم ، لان المسجد الاقصى هو أولى القبلتين و ثالث الحرمين الشريفين و البقعة الطاهرة التاريخية التى انطلق منها نبيهم محمد ﷺ فى عروجه الى السماء السابعة للمثول بين يدى الحى القيوم لهو من المقدسات الدينية التى لا يمكن أن تنتهك حرماتها دون التعرض لغضب الأمة الاسلامية فى مشارق الأرض و مغاربها .

فما من مسلم يدين بدين الاسلام الا و يشعربان من واجباته الدينية أن يهب مجاهدا فى سبيل تحرير تلك البلاد المقدسة من الايدى الآثمة لتلك الفئة الباغية التى احتلها ظلما و عدوانا و اكتسحتها حروبها الغادرة و دنستها بشتى أنواع المآثم و ضروب المخازى و الخلاعات بدون

اى اعتبار لوجه الانسانية أو تقديرالوثائق التى تواضعت عليها الامم لصيانة الذم و كفالة الكرامة الانسانية و احلال السلام ·

و ها هى مراجل الغضب فائرة فى العالم الاسلامى تتبعها حركات دائبة و نشاط مستمر فى اثارة الحماس و الاهابة بالمسلمين لمقابلة العدوان الاسرائيلى و إكراههم على الانسحاب من كل قطعة اسلامية أخذوها غدرا و ضربهم الضربة القاضية جزاء تلاعبهم بالاسلام و المسلمين ·

و كذلك كان فى أندونيسيا فان الشعب الأندونيسى المسلم و هم الأغلبية الساحقة ليشاركون اخوانهم فى الشعور و العواطف و يتألمون من هذا الامتهان الذى نالهم و هذه المظالم التى انزلها اسرائيل على الشعب الفلسطينى الوديع من الطرد و الضرب و ضروب الاهانات و هتك الاعراض و أنهم ليرون أن القضية قضيتهم لا تخص العرب وحدهم و لكنها قضية اسلامية عامة مستندين الى هدى نبيهم صلوات الله و سلامه عليه و على آله حيث يقول :

مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى (رواه احمد فى مسنده و مسلم عن النعمان بن بشير باسناد صحيح)

فلا عجب اذن أن نرى فى الوطن الاندونيسى المحبوب ما نراه فى البلاد الأندونيسية الأخرى من ثوران الحماس و غليان الكراهية و الاشمئزاز من الأعمال الجهنمية التى يرتكبها اليهود فى المسلمين الأبرياء و احراقهم المسجد الأقصى ·

و قد إشتركت الجاليات الاسلامية و الحكومة معا فى التنديد بمظالم اليهود و اعتداآتهم و هذا رئيس جمهوريتنا سوهارتو يرفع صوته عاليا فى احدى خطبه حديثا بالاستنكار لأعمال اليهود و تعديهم على ولايات اسلامية بغير ما مبرر و أعلن وجوب انسحابهم مما اعتدوا عليه كما أن جميع الصحف الاسلامية و الوطنية لا تخلو صفحاتها بين آونة و أخرى من الحملات الشديدة و التشنيع بالصهيونية الآثمة ·

و لكن بجانب ذلك فقد اكتشفت احدى الجرائد المحلية عن نشاط المرتزقة اجراء اليهود هنا و عن تخصيص مبلغ عظيم من المال لتمويل حركاتهم و محاولاتهم فى تحويل الرأى العام الاندونيسى الى أن القضية هى قضية عربية محضة و أن الذى أحرق المسجد الأقصى ليس اسرائيليا بل شخص استرالى استأجره العرب لكسب الموقف . فلا داعى فى نظرهم الى اعارة اهتمام لها بصفة خاصة و اثارة الحماس العاطفى فضلا عن الحض و الاهابة بالشباب الأندونيسى للتطوع فى تائيد العرب

و لكن المجتمع الأندونيسى المسلم لم يعد يتأثر بهذه الدسائس التى دسها أصبح الشيطان بواسطة الجرائد و الصحف المأجورة . فما زلنا و الحمد لله نرى الحماس فى أشد التهابه بين المسلمين كما نرى زعماء الاسلام و علمائه لم ينفكوا فى الاهابة و الاستحثاث على الجهاد و مناصرة اخوانهم فى تحرير الاراضى المقدسة . و كان ابرزهم فى ذاك و أجدرهم بالذكر فضيلة الأستاذ الامام الحافظ السند الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه العلوى الداعية الاسلامى الكبير و المدير العام لمعهد دار الحديث

الفقيهية ، مالا نج — اندونيسيا . فقد كان فضيلته دائما يحض على الجهاد و تحرير فلسطين المنكوبة و أن يتحد المسلمون فى جميع أقطار الأرض على طرد اليهود من الأراضى الاسلامية . فما من فرصة فى ضمن قيامه بالدعوة و بث الوعى الاسلامى الا و يغتنمها بالقضية سواء فى خطبه و محاضراته أو بواسطة المذياع الأندونيسى أو فى تجواله الدائمى الى المدن و القرى و الارياف الاندونيسية بله و حتى الى خارجها كما قام حديثا برحلة علمية الى البلاد الماليسية و سنغافورا لخصوص الدعوة و بث الوعى الاسلامى فقد القى هناك عدة خطب و محاضرات بحضور جلة من العلماء و الفضلاء و نخبة من الاعيان و الزعماء رسميين و مدنيين و جمهور غفير من الشعب المسلم فاهاب بهم و ذكرهم بما يلاقيه الاخوان الفلسطينيون من صنوف الظلم و العسف : و الطرد من أوطانهم و احراق المسجد الأقصى و ما الى ذلك من الامتهان لكرامة الاسلام و المسلمين .

و لطالما سمعنا فضيلته و هو يهدر من علا المنابر يندد و يستهجن باعمال اليهود و بمظالمهم و فظائعهم و تعديهم على المقدسات الدينية التى يقدسها المسلمون فى جميع أقطار المعمورة و خرقهم المواثيق التى تو طأت عليها الأمم و الحقوق الانسانية فينادى بكل حماس .

وا اسلاماه - - - - وا اسلاماه - - - - فيهيب بالمسلمين أن يهبوا و يتحدوا و يجاهدوا فى سبيل الله و يحرروا الأماكن المقدسة من بين براثن أولئك الوحوش الكاسرة و يهيئوا شبابهم الاشداء للتطوع فى مناصرة

اخوانهم المسلمين و يبثوا بما تجمع لديهم من المال لمساعدة تلكم الحركات التحريرية المباركة مستندا بآيات القرآن الكريم و أحاديث السنة النبوية منها .

قوله تعالى : انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا باموالكم و أنفسكم فى سبيل الله (التوبة ٤١) و قوله أيضا : يا أيها الذين آمنو هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تومنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله باموالكم و أنفسكم ذلكم خيرلكم إن كنتم تعلمون . (الصف ١١)

و قوله : ان تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم (محمد ٧)

و فى الحديث النبوى الشريف عن أبى هريرة رض قال سئل رسول الله ﷺ أى العمل أفضل ؟ قال الايمان بالله و رسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله . ثم ماذا ؟ قال حج مبرور . متفق عليه

معهد دار الحديث الفقيهية / كلية المعلمين
و كلية الدعوة الاسلامية ما لا نج اندونيسيا
قسم الدعوة

حى على الصلاة

أذان الفجر فى المسجد النبوى الشريف

الأستاذ (الحكيم) محمد كامل بحر العلومى

أوشك أن يطلع نجم السحر ... و الصباح فى السماء انفجر
النجوم إستمالت للافول ... نور فجر ضائل ضوء القمر
انقض الديك بلحن أعذب ... غرد الطير بنغمات ، صفر
فى المدينة هبت أرجات النسيم ... فى الحدائق كل نور انفغر
يسطع نور الصباح فى الورى ... فوق أرض ينزل مثل المطر
قد علا صوت المؤذن فى الهوى ... أذن فى مسجد خير البشر
نغمة قدسية تعلو على ... أجنح ريح الصبا . لاح السحر
يصغى أذنيه ملاك نحوها ... قد صحى نومه ، كل البشر
من أذان مسجد ختم الرسل ... إمتلى قلب بفرح و ازدهر
نغمة من لحن جنات النعيم ... إعتلت ، زهر القلوب إنفغر
كان يسعى المسلمون للصلاة ... للجماعة فى الصفوف قد حضر
ذات حلو فى فؤاد المسلم ... و المصلى فى المصلى إبتكر

بشرى لى

قيل لرجل أن الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب أو تصاوير .
فقال : بشرى لى . إنى اعيش دائما ابدا ، لأنى أربى كلبا فى بيتى فان ملائكة الموت لا تدخل بيتى .
قيل مرتجلا : تنزع روحك الملائكة التى تنزع روح الكلاب .

دقة بدقة

ان رجلا ادعى النبوة فى ايام احد الملوك ، فلما حضر بين يديه ، قال له : أانت نبى ؟ قال نعم . قال : الى من بعثت ؟ قال : اليك . قال : أشهد انك سفيه احمق . قال : انما يبعث لكل قوم مثلهم .
قال : انما يبعث لكل قوم مثلهم :

متى هذا الوعد

قال بعض العلماء ، كان لنا صديق من أهل البصرة ، و كان ظريفا اديبا

فوعدنا ان يدعونا الى منزله . فكان يمر بنا . فكلما رأيناه قلنا :
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ؟
فسكت الى أن اجتمع ما يريده . فمر بنا . فاعدنا عليه القول .
فارتجل فى الجواب . انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون .

لم ضحك المنصور

قال ابو يوسف ان المنصور دعا ابا حنيفة . فلما حضره فاكرمه المنصور حق اكرامه «فقال الربيع» حاجب المنصور ، و كان يعادى اباحنيفة «يا امير المؤمنين ! هذا ابو حنيفة يخالف جدك عبد الله بن مسعود .
» كان ابن مسعود يقول . اذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء . و ذهب ابو حنيفة الى انه لا يجوز الاستثناء الا متصلا باليمين «

«فقال ابو حنيفة : يا امير المومنين ! ان الربيع يزعم ان ليس لك فى رقاب جندك بيعه قال و كيف ؟
قال . يحلفون لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون . فيبطل ايمانهم .
فضحك المنصور . و قال يا ربيع ! لا تعرض لأبى حنيفة . فلما خرج ابو حنيفة ، قال له الربيع اردت ان تشيط دمى .
قال : لا : و لكنك اردت ان تشيط بدمى فخلصتك و خلصت نفسى .

حج فى غير اوان

قال الجاحظ : رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادى عليها ، و على

خدها خال ، فدعوت بها ، و جعلت اكلها ، فقلت لها : ما اسمك ؟ قالت : مكة : فقلت . الله اكبر ! قرب الحج ، أتاذنين لى أن أقبل الحجر الأسود ؟
قالت لى : اليك عنى ، ألم تسمع قول الله تعالى ، لم تكونوا ببالغيه الا بشق الأنفس .

امام القاضى

قال اسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة : ما ورد على مثل امرأة تقدمت . فقالت : ايها القاضى ! ابن عمى زوجنى من هذا ، و لم اعلم ، فلما علمت رددت ، فقلت لها : و متى رددت ؟ قالت : وقت ما علمت ! قلت و متى علمت ؟ قالت : وقت ما رددت .

يا نوح ؟

ان رجلا ادعى النبوة و زعم انه نوح . فصلب . فمر به رجل ، فقال : يا نوح ! لم تحصل من سفينتك الا على الدقل .

يا ذا القرنين

فر بهلول من الصبيان فالتجأ الى دار فوجد بابها مفتوحا . فدخلها ، و صاحب الدار قائم له ضفيرتان ـ فصاح ما ادخلك فى دارى ؟ فقال : يا ذا القرنين ان ياجوج و ماجوج مفسدون فى الأرض .

منطق عجيب

و ايضا فر من الصبيان فدخل دارا ، فدعا الرجل بالطعام ـ فجعل الصبيان يصيحون على الباب و هو يأكل و يقول : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب .

﴿ هــدية و مــذكــرة ﴾

بعث السلطان عبد العزيز العثمانى بقرطين هـدية للملكة فكتوريا ملكة بريطانيا صحبة ياوره فؤاد باشا ، و لما سلمها القرطين سألت الباشا عن سبب اختيار السلطان لهذه الهـدية ـ ـ فاجابها : لتكون ــ المسألة الشرقية ــ عنـــد اذنيك دائما يا صاحبة الجـــلا لة ! ؟

النشـاط الاسلامى فى العالم

- تدرس وزارة التربية فى الكويت اقتراحات برلمانية بانشاء معهد دينى ابتدائى فى كل محافظة و معهد دينى ثانوى و معهد دينى للفتيات تدعيما للرسالة التى يقوم بها المعهد الحالى فى نشر الاسلام و الحفاظ على القرآن و السنة .
- تتضمن خطة وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت للسنوات القادمة بناء حوالى مائة مسجد جديد و ترميم المساجد القائمة .
- انشئ بوزارة الأوقاف للجمهورية العربية مكتب دينى مثلت فيه سائر الهيئات الاسلامية فى الجمهورية العربية المتحدة .
- اعتمد معالى وزير المعارف بالمملكة السعودية خطة لنشر التوعية الدينية فى المراكز الصيفية لرعاية الشباب .
- وزعت وزارة العدل بلبنان على المحاكم اللبنانية منشورا يطالب المحاكم بضرورة مراعاة اوقات الصلوة ، اما بتأجيل الجلسات حين الصلوة او عدم تعيين جلسات اصلا للسلمين يوم الجمعة .
- اعلن مدير المدارس القرآنية بليبيا بالجامعة الاسلامية ان اقبال الفتاة الليبية على التعليم الدينى قد سجل ارتفاعا ملحوظا ، و يبلغ عدد مدارس البنات ١١ مدرسة بها يزيد عن ٦٠٠ طالبة ، و سيفتتح معهد البنات فى نبغازى فى العالم الدراسى القادم .

- افتتحت فى تركيا مدرسة دينية للبنات فى حفل كبير ضم عـــددا من المسؤلين ، و قد ذكر نائب رئيس الشئون الدينية فى كلمة القاها فى الحفل اننا نحن المسلمين نرفض التقدم الانحلالى . و نحن بحاجة الى انسان يقدمنا الى الله تعالى ·
- اعلنت الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم عن مسابقة عالمية للقرآن الكريم . تقام لأول مرة فى القاهرة . و سيحتفل باعلان نتيجتها ليلة القدر برئاسة فضيلة شيخ الأزهر ·
- تقرر التوسع فى التعليم الدينى (فى القاهرة) بجميع مراحل التعليم و سيضع البرامج و الأسس العامة له لجنه عليا يرأسها وزير الأوقاف و الأزهر الدكتور عبد العزيز كامل
- قرر فى القاهرة وزير الأوقاف و الأزهر انشاء متحف للفن و الآثار الاسلامية يلحق بمسجد السيدة زينب بالقاهرة ·
- قرر (فى المغرب) مؤتمر الجامعات و المؤسسات الذى انعقد فى الرباط فى الشهر الماضى انشاء رابطة للجامعات الاسلامية مهمتها تعزيز التبادل الثقافى و توزيع التقارير عن التعليم العالى و العلوم الاسلامية و تنسيق الدراسة بين الدول الاسلامية ·
- اجتمع مندوبو ٢٤ منظمة اسلامية فى الرباط لتأييد مقررات القمة الاسلامية و العمل على النساء رابطة قوية بين مختلف المنظمات الاسلامية الشعبية لتبادل الرأى و المشورة فى المسائل الاسلامية ـ

انباء عن دار العلوم

- انعقد اجتماع الدورة السنوية الاخيرة لمجلس الشورى و حضره اكثر اصحاب السماحة الأعضاء ، و بعد استعراض النظام الاداری و التعليمی اتخذوا عدة قرارات بشأن تنمية الدار و رفــــع مستواهــا التعليمی و التربوی .
- جرى الامتحــان السنوى شفويا و تحريريا من آخر شهر رجب الى نصف شعبان فی جميع الاقسام التعليمية ، اشترك فيه حوالی الف و خمس مائة طالب .
- عطلت الدار . عطلة دراسية سنوية من العشرة الأخيرة من شعبان الى العاشر من شوال . و بعــــد انتهاء العطلة بدأت الدار نشاطها و عامها الدراسی من الحادی عشر من شوال و جرى امتحان القبول للعام الدراسی الجديد للطلبة الجــــدد كما جرى تجديد التحاق الطلبة القدامی ، ثم بدئت الدروس و المحاضرات فی الأقسام كلها من غرة ذی القعدة سنة ١٣٨٩هـ ·
- قد زار فی هذه المدة عدة بعثات و افراد و شخصيات من مختلف أنحاء الهند و البلدان الخارجية اما للزيارة و الاطلاع على احوال الدار أو للبحث و التحقيق بالإستفادة من مكتبة دار العلوم الذاخرة

بالنوادر و المخطوطات و الكتب العلمية .

قد تم بناء فصل دراسى فى الجانب الشرقى الشمالى كما سيدأ العمل فى إقامة مبان اخرى للفصول الدراسية .

قد تم بناء القاعة الكبرى المجاورة للمكتبة للطالعة و يجرى الآن تنسيقها و تأثيثها اللازم .

قد قبل بعد مقابلة اختيارية ثلاثة من نخبة التلاميذ المتخرجين فى الحديث فى قسم الأبحاث للعلوم القرآنية و قد كلف كل منهم باعـداد مبحث حول عنوان معين من العناوين المقترحة من قبل لجنة الاختبار و التعيين . و يجرى العمل فى هذا القسم تحت مراقبة فضيلة الشيخ مولانا فضل الله عضو مجلس الشورى و أستاذ الجامعة العثمانية بحيدرآباد سابقا .

ضيوف المجلة .

قد شرف ادارة مجلة دعوة الحق كثير من حضرات العلماء و الضيوف الممتازين من الهند و خارجها . و تحدثوا حول موضوعات علمية و اجتماعية و تبادلوا الأفكار و الآراء فى شتى الموضوعات التى تمس مصالح الدين و المسلمين .

سافرت بعثة تعليمية هندية الى المـدينة المنورة الالتحاق بجامعتها العامرة مكونة من ثلاثة متخرجين من دار العلوم و هم الاخ اخلاص احمد و الاخ اسرار احمد . و الاخ ارشد رضا . و قد تم التحاقهم بالجامعة ، نرجو لهم التوفيق و النجاح .

مناسبة الأسماء للاوصاف

يقول ابن القيم : و تأمل أسماء الستة المتبارزين يوم بدر . .
كيف اقتضى القدر مطابقة أسمائهم لأحوالهم يومئذ - - !
فكان الكفار شيبة و عتبة و الوليد - - ثلاثة أسماء من
الضعف ، فالوليد له بداية الضعف ، و شيبة له نهاية الضعف
كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد
ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيبة) و عتبة
من العتب — اى اللوم — فدلت أسماؤهم على عتب يحل بهم
و ضعف ينالهم .

و كان أقرانهم (عليا) و (عبيدة) و (الحارث) رضو
ثلاثة أسماء تناسب أوصافهم و هى العلو و العبودية و السعى
الذى هو الحرث فعلوا عليهم بعبوديتهم و سعيهم فى حرز
الآخرة .

تلك هى دلالات الأسماء التى ادلت بنصيبها فى هذه المعركة
فكان النصر فى جانب الأسماء ذات الدلالة الموصية بالقوة
و العزم ، و كان الانحدار للاسماء ذات الدلالة الدالة على
الضعف و الخور .

ـ ـ ـ ـ ـ

اعلان ملکیت دعوة الحق

حکومت ہند کی وزارت اطلاعات و نشریات کا مطلوبہ بیان بابت ملکیت و دیگر تفصیلات مطابق دفعہ نمبر ۸ ضابطہ رجسٹریشن اخبارات مجریہ سنہ ۱۹۶۵ع حسب ذیل ہے :

۱ -	نام مقام اشاعت	دیو بند
۲ -	مدت اشاعت	سہ ماہی
۳ -	پرنٹر ، پبلشر ، اڈیٹر	وحید الزماں کیرانوی
۴ -	قومیت	ہندوستانی
۵ -	پتہ	ابو المعالی دیو بند
٦ -	مالك	دار العلوم دیو بند

میں وحید الزماں اعلان کرتا ہوں کہ مذکورہ بالا تفصیلات میرے علم و اطلاع کے مطابق درست ہیں .

وحید الزماں کیرانوی

طبعت بالمطبعة الحميدية ، سرائمیر ، اعظم گڈھ

قام بالطبع و النشر وحید الزماں الکیرانوی من دار العلوم بدیو بند

تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

دعوة الحق

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم ديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤل :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوى :

فى الهند و پاكستان بست روبيات

فى الخارج ما يعادلها عدا اجرة البريد

العدد الثانى المجلد السادس

ربيع الأول سنة ١٣٩٠ھ

مايو سنة ١٩٧٠م

محتويات هذا العدد

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٦ ربيات فى پاكستان إلى العنوان التالى :

الحاج شوكت على يو ، پى سوڈا فيكٹرى ناتهہ روڈ ـ لاهور .

ملحوظة : يرسل إيصاله إلينا بعد تحويل المبلغ على البريد .

بسم الله الرحمن الرحيم

انتم الاعلون

و لا تهنوا و لاتحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مومنين ٥
(سورة آل عمران)

الوهن : الضعف فی العمل و فی الأمر و فی الرای ، والحزن الم يعرض للنفس اذا حرمت ما تحب و فقدت ماترغب فيه ، فالمعنى : لاتضعفوا و لا تضمحلوا ايها المسلمون من القتال و ما يلزمه من التدبير بما اصابكم من القرح و الفشل (فی احد) ليس مما ينبغی ان يكون موهنا لامركم و مضعفا لكم فی عملكم و مفترا لعزائمكم و لا موجبا لحزنكم و انكسار قلوبكم و اضمحلال معنويتكم ، فان ذلك لم يكن نصرا تاما ، نهائيا للمشركين عليكم ، و انما كان لكم فيه تربية و تنبيه على ما وقع منكم من مخالفة قائدكم رسول الله ﷺ فی تدبيره الحربی المحكم ، و بهذه التربية تكونون احقاء بان لاتعودوا الی مثل تلك الذنوب والاخطاء ، فتكون التربية خيرا لكم من عدمها

بل يجب ان تزيدكم المصائب و الشدائد قوة و ثباتا حتى ترغبوا فى احدى الحسنيين ــ ، الظفر او الشهادة ، و تربيكم على اتباع سنن الله فى الحزم و التدبير و احكام العزيمة و استيفاء الاسباب فى القتال و غيره ، و ان تعلموا ان الذين يقتلون منكم شهداء احياء عند ربهم يرزقون .

فكيف تهنون ايها المومنون و كيف تحزنون و انتم الاعلون بمقتضى سنن الله تعالى فى جعل العاقبة للمتقين ، الذين لايحيدون عن سننه و قوانينه و لايتخلفون عن نصر من ينصره و يتبع سننه باتباع الحق و اقامة العدل .

و لاشك ان المومنين احدر بذلك من الكافرين الذين يقاتلون لمحض البغى و الانتقام او الطمع فى المال و السيادة و العز و الجاه . فهمة الكافر تكون على قدر مايهدف اليه من الغرض الخسيس و مايتطلبه بجهوده من العرض العاجل القريب ، فشتان ما بين هذه الهمة و همة المؤمنين التى ترمى اقامة الحق و نشر العدل و الخير فى الدنيا و السعادة الابدية و العرض الآجل فى الآخرة .

و لكن الشرط فى ازالة ما لحقكم من عار الفشل و استرجاع ما فاتكم من هيبة و جلال الشخصية الاسلامية ان تكونوا مؤمنين صادقين فان الله وعد بنصر من ينصره و اعانة من يستعينه و جعل العاقبة للمتقين الذين يتبعون سننه فى نظام الاجتماع البشرى و الذين قد صار لهم هذا الايمان وصفا ثابتا لهم حاكما بضمائرهم و اعمالهم فهم الاعلون و المنتصرون الفائزون .

روائع الحكم

من افادات الامام الكبير مولانا الشيخ محمد قاسم النانوتوى رح

موسس دار العلوم بديوبند

• • •

وحدة الوجود

ان وحدة الوجود لا تزال تردد على السنة الخاصة و العامة منذ قديم . و لكننا حين امعنا النظر فى هذه الكلمة وجدنا لها معانى مختلفة بحسب اختلاف مواضع ورودها بحكم الذوق و العقل ، فاهل الحال (۱) و من يصدقونهم على غير بصيرة يريدون « بوحدة الوجود » « وحدة الموجودات » ، و اما الذين يهتدون الى معانى الكلمات بواسطة دلالتها الوضعية و حقيقتها اللغوية فلا يرضون بحال بالمعنى السابق ، فهم انما

---

(۱) اصطلاح الصوفية .

یریدون بوحدة الوجود وحدانیة صفة الوجود (فی الموجودات) لا الموصوفات بالوجود -

ان وحدة الموجودات حال و وحدة الوجود حقیقة حال ، تتعلق الاولی بالشهود و العیان فحسب . لا علاقة لها بالواقع ، فمن الجائز ان یعبر عنها بوحدة الشهود بدلا من وحدة الوجود ، و اما وحدة الوجود بمعنی اتحاد صفة الوجود فذلك امر واقعی و لا یمکن ادراکه او مشاهدته الا لمن لیس هو مغلوب الحال الذی یصح ان یطلق علیه ابوالحال (۱) مکان ابن الحال (۲) ولیس یخاف علی ذی‌الحقائق ان وجود الصفات و عمومها فی العالم انما هو بطریق العروض و الطریان و ایضاحه ان الاتصاف له صورتان ، اما ان تکون الصفة صادرة عن موصوفها ، و یکون الموصوف فی حقها مصدرا . ولا تکون صفته عطاء من غیره و مستمدة من خارج بل تکون هی ذاتیة تابعة من نفس الموصوف کمثل حرارةالنار و نور الشمس فی مظاهرهما فانهما فی حق النار و الشمس کصفتین ذاتیتین صادرتین منهما بحسب الظاهر اذ لا یعلم شئ فی عالم الاسباب بحسب الظاهر یمکن جعله واسطة حصول النور و الحرارة لهما کما انهما تکونان واسطة لحصول الحرارة للماء الساخن و النور الارض .

و الصورة الثانیة هی ان تطرأ الصفة علی موصوفها من الخارج لا تصدر من نفسه و لا تکون فی حقها ذاتیة بل تکون عطاء من الغیر

---

(۱) ابو الحال الذی یکون علی وعی لا یغلب علیه حالة .

(۲) ابن الحال الذی صار مغلوب الحال و لم یبق علی وعی .

و هذه هی الصورة التی نعبر عنها بالعرض و عن وقوعها بالعروض والذی سبق ان قلنا ان عموم الصفات فی العالم انما یکون بطریق العروض فکان المراد بذلك هو هذا العروض ای ان الموصوفات فی العالم لیست لها صفات ذاتیة صادرة من ذواتها بل انما هی عارضة لها عطاء من غیرها و ان مصدر الصفات انما یکون واحدا و هو الذی یسمی موصوفا بالذات او الموصوف الاول الحقیق . فان لم تکن وحدة مصدر الصفات ضروریة فلا تکون وحدانیة الله تعالی کذلك ضروریة . فان الله هو الذات المقدسة التی تکون مصدرا للوجود ، و موصوفا به بالذات فوجود ماسوی الله عارض له . فاُفیض علیه من مصدره الاصیل و هو ذات الله عزوجل .

و کذلك ان لم تکن وحدة مصدر الوصف ضروریة و لم یکن من مقتضی ذات المصدر فلا تکون حینئذ وحدانیة الله تعالی ایضا ضروریة و ذاتیة ، بل تکون هناك علة خارجیة لاتصافه بالوحدانیة ، و ظاهر ان الوصف الذی یحصل للوصوف لعلة خارحیة لا یکون فی حق الموصوف ذاتیا بمعنی اقتضائه الذاتی . و ان لا فلا حاجة له لعلة خارحیة ، و ربما یکون مثل هذا الوصف المکتسب من العلة الخارجیة فی معرض الزوال مثل حرارة الماء الساخن الحاصلة بالعلة الخارجیة — و هی النار — و کنور الارض الحاصل من العلة الخارجیة — ای الشمس — فهما وصفان یتعرضان للزوال لیس لها بقاء لانهما عارضان للماء و الارض .

اذن فیکون قیام الوصف بموصوفه فی هذه الصورة ما دامت العلة موجودة ، و ذلك لان مصدر الوصف و الموصوف الحقیق فی هذه

الصورة هو العلة الخارجية . فاذا لم تكن وحدانية مصدر الوجود (اى ذات الله تعالى) مقتضى لذاته فلا بد من أن تكون هـذه الوحدانية فيضا لعلة اخرى فتكون تلك العلة هي الموصوف الحقيق لهذه الوحدانية و لا تكون وحدانية الله تعالى حقيقية او ذاتية و هذا باطل .

عـدم امكان تعـدد المصادر لوصف واحـد

على ان الوصف الواحد اذ افترض امكان تعدد مصادره فيكون ذلك التعدد شيئا لا علاقة له بالصحة . فانه من البديهى اننا لو افترضنا الصدور فلا بد ان نعترف بوجود الصادر فى المصدر . فاذا كان الصادر واحدا و المصدر اثنين فلا يخلو عن حالين : اما ان يكونا للوصف الصادر كمنبع الماء ، اى انهما مجرد ممر لذلك الوصف . و هو نابع من مصدر آخر . يمر بهما عند الخروج الى مكان آخر . فلا يكون فى هذه الصورة ذ نك المصدران حقيقيين للوصف المذكور . فانه ليس فى حقهما وصفا ذاتيا . بل انما هو فيض و عطاء من غيرهما . و يقال حينئذ ان التعدد فى هـذين المصدرين ليس بحقيق بل هو اعتبارى كما ان الشئ الواحد يكون باعتبار شخص يمينا و باعتبار شخص آخر يسارا فلا يكون فيه التعدد الا اعتباريا ، الا انه تعدد فى الظاهر مع وحدة الصادر (الوحدة الصادرية)

فمن مسلمات العقل السليم ان الوصف الصادر ان كان واحـدا فلا بد ان يكون مصدره ايضا واحدا . الا ان الخلق المتعدد من الواحد

الحقيق ممكن و متصور كما يتصور تعدد اشكال النور الساطع من الشمس علـى حسب الأشكال المختلفة للنوافذ و الفتحات التى تدخلها الشمس ، فقياس الصدور على الخلق خطأ فاحش لان بينهما فرقا كبيرا . فالصدور انمـا يتضمن الشئ الصادر الذى يظهر وقت الصدور فان عطاء الغير يتوقف على هذا الظهور ، و اما الخلق اى الايجاد فيسبقه العدم فتأتى نوبة الوجود . و لو لم يكن الخلق مسبوقا بالعدم لمـا احتيج الى الخلق و الايجاد .

و مثال ذلك ان نور الشمس صادر من الشمس ، لذلك يجب ان يسلم كونه اولا فى ذات الشمس ، و الاشكال المتكونة من نورهـا لا يمكن ان يقال عنها انها صادرة عن الشمس . و ان لا فيجب تسليمها اولا فى الشمس و ذلك بديهى البطلان . نعم تحـدث تلك الاشكال المختلفة لاجل الشمس .

وحـدة الصفـة و كثرة المـوصوفات

فمصدرالوصف لا يكون الا واحدا و لكن الموصوفات التى يعرض لها ذلك الوصف هى التى تكون متعددة كثيرة .

و مثال وحدة الوصف و كثرة الموصوفات هى السفينة المتحركة فهى شئ و ركابها المتحركون تبعا شئ آخر . ثم الركاب ايضا ليسوا بشئ واحد بل يتمايزون فيما بينهم بشخصياتهم المستقلة فانا و انت و زيد و عمر كل له شخصية و كيان مستقل و مع ذلك فان حركة السفينة واحدة بالبداهة ،

فالصفة (ای الحرکة) واحدة ، و الموصوفون (ای المتحرکون السفینة و رکابها) متکثرون و متعددون متمایزون .

و قس علی هـذا وحدة الوجود بمعنی وحدة الصفة و تکثر الموجـودات بمعنی الموصوفات بالوجـود العارض لها کحرکة السفینة العارضة للمتحرکین مع تمایزهم و تخالفهم فی شخصیاتهم و کذلک واجب الوجود و ممکن الوجود متمیزان تمیزا کاملا . ثم افراد ممکن الوجود ایضا لیسوا بمتحدین بل کلهم متمایزون و منفردون بشخصیاتهم ولا مساغ حینئذ للقول بوحدة الوجود بمعنی ان کل شئ هو الله اللهم الا ان یکون حب الله قد غلب علی احد الی درجة جعلته یری هـذا العالم و ما فیه شیئا واحدا بشدة اتصاله بالله و استیلاء حبه علی مشاعره ولا یجد الا حبیبه اینما یقع نظره . کالمصاب بالیرقان تلوح له جمیع الالوان لوناواحدا لا تمایز بینها فی نظره لمرضه الحائل دون قوته الباصرة و کذلک الذی یلبس نظارة حمراء او خضراء فیلوح له کل شئ بلونها . و السبب فی هذه الوحدة للشهودیة لیس الا ان القوة الباصرة تنفذ من خلال الاجزاء الصفراء الیرقانیة او النظارة الملونة . فیکون لونها عارضا للقوة الباصرة لا قائما بها و کذلک اذا کان الحب قد شغف به قلب احد و تأصل فی سودائه فقوته المدرکة (الادراکیة) لو وقعت علی شئ لا بد ان تقع بعد نفوذها من خلال المحبوب الذی تأصل حبه فی قرارة نفسه کنفوذ القوة الباصرة من خلال الاجزاء الصفراء و النظارة الملونة . و ذلک ان کل شئ یکون فی قرارة النفس لا بد ان یکون اقرب الاشیاء بالنسبة الی

القوة الدراكة حيث يحول دون الاشياء الاخرى عند توجه القوة الدراكة اليها ، و يعرض للقوة الدراكة عند مرورها (نفوذها) شكل المحبوب الذى تمكن فى القلب ، فكل ما تتوجه اليه هـــذه القوة الدراكة يلوح لصاحبها متشكلا فى شكل المحبوب و مثل هذا الحب ان لم يكن ممكنا لمحبوب فلا جرم انه ممكن لله سبحانه و تعالى ، فان وجوه المحبة كلها متوفرة و مجتمعة فى ذاته تعالىٰ مثل الجمال ، و الكمال و الاحسان . و القرب ، و ليس هـــذا القرب قربا نسبيا يثبت بالتوالد و التناسل ، — معاذ الله — و انما هو المشار اليه فى قوله : « و نحن اقرب اليه من حبل الوريد » و هذا القرب قرب الاتصال به بواسطة صفة الوجود و سبب خلقه تعالى اياه فلا يشاركه فى ذلك احد حتى الآباء و الامهات الذين هم فى عالم الاسباب اقرب الى اولادهم ممن سو هم لكونهم واسطة ظاهرية للوجود و الولادة .

فقصارى البحث ان وحدة الموجودات امر معروف غير واقعى ، و لكن وحدة الوجود (كما سبق تفصيله) امر واقعى و ان لم يكن الفرق بينهما فيكون كل شئ موجود الها مثل الاله الواحد اى ان لم يسلم بكون وجود الممكنات فيضا من واجب الوجود و صفة صادرة منه تعالى الى الموجودات لاصبح كل شئ مستقلا بوجوده غنيا عن عطاء الله مثل غنائه بذاته ، و ذلك باطل بالبداهة لطريان الفناء و الزوال على كل شى مما هو دليل واضح على عدم استقلاله بالوجود و اكتسابه الوجود و استعارته اياه ممن هو واجب الوجود مستقل به غنى عن غيره .

من كلام الفاروق عمر بن الخطاب رض

من كتم سره كان الخيار فى يده - اشقى الولاة من شقت به رعيته - اتقوا من تبغضه قلوبكم . أعقل الناس أعذرهم للناس - لا تؤخر عمل يومك غدك - اجعلوا الرأس رأسين - أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم - لى على كل خائن أمينان الماء و الطين - أكثروا من العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون - لو أن الشكر و الصبر بعيران لما باليت ايهما ركبت .

الشيخ الطوسي و منهجه في تفسير القرآن

فضيلة الاستاذ العلامة

سعيد احمد الاكبر آبادي

عميد كلية الدين

بالجامعة الاسلامية

هند ـ عليگره

- مكانة علم التفسير
- الصحابة و تفسير القرآن الكريم
- تدوين علم التفسير بعد عصر الصحابة رض
- استقلال التفسير بالموضوعية
- المفسرون و منهج التفسير
- الاختلاف في اتجاهات المفسرين
- مكانة تفسير الطبري و خصائصه
- الشيخ الطوسي و خصائص تفسيره
- فهرس المآخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الله تعالى قد بعث محمدا ﷺ ليتلو على الناس آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة ليهتدوا الى طريق الرشد و الصواب و يخرجوا من ظلمات الجهل و الضلال التى قد أحاطت بهم من كل جانب حتى انغمسوا فيها . و ذلك قبل بعثه فكانت رسالته ﷺ رسالة شاملة استكمل به الدين القيم .

و كانت حياته ﷺ حياة طيبة طاهرة أدت وظيفتها على نهج حسن و شكل زاه إستضاء بها العالم الانسانى الحيوى كله حتى ان تم له النجاح ، فلم يلبث أن ارتحل عن العالم و لقى ربه راضيا مرضيا . و كما أنه كان خاتم النبيين لا نبى بعده كذلك القرآن الذى نزل عليه كان خاتما للكتب الالهية الذى لا كتاب بعده . فبصفة أن القرآن كتاب خالد الى جانب رسالته الخالدة قضى ربنا أن يتيسر له علماء بارعون و رجال راسخون فى كل عصر من العصور لتشييد أركان الاسلام حتى لا تبلى حيويته . و تلك هى عادة جارية و سنة الهية مستمرة لا تتبدل و لا تتغير . و قد ظهر للاسلام قديما وحديثا ان كان له من أحكم من الدين ماتشابه و أصلح ما تضعضع و ما زال — جهابذة العلماء و فطاحلهم مستمرين فى استخراج المعانى و استنباط الاحكام مهما دعت الحاجة و تجددت المشاكل فكانوا يدفعون عن الدين و يذودون عن الاسلام و المسلمين .

أولئك العلماء الكبار يفضل بعضهم على بعض و تلك الشخصيات التاريخية الكبرى تمتاز على شخصيات عصرهم بميزات خاصة و بمواهب و كفاآت تكسب لهم القيادة و الزعامة فيكونون أئمة علماء الاسلام و قادة الفكر الاسلامى -

فلا يخفى عل من له المام بتاريخ النبوغ الفكرى فى الاسلام أن شيخنا شيخ الطائفة أبا جعفر محمد بن الحسن الطوسى ، كان من أمثال أولئك الاعلام المجتهدين المجددين الذين يتأسى بهم العلماء و يقتدى بهم الحكماء ، و مما لا مساغ فيه للشك أنه كان رجلا موهوبا و علما فردا و آية من آيات الله البالغة و حجة من حججه الكاملة .

وللشيخ مصنفات كثيرة فى كل علم من العلوم الاسلامية و الآداب العربية و فنونها . كما أن له رسائل مختصرة حول موضوعات خاصة . و نخص بالذكر تفسيره الذى سماه « التبيان فى تفسير القرآن » و هو تفسير عظيم قال فى وصفه أمين الاسلام الطبرسى المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية فى مقدمة كتابه الجليل « مجمع البيان فى تفسير القرآن » ص ١٣ . « كتاب يقتبس منه ضياء الحق ، و يلوح عليه رواء الصدق ، و قد تضمن من المعانى الاسرار البديعة و احتضن من الالفاظ اللغة الوسيعة و لم يقنع بتدوينها دون تبيينها و لا بتنسيقها دون تحقيقها و هو القدوة استضئ بانواره و أطأ مواقع آثاره .

و بعد فاتقدم اليكم ايها السادة بمقالتى هذه حول موضوع « منهج الشيخ الطوسى فى تفسيره » و خصائصه التى تميزه عن سائر كتب التفسير

التى بين ايدينا ، و قبل البدء فى الحديث يجب علينا أن نناقش معنى التفسير و أهميته ثم نشوءه و تطوره فى مختلف الادوار و العصور منذ بدايته حتى عصر الشيخ الطوسى فان الاشياء تتبين بامثالها كما تتبين باضدادها .

منزلة علم التفسير

لا يخفى على من له بصيرة فى العلوم الاسلامية ان علم التفسير هو أشرف العلوم منزلة و اعلاها قدرا و اسناها ابهة و أوسعها نطاقا — و كيف لا — و هو علم يتعلق بالقرآن الذى قال الله فيه « و انه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » و جاء فى موضع آخر « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر أولو الالباب » .

فالقرآن كتاب الله المهيمن الذى يشتمل على الحقائق الكونية و الاسرار العالمية . الى جانب ما فيه من الاوامر و النواهى و القوانين لحياة الفرد و الجماعة . و اسرار التشريع . و قصص الاولين و الآخرين بصفة أنه كلام الله لفظا و معنى و قد بلغ أقصى مراتب الاعجاز الذى لا يمكن ادراك كنهه الا للراسخين فى العلم و الموفقين من الله . و هو كما وصفه رسول الله ﷺ حيث قال : « فيه نبأ ما كان قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بعدكم ، فهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه و من ابتغى الهدى من غيره أضله الله . و هو حبل الله المتين ، و الذكر الحكيم و الصراط المستقيم الذى لا تزيغ به الاهواء ، و لا تلتبس به

الالسنة . و لا تشبع منه الحكماء ، و لا يخلق على كثرة الرد ، و لا تنقضى عجائبه و هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى نطقت : « انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، فمن قال به صدق و من عمل به أجر و من حكم به عدل ، و من دعا اليه هدى الى صراط مستقيم

و لقد كان القوم عربا خلصا اذا سمعوا القرآن من النبى ﷺ وعوه و حفظوه مدركين معانيه و مراميه على طبيعتهم العربية و استعدادهم الذهنى و كلما خفيت عليهم معانى بعض النصوص و دقت مراميها رجعوا فيها الى صاحب الوحى « محمد » ﷺ ، فكان ﷺ يكشف لهم ما دق عن أفهامهم و يبين لهم ما خفى عن ادراكهم ، كما أشار الى ذلك بقوله تعالى : « و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون » .

أما الصحابة فلم تكن جماعتهم كلها سواسية فى ادراك معانى القرآن و البلوغ الى حقائقه و مراميه و ليس بصحيح ما قاله « ابن خلدون » من : « أن القرآن منزل بلغة العرب و على أساليب بلاغاتهم فكانوا كلهم يفهمونه و يعلمونه فى مفرداته و تراكيبه و الاستاذ « أحمد أمين » يقول ردا عليه : « ان نزول القرآن بلغة العرب لا يقتضى أن العرب كلهم يفهمونه فى مفرداته و تراكيبه لان فهم الكتاب لا يتطلب اللغة وحدها و انما يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق و درجة الكتاب فى رقاه .

هكذا كان موقف العرب من فهم معانى القرآن ، و من أجل ذلك اثنى الله تعالى الراسخين فى العلم حيث قال : « و ما يعلم تاويله الا الله و الراسخون فى العلم يقولون آمنا به » إنما كانوا يختلفون فى مقدار فهمه

حسب استعدادهم العقلى و صحبتهم مع الرسول ﷺ و درجة اكتسابهم الفيض منه . فضلا عن فهم القرآن إجمالا و تفصيلا . إن الفاظ القرآن نفسها لم يكن العرب كلهم يفهمون معناها . كما لم يدع أحد أن كل فرد من هذه الآمة يعرف جميع الفاظ القرآن و لغاته . حسبنا على ذلك ما روى عن أنس بن مالك أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله تعالى (و فاكهة و أبا) ما الاب ؟ فقال عمر نهينا عن التكلف و التعمق . و ما روى عن عمر أيضا أنه كان على المنبر فقرأ . « أو ياخذهم على تخوف » ثم سأل عن معنى التخوف فقال له رحل من هذيل : « التخوف عندنا التنقص ثم أنشد :

تخوف الرحل منا تاركا قردا كما يتخوف عود النبعة السفن

و فوق ذلك ففى القرآن آيات كثيرة لا تكفى معرفة معانى اللغة و أساليبها فى فهمها مثل : « و العاديات ضبحا » « و الذاريات ذروا » ، و ما المراد بالليالى العشر فى قوله تعالى « و الفجر و ليال عشر » ، و ما المراد بليلة القدر ؟ و ما الى ذلك من أمثلة كثيرة . على أن فيه اشارات كثيرة الى ما جاء فى التوراة و الانجيل رداً على أهل الكتاب . فواضح أنه لا يكفى فى فهمها معرفة اللغة . ونحن نرى فى عهد النبى ﷺ أنه عرضت عليهم مشكلة فى فهم المراد لآية أو معنى مراد اللفظ خاص رجعوا فيها الى رسول الله ﷺ فتارة فسر الله ما أشكل عليهم بالوحى وفاءا بوعده حيثما قال « لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه و قرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » كما فى آية « حتى يتبين لكم الخيط

الأبيض من الخيط الأسود » (بلفظ) «من الفجر» و تارة شرح النبي ﷺ بنفسه مشكل الآية و كشف القناع عن غموض وجهها إما بآية أخرى نزلت من قبل كما فعل فى « و لم يلبسوا ايمانهم بظلم » حيث فسرها بآية « إن الشرك لظلم عظيم » فى كلماته الطيبة الطاهرة ·

فالصحابة قد حفظوا كل ما سمعوا من رسول الله ﷺ من تفسير القرآن و لكنهم كانوا أشد احتياطا فى ان يقولوا فى القرآن شيئا برايهم لذلك اشتهر عدد قليل منهم بالقول فى تفسير القرآن و أكثر من روى عنه فى هذا الباب : على بن أبى طالب ، عبدالله بن عباس ، عبدالله بن مسعود و أبى بن كعب و أقل الناس رواية فى ذلك : زيد بن ثابت ، أبوموسى الأشعرى و عبد الله بن زبير .

تدوين علم التفسير

فلما انقضى عصر الصحابة اوكاد و صار الأمر الى تابعيهم و انتشر الاسلام و اتسعت الامصار و تفرقت الصحابة فى البلدان النائية و حدثت الفتن و اختلف الآراء . فاخذ التابعون باحسان فى تدوين ما حفظوه من الصحابة فى تفسير القرآن فمن أقدم التفاسير . تفسير أبى العالية رفيع بن مهران الرباحى (م ٩٠ ھ) الذى رواه « ربيع بن أنس » عنه ثم تفسير « مجاهد بن جبير » (م ١٠٢ ھ) ثم تفسير « عطاء بن أبى رباح » (م١١٣ ھ) ثم تفسير « محمدبن كعب القرظى » (م١١٢ھ) و هؤلاء المفسرون فى عهد التابعين قد انقسموا الى ثلاث طبقات :

أولاها طبقة المفسرين بمكة المكرمة : و هم تلاميذ « عبد الله بن عباس » المتوفى سنة ٦٨ هجرية بالطائف و هو الذى قد اشتهر بترجمان القرآن و حبر الامة و رئيس المفسرين دعا له الرسول ﷺ : اللهم فقهه فى الدين و علمه التاويل ۔

فمنهم « مجاهد بن جبير المكى » (م١٠٣) و « سعيد بن جبير » (م٩٤ ھ) و « عطاء بن ابى رباح » (م ١١٤ ھ) و ثانيتها المفسرون بالكوفة : و هم تلاميذ عبد الله بن مسعود الذى قال فيه الرسول ﷺ : من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد (م ٩٥ ھ ـ مثل الشعبى (م ١٠٥ ھ)

و ثالثها مفسرو المدينة المنورة هم أصحاب « زيد بن أسلم العدوى » منهم : « مالك بن أنس » (م ١٧٩ ھ) و « الحسن البصرى » (م ١٢١ ھ) و « عطاء بن أبى سلمة ميسرة الخراسانى » و « قتادة بن دعامة السدوسى » (م ١١١ ھ) و « السدى » و غيرهم فهؤلاء قد لقبوا بقدماء المفسرين .

بعد انقضاء هذا العصر جاء أتباع التابعين ، فكرسوا هممهم فى جمع ماروى فى تفسير الآيات عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ، و لم يفرقوا بين روايات طبقة و طبقة اخرى من الطبقات الثلاث التى اشتهرت فى عصر التابعين فكانت كتبهم مجموعة من الروايات ، و العلوم الواردة فى الأسفار الماضية و الكتب السابقة . و اشتهر من بينهم : شعبة بن الحجاج (م ١٦٠ ھ) و سفيان بن سعيد الثورى (م ١٩٨ ھ) و

وكيع بن الجراح (م ١٩٧ ﻫ) و سفيان بن عيينة (م ١٩٨ ﻫ) يزيد بن هارون (م ٢٠٦ ﻫ) ، و اسحاق بن راهويه (م ٢٣٨ ﻫ) و مع الأسف أنه لا يوجد أى كتاب اليوم فى تفسير القرآن لأحد من هذه الطبقة العليا إلا أن أبا جعفر ابن الطبرى (م ٣١٠ ﻫ) قد جمع لنا اكثر مروياتها ·

و يسرنى أن أذكر هنا أن المخطوطة الوحيدة فى العالم لتفسير سفيان الثورى التى كانت مخزونة فى مكتبة رام فور بالهند — و هى من أشهر المكتبات العالمية لاحتوائها على مخطوطات كثيرة نادرة الوجود فى العلوم الاسلامية والشعر العربى و آداب اللغة العربية والفارسية و الأردية — قد ظفر بهذه المخطوطة الاستاذ المحقق و البحاثة المدقق الشيخ امتياز على عرشى أمين المكتبة فنشرها مع تحقيقها و تحليتها بالتعليقات عليها و رتبها على أحسن ترتيب بمساعدة وزارة المعارف الهندية ·

من هنا كانت بداية التدوين للتفسير الاسلامى . و ذلك فى أواخر دولة بنى أمية و بداية الدولة العباسية . و لكن مع ملاحظة الأمرين الهامين الذين يجب على الباحث مراعاتها ·

استقلال التفسير بالموضوعية

الأول أن التفسير منذ بداية أمره حتى العصر الذى ذكرنا لم يكن علما خاصا و فنا مستقلا بل كان جزأً من الحديث و بابا منه ، فقد كان الحديث هو المادة الوحيدة الواسعة التى شملت جميع العلوم و المعارف الاسلامية

تقريبا ، فكان شاملا للتفسير و التشريع و التاريخ ، و كانت العلوم كلها ممزوجة بعضها ببعض كما يمثل ذلك بعض كتب الحديث كالبخارى فترى فيه بابا خاصا للتفسير فهؤلاء العلماء كانوا فى عصر التابعين و بعدهم أئمة الحديث أصلا و رأسا و أما اشتغالهم بالتفسير الاسلامى فكان تبعا للحديث .

الثانى : أنهم صنفوا كتبهم فى التفسير مختصرة جدا ، و لم يفسروا آية ، و لم يرتبوها ترتيبا يوافق نظم القرآن و ترتيبه ، و لم يكن لهم فى ذلك الا مصدرين إثنين : (الف) الروايات التفسيرية التى أخذوها عن شيوخهم و أساتذتهم (ب) اجتهادهم و ذوقهم : مثل ما نرى (سفيان الثورى) فى تفسيره المطبوع الذى مر ذكره آنفا يفسر قوله تعالى «هؤلاء بناتى هن أطهر ، لكم بقوله : عن مجاهد . فأما لوط لم تكن له الابنتان .

ثم جاء عهد انفصل فيه التفسير عن الحديث و صار علما مستقلا غير تابع له ، و فسر القرآن آية آية على ترتيب المصحف . و لكن من الصعب على الباحث تعيين المفسر الأول و تسمية (على سبيل القطع) من فسر القرآن على هذا المنهاج

نعم : نجد فى الفهرست لابن النديم أن أبا العباس ثعلب قال : كان السبب فى املاء كتاب الفراء فى المعانى أن عمر بن بكير كان من أصحابه و كان منقطعا الى الحسن بن سهل فكتب الى الفراء أن الامير الحسن بن سهل ربما سألنى عن الشئ بعد الشئ من القرآن فلا يحضرنى فيه

جواب فان رأيت أن تجمع فيه اصولا أو تجعـــل فى ذلك كتابا ارجع اليه فعلت · فقال الفراء لاصحابه : اجتمعوا أملى عليكم كتابا فى القرآن ، و جعل لهم يوما فلما حضروا خرج اليهم - - - -

و اعتمادا على هذه الحادثة ظن بعض الباحثين أن الفراء هو أول من صنف كتابا على منهجه الجديد غير تابع للحديث · و هذا الراى ليس بصحيح عندنا لأننا لا نجد فرقا واضحا بين « معانى القرآن » للفراء و بين « مجاز القرآن » لأبى عبيدة ·

المفسرون و منهج التفسير

و مهما كان فان التفسير فى هذا العصر صار فنا مستقلا و موضوعا هاما على ايدى طائفة من العلماء منهم : ابن ماجة (م ٢٧٣ ﻫ) ، و ابن جرير الطبرى (م ٣١٠) و أبو بكر بن المنذر النيسابورى (م ٣١٨ﻫ) و ابن أبى حاتم (م ٣٢٧ ﻫ) و ابو الشيخ بن حبان (م ٣٦٩ ﻫ) و الحاكم (م ٤٠٥) ، و أبو بكر بن مردويه (م ٤١٠ ﻫ) و غيرهم من الأئمة الذين شأنهم هذا الشأن و هـــذه التفاسير كلها كانت مروية بالاسناد الى رسول الله ﷺ و الى الصحابة و التابعين ، و تابعى التابعين و لم يكن فيها شئ سوى التفسير المأثور . اللهم الا تفسير ابن جرير الطبرى فانه ذكر الأقوال التى وردت ، ثم ناقشها و رجح بعضها عـلى بعض ، و زاد على ذلك بحث الاعراب ان دعت اليه الحاجة و استنبط الاحكام التى يمكن أن توخذ من الآيات القرآنية و سنفرد لهذا الموضوع

بحثا مستقلا. هذا ما ذكرنا فى هذه العجالة باختصار من تفاسير اهل السنة. فلنذكر الآن تفاسير الشيعة حتى العصر الذى نحن بصدد مناقشته : يقول المحقق الجليل و الباحث الكبير الشيخ آغا بزرگ الطهرانى فى « الذريعة الى تصانيف الشيعة » فى المجلد الرابع تحت عنوان « التفسير » : « أول من صنف فى التفسير هو ترجمان القرآن عبد الله بن عباس المتوفى سنة (٦٨ ھ) ، ثم تلميذه سعيد بن جبير الشهيد (م ٩٥ ھ) و هكذا الى اليوم ، بل لم يكتف كثير منهم بتأليف واحد حتى ضم اليه كتابا آخر او أكثر - - - » ثم ذكر الشيخ بعض هؤلاء المفسرين مرتبا على اسمائهم إجمالا و ذكر تفاصيل تصانيفهم فى مواضعها ولكن الذى يهمنا و يجدر هنا بالذكر هى تفاسير الشيعة التى صنفت فى المأة الأولى و الثانية و الثالثة.

فمنها تفسير أبان بن تغلب بن رباح (م ١٤١ ھ) الذى كانت له مكانة عظيمة لدى الأئمة الطاهرين - و لم يكتف بتفسير واحد بل — كما قال الشيخ آغا بزرگ الطهرانى نقلا عن ابن النديم — أنه صنف أربعة كتب فى القرآن

و منها تفسير آيات الاحكام للشيخ الامين الوزير أبى أبى الحسن عباد بن عباس بن عباد الطالقانى (م ٣٨٥ ھ) قال أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه « المنظم » : إن ابا الحسن عباد صنف كتابا فى احكام القرآن نصر فيه الاعتزال و جود فيه.

و منها تفسير الآى التى نزلت فى أقوال باعيانهم لهشام بن محمد بن السائب الكلبى.

و منها تفسير آيات الاحكام لمقاتل بن سليمان ، و تفسير ابن أبي الثلج : و هو أبو بكر محمدبن أحمد المتوفى سنة ٣٢٥ هجرية ، وغيرها من التفاسير الكثيرة التي أحصاها العلامة الشيخ آغا بزرگ الطهراني في « الذريعة الى تصانيف الشيعة » .

أما هذه الكتب فلم يطبع منها الا نزر يسير . منها تفسير لفرات ابن ابراهيم بن فرات الكوفي من رجال القرن الثالث الهجري و منها تفسير القمي علي بن ابراهيم . أما التفسير المنسوب الى الامام الحسن العسكري فكما أوضحه المحقق العلام و البحر الطمطام الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي في رسالته له تختص بشأنه ثم صرح في مقدمة تفسيره : أنه مكذوب و موضوع .

هذه التفاسير كلها كانت على نهج تفاسير أهل السنة من حيث كونها تفسيرا بالمأثور و لكن الآثار و الروايات ليست عامية بل هي مختصة باهل البيت الكرام رض — أو بمن كانت صلته بهم من الصحابة : امثال « أبي هريرة » و « مقداد بن أسود » و « سلمان الفارسي » و غيرهم - و مما ينبغي أن لا يفوتنا ذكره هنا « ان تلك التفاسير كانت محتوية على كل من رطب و يابس و غث و سمين . فان الروايات و الآثار الواردة فيها ليست كلها صحيحة بل هي مزيج من الصحيح — و السقيم مشتملة على روايات اسرائيلية لاسباب رئيسية تاريخية لا موضع لذكرها في هذه العجالة .

الاختلاف فی اتجاهـات المفسرین

و لنذکر هنا أن تدوین علوم اللغة و النحو و ترجمة العلوم العقلیة و الفلسفة الا غریقیة الی اللغة العربیة فی العصر العباسی الأول ، و اثارة المسائل الکلامیة ، و نشأه المدارس الفکریة : کالاشاعرة ، و المعتزلة ، و القدریة ، و الجبریة . و الماتریریة و غیرها قد أشرف عـلم التفسیر اثرا کبیرا و جعل اصحاب المـذاهب یفسرون القرآن طبقـا لعقائدهم و أفکارهم الدینیة ۰

فالنحویون جعلوا القرآن مادة لاشتقاق قواعدهم و توضیحها بالأمثلة و أعربوا القرآن إعرابا یعین عـلی فهم القرآن و اللغویون بحثوا فی کتبهم عن غرائب القرآن و أما المؤرخون فاستمدوا بما وصل الیه علمهم من التاریخ فی تفسیر الآیات التی جاء فیها ذکر الاقوام و الملل ۰

و من الطبیعی أن طریقة کهذه لا ترضی ذلك . فمثل هذه النزعات الحدیثة فی التفسیر قد سببت للنزاع بین المحدثین و المتکلمین و بین فرقة و فرقة حتی أن ابن قتیبة قال فی المتکلمین و فسروا القرآن بأعجب تفسیر یریدون أن یردوه ـــ ای القرآن ـــ الی مذاهبهم و یتحملون التأویل فی هذا السبیل

و لا شك ان هذه الاتجاهات غذت التفسیر بأنواع من الفنون کما أن النقول التی رویت عن الصحابة و التابعین و من بعدهم ، و العلوم التی دونت فی العصر العباسی و ابتکرت : من نحو . و صرف ، و بیان ، و

و فقه ، و حديث ، و تاريخ و كلام كلها أعانت عـلى توسيع مجـال التفسير و خدمته .

مكانة تفسير الطبرى و خصائصه

و لاشك أن الممثل الحقيق للتفاسير كلها من بين سائر الكتب هو تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى الامام الجليل ، المجتهد المطلق ذو التصانيف العلمية ، المشهورة بغزارة موادها و ضخامة مجلداتها .

ولد صاحبنا هذا . بآمل طبرستان فى ٢٢٤ هجرية . و غادر بلاده فى طلب العلم و هو ابن إثنى عشر سنة ، و طاف بالاقاليم فسمع بمصر و الشام و العراق . ثم ألقى عصاه و استوطن ببغداد . و اقام فيها حتى أن مات سنة عشر و ثلاثمـائة .

و الواقع أنه كان رح من أعظم رجال العلم فى الاسلام على مر العصور و الأزمان . و تفسيره من أهم مصنفاته قدرا و منزلة فقد جمع فيه كثيرا من مجموعات التفاسير التى سبقته و فاضل بين رواياتها و اختار أمثلها . جاء فيه بما روته مدرسة ابن عباس . و مدرسة على بن أبى طالب و ابن مسعود و أبى بن كعب . و استفاد مما جمعه ابن جريج و السدى و ابن اسحق فى التفاسير ثم زاد عـلى ذلك بما وصل اليه العلم فى عصره من إعراب و تفسير . و قد نراه يأتى بنقول الصحابة و التابعين فى التفسير ، و يناقش الأقوال ، و يرجع بعضها على بعض ترجيحا يعتمد على النظر العقلى و البحث الحر الدقيق . و يستنبط الاحكام التى يمكن

أن تؤخذ من الآية مع توجيه الادلة و ترجيح ما يختار . و يخاصم أصحاب الراى المستقلين فى التفكير ، و لا يزال يلح على العلم الثابت من الصحابة و التابعين . و المنقول عنهم صحيحا مستفيضا .

و يذكر القراآت و ينزلها على المعانى المختلفة و لعل اهتمامه بالقراآت كان مبنيا على أنه كان من كبار العلماء فى هذا الفن و قد قيل عنه : إنه ألف فى القرأة مؤلفا خاصا فى ثمانية عشر مجلداً . جمع فيه كل القراآت الواردة فى القرآن على وجه من الوجوه ، و الشواذ كذلك و عالجها متفرقة بالنقد و التمحيص .

و فى ختام كل موضوع يعقب الطبرى بالقول المفصل سواء فيما يتعلق باختلاف القراآت او باختلاف وجوه التفسير .

و يتوسع كذلك فى استخدام المصادر اليهودية : « روايات كعب الأحبار و وهب بن منبه » . فيما يتعلق . بقصص إسرائيلية . و لم يكن فى ذلك لينال موافقة سلفه ، الذين سبقوه ضربة لازب . بل كتابه أعزر الكنوز بالنصوص المنتشرة فى الأوساط الاسلامية ، من الاسرائيليات و يرى ابن خلدون أن من تناول هذه الاخبار بالنقد هو المفسر الأندلسى . كذلك يروى الطبرى الأساطير النصرانية راجعا الى وهب بن منبه .

و الى جانب النقل ، يعتد ابن جرير الطبرى بالاستعمال اللغوى فهو عنده أوثق المراجع فى تفسير العبارات المعقدة ، و فى كثرة استخدامه للشواهد من الشعر العربى القديم قد سبق قصب السبق غاية المدى متابعا فى توجيهها راجعا الى ابن عباس . و كذلك يكون بعيد المدى فى

استقصاآته النحوية التى تناول فيها على وجه التفصيل بحث الظواهر اللغوية تبعا لمختلف مدارس النحو البصرية و الكوفية . حتى أن كتابه يعد من أقدم المصادر لاحتوائها على المعارف النحوية و معرفة قدرها حق قدرها .

إذاً فتفسير ابن جرير الطبرى يعتبر من أقدم التفاسير و أشهرها ، كما يعتبر المرجع الاول للمفسرين الذين عنوا بالتفسير المأثور ، و ان كان فى الوقت نفسه يعتبر مرجعا من مراجع التفسير العقلى ايضا ، و هو يقع فى ثلاثين جزءا من الحجم الكبير .

و يجدر بنا بهذه المناسبة ان نذكرها بعض التفاسير الأخرى التى صنفت بعد تفسير ابن جرير الطبرى و قبل الشيخ الطوسى .

فمنها تفسير القرآن المسمى : « ببحر العلوم » المعروف بتفسير أبى الليث السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٥ هجرية و هـــذا التفسير — كما يذكر الاستاذ محمد حسين الذهبى فى المجلد الاول من كتابه « التفسير و المفسرون» مخطوط فى ثلاث مجلدات كبار محفوظة بدار الكتب المصرية . ثم يتحدث الذهبى عن هذا التفسير و يقول : « تتبعت هذا التفسير فوجدت صاحبه يفسر القرآن بالمأثور عن السلف فيسرد الروايات عن الصحابة و التابعين و من بعدهم فى التفسير و لكنه لا يذكر اسناده الى من يروى عنه ، و يندر سياقه للاسناد فى بعض الروايات ، و اذا ذكر الأقوال و الروايات المختلفة لا يعقب عليها و لا يرجح كما يفعل ابن جرير الطبرى ، و يعرض للقرآآت و لكن بقدر ما كما أنه يحتكم الى اللغة احيانا و يشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما يوضح معنى آية اخرى و يروى

من القصص الاسرائيلية و لكن على قلة و بدون تعقيب على ما يرويه و يروى احيانا من الضعفاء. فيخرج من رواية الكلبي ، و من رواية اسباط عن السدى ، و من رواية غيرهما ممن تكلم فيه ثم يقول فى ختام الكلام و بالجملة فالكتاب قيم فى ذاته جمع فيه صاحبه بين التفسير بالرواية و التفسير بالدراية الا أنه غلب الجانب النقلى فيه على الجانب العقلى .

و منها « الكشف و البيان عن تفسير القرآن » للثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هجرية ، و هو موجود غير كامل مخطوط فى أربع مجلدات تحفظ فى مكتبة الأزهر ، و المجلد الرابع ينتهى عند أواخر سورة الفرقان و باقى الكتاب مفقود لم يعثر عليه الأستاذ محمد حسين الذهبي .

و يبدو مما قال الأستاذ عن كيفية هذا التفسير بانه صنف على نهج ابن جرير الطبرى .

الشيخ الطوسى و خصائص تفسيره

و حان لنا أن نتحدث عن تفسير شيخ الطائفة الشيخ الطوسى رح و قدس سره فقد القى الشيخ نفسه ضوءا على تفسير فى مقدمة الكتاب و أوضح فيها عن دأبه و الطريقة التى سلكها فيه يقول : « فان الذى حملى على الشروع فى عمل هذا الكتاب أنى لم أجد أحدا من أصحابنا ، — قديما و حديثا — من عمل كتابا يحتوى على تفسير جميع القرآن و يشتمل على فنون معانيه - - - - فوجدت من شرع فى تفسير القرآن من علماء الأمة ، بين مطيل فى جمع معانيه و استيعاب ما قيل فيه من .

ونه كالطبرى و غيره ، بين مقصر اقتصر على ذكر غريبه و معانى الفاظه و سلك الباقون المتوسطون فى ذلك مسلك ما قربت فيه سنتهم ، و تركوا ما لا معرفة لهم به - - - و منهم من أضاف الى ذلك الكلام فى فنون علمه فادخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه ، و اختلاف الفقهاء - - - - و سمعت جماعة من أصحابنا — قديما و حديثا — يرغبون فى كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن من القرأة ، و المعانى و الاعراب ، و الكلام على المتشابه ، و الجواب عن مطاعن الملحدين فيه ، و انواع المبطلين ، و ذكر ما يختص أصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم فى أصول الديانات و فروعها . و أنا ان شاء الله تعالى أشرع فى ذلك على وجه الايجاز و الاختصار بكل فن من فنونه . و لا أطيل فيمله الناظر فيه ، و لا اختصر اختصارا يقصر فهمه عن معانيه - - - ثم هو يتعرض فى مقدمته لأمور شتى كالمبادئ لتفسير القرآن .

فنى بداية الأمر يقول فى زيادة القرآن و نقصانه : و أما الكلام فى زيادة القرآن و نقصانه فما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، و النقصان منه . فالظاهر أيضا من مذاهب المسلمين خلافه و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا . و هو الذى نصره المرتضى رح . و هو الظاهر فى الروايات غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة و العامة بنقصان كثير من آى القرآن . و نقل شيئ منه من موضع الى موضع . طريقها الآحاد التى لا توجب علما و لا عملا ، و الأولى

الاعراض عنها و ترك التشاغل بها لأنه يمكن تاويلها .

و قد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « ما نزل من القرآن من آية الا و لها ظهر و بطن » فلا يخفى على أهل النظر و البصيرة فى تفاسير القرآن أن بعض أهل الأهواء و الأمراء فسر القرآن على ما تستهويه أنفسهم راغبين عن طريق الحق و السداد ، منتشطين من هذه المقولة المنسوبة الى الرسول ﷺ . فكثرت فى شرحها الاقوال و تشاغبت فيما بينها . و أما الشيخ الطوسى فقد نقل أقوالا عديدة و لم يقل شيئا عن نفسه فى هذا الباب الا أنه أشار الى أن الامر نفسه ليس بمهم .

و تكلم فى المقدمة حول رواية نزول القرآن على سبعة احرف ، و النسخ و الفصاحة و التكرار ، و المحكم ، و المتشابه فى القرآن . ففى كل باب جاء بكلام موجز غير مطنب وافيا للمراد هذه هى المقدمة :

اما تفسيره فصفة كونه بحرا ضخما للعلوم القرآنية اصلا و فرعا . فهو موسوعة قيمة لا يتأتى مثله فى سالف الزمان و أنه لم يكتف بنقل أقوال من مضى قبله فحسب بل ينقد الأقوال و يميز بين الصحيح و السقيم ببصيرة فنية كاملة ، و ملكة موهوبة حتى انه يثبت ما هو حق لديه بدلائل قاطعة و براهين ساطعة . و بجانب ذلك يفند و يدحض ما هو ليس بحق فى رايه بقوة و سلطة علمية منحها الله إياه .

أما دابه فى التفسير فهو يبحث عن اسم السورة و ياتى باقوال عديدة بدلائلها و براهينها رواية و لغة ثم يستأثر منها قولا او ياتى برای جنيد من عند نفسه و يبين وجوه ترجيحه ثم ياخذ فى شرح الكلمات

اللغوية و أصولها و تصاريفها و يستشهد على ما يقول بالشعر العربی مرة بعد مرة ، فيرجع الى معنى الآية و تفسيرها فيذكر : أولا الأقوال المأثورة عمن سلف أو الأحاديث المروية عن النبی ﷺ و أهل البيت او الصحابة أو من دونهم من التابعين بأسانيدها ثم يتحاكم بين الروايات إن كانت متعارضة بعضها ببعض و يتكلم عن الاحكام الفقهية التی يمكن استنباطها من الآية المتعلقة بها بشیء من التفصيل و الاسباب و كذلك يعرض للمسائل الكلامية ان نشأت منها فيرد على أهل الزيغ و الضلال و فی مواضع غير قليلة يشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما توضح آية أخرى كما يروی من الحكايات الاسرائيلية عن طرق مختلفة فاحيانا يأتی بالتعقيب عليها و احيانا تركها دون التعليق . و يوضح بعض أسئلة ترد على ظاهر النظم ثم يجب عنها كما يتعرض لوهم الاختلاف و التناقض فی القرآن و يزيل هذا الابهام ففی كل موضع من هذه المواضع له موقف خاص به و ناهيكم بها بعض الامثلة ·

نجد الشيخ الطوسی يذكر القرا آت المختلفة بمعانيها النازلة عليها و بوجوهها و كثيرا يورد القرا آت التی لا تعتمد على قول الأئمة الذين يعتبر قولهم حجة عنده و عند علماء القرأة ثم يتبع برأيه فی آخر الأمر موجها بالدليل . فمثلا عند قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة » فی آية (١٦) من سوره البقرة يقول : ضم جميع القراء الواو من « اشتروا الضلالة » و روی السوخردی عن زيد بن اسمعيل بتخفيضه الواو . و كذلك نظائره نحو « لتبلون » ، « فتمنوا الموت » . و روی

يحيى بن يعمر فى الشواذ أنه كسرها ، شبهها بواو « لوِ » فى قوله : « لو استطعنا لخرجنا » . ضم يحيى بن وثاب واو « لوِ » و فيما ذكرناه شبهها بواو الجمع » ثم يقول فى آخر الامر : « و الصحيح ما عليه القراء لان الواو فى الآية و نظائرها واو الجمع لحركت بالحركة التى تناسبها لالتقاء الساكنين ·

و كذلك قال فى « صفراء » من قوله : « انها بقرة صفراء فاقع لونها » الآية ٦٩ من سورة البقرة : « و من القراء من اختار الوقف على قوله تعالى : « صفراء » . و الصحيح أن الوقف إنما يجوز عند تمام النعت كله ، و قال قوم : التمام عند قوله تعالى : « فاقع » ثم يقول فى قوله تعالى : « إن البقر تشابه علينا » : القراء كلهم قرأوا على تخفيف الشين مفتوحة الهاء . و قرأ الحسن بتشديد الشين و ضم الهاء . و قرأ الاعمش «ان البقر تشابه» و كذلك فى مصحف ابن مسعود ، و لكن المعمول على ما عليه القراء و ما هو فى المصحف المعروف ·

و كثيرا ما يتعرض الشيخ الطوسى لمذاهب النحويين من البصريين و الكوفيين فى النحو و الصرف و كثيرا ما يحتكم الشيخ فى مناسبات عديدة الى ما هو معروف من لغة العرب . و بالرجوع الى الشعر القديم و يستشهد به على ما يقول . كما يتعرض للمذاهب الاسلامية عند ما تمس الحاجة اليه يرد قول من لا يتفق معه : كما رد على ابى عبيدة فى قوله « اذ » زائدة فى قوله تعالى : « و اذ قال ربك انى جاعل فى الارض خليفة » فيقول رداً عليه : و الذى ذكره ليس بصحيح . لأن « اذ » حرف يأتى بمعنى الجزاء . و يدل على مجهول من الوقت ، و لا يجوز

ابطال حرف كان دليلا على معنى فى الكلام الا لضرورة . ثم أورد نقضه على ما استشهد به أبو عبيدة من بيتين ص ٢٨ .

و لا ريب ان ما قدم لنا الشيخ من البحوث اللغوية و الاعرابية المبعثرة فى تفسيره كله هنا و هناك و التى تعتبر ثروة ذاخرة و مرجعا مهما فى بابها أمر يرجع الى ما كان عليه صاحبنا من المعرفة الواسعة بعلوم اللغة و أشعار العرب معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ و الفلسفة .

و مما ينبغى ان نتنافل عنه أن الشيخ لا يعالج البحوث اللغوية و النحوية من حيث إنها مقصودة بالذات بل بصفة أنها ذريعة للتفسير ، و بها يتمكن من ترجيح بعض الأقوال على بعض ، أو التوفيق بين المتعارضين و حسبك فى هذا الباب ان ترجع الى الفهارس الطويلة للباحث اللغوية و القوافى فى آخر كل مجلد من التبيان فى تفسير القرآن و لله در من رتبها بعناء و مشقة شديدة .

كذلك نرى الشيخ الطوسى يأتى بالاحكام الفقهية و آثارها : فى مثل هذه المواضع اولا يبين المذاهب المختلفة بدلائلها النقلية و العقلية ، ثم يتخلص من ذلك كله برأى يختاره لنفسه و يرجحه بالأدلة العلمية .

و مما يجب أن ننبه عليه كما اشار اليه الشيخ آغا بزرگ الطهرانى : أن لشيخ الطائفة فتاوى نادرة لم يروها المتأخرون عنه لقوة الأدلة خلافها فمنها مسألة تصوير ذوات الأرواح و صنع التماثيل فيقول عند تفسيره لآية ثم اتخذتم العجل من بعده و أنتم ظالمون . (١٥ — البقرة) : « أى اتخذتموه إلها : لأنهم بنفس فعلهم لصورة العجل لا يصبحون ظالمين

لأن فعل ذلك ليس بمحظور و إنما هو مكروه ، و ما روى عن النبي ﷺ أنه لعن المصورين : معناه من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه أنه صورة ·

و كذلك يقولون فى تفسير ، غيرالمغضوب عليهم ولاالضالين ، من سورة الفاتحة · و لا يجوز عندنا ان يقول القارئ عند خاتمة الحمد : آمين فان قال ذلك فى الصلاة متعمدا بطلت صلاته لأنه كلام لا يتعلق بالصلاة . و لانه كلام لا يستقل بنفسه و انما يفيد إذا كان تامينا على ما تقدم ، و متى قصد بما تقدم الدعاء لم يكن تاليا للقرآن فتبطل الصلاة و ان قصد التلاوة لا يكون داعيا فلا يصح التامين - - - - ص ١٦ فهذا خلاف ما قاله أهل السنة و الجماعة و لأجل ذلك قال الشيخ لا يجوز عندنا

و كذلك يعرض أقوالا شتى فى تفسير (باغ) فى قوله تعالى (غير باغ و لا عاد) فى آية التحريم (١٧٣ من سورة البقرة) و يذكر فيه قول الرمانى : أن المراد من (باغ) : ليس بباغ على امام المسلمين . و كذلك المراد من (عاد) ليس بعاد طريق المحقين ، ثم يرد عليه بقوله : هذا الذى ذكره غير صحيح . لأن من بغى على امام عادل ادى ذلك الى تلفه فهو المعرض نفسه للقتل . كما لو قتل فى المعركة فانه المهلك لها فلا يجوز لذلك استباحة ما حرم الله ، كما لا يجوز أن يستبق نفسه بقتل غيره من المسلمين ، و كان هذا طريقه فى سائر الاحكام الفقهية التى يتعرض لها .

و كذلك هو يتعرض للمسائل الكلامية بكل بسط و تفصيل . و يطبق

اصول القواعد موافقا للامامية عـلى ما يتفق مع الآية ، فاذا ناقش بعض الآراء الكلامية ناقشها بكل ما أوتى من قوة و منعة كما نرى الفهارس الطويلة للردود فى آخر كل مجلد من التفسير . ففى المجلد الأول رد على من رد عليه فى ثمانية و خمسين موضعا و تكلم فيها فى المسائل المهمة : فمثلا انه يرد على من يقول إن لفظة الرحمن : ليست عربية ، و له رد على المجبرة فى قولهم : ليس لله عـلى الكافر نعمة ، ورد على المعتزلة و المرجئة و اليهود و النصارى فى مسائلهم المعروفة عند اهل العلم و الخبرة و كذلك له ردود على « السدى » و «الطبرى» و « البلخى » و «الرمانى» فى موضـع شتى هـذه هى حال المجلد الأول ، و قس عـلى ذلك المجلدات الأخرى .

ثم هناك اشكالات ترد على آية وحكم ماخوذ منها عند قوم ، فيجيب عنها بكلام مفصل مبسوط : كما فعل فى دفـع اشكال ورد عـلى آية (فذبحوها وما كادوا يفعلون) . (٧١ من سورةالبقرة) يقول : (فان قيل لم عنفوا عـلى تاخيرهم امتثال الامر الأول مع أن المراد بالأمر الاول تاخر ؟ و لم قال (فذبحوها و ما كادوا يفعلون) . قلنا : ما عنفوا بتاخير امتثال الامر الاول . و ليس فى الظاهر ما يدل عليه بل كان البيان يأتى شيئا فشيئا كما طلبوه من غير تعنيف . فلا قول يدل على انهم بذلك عصاة . فاما قوله فى آخر القصة : (فذبحوها) الخ فانما يدل على أنهم كادوا يفرطون فى آخر القصة . و عند كامل البيان ، و لايدل عـلى انهم فرطوا فى أول القصة ، و يقوى ذلك قوله تعالى بعد جميع

الاوصاف : (الآن جئت بالحق) أى جئت به على جهة التفصيل ، و ان كان جاءهم الحق مجملا ، و هذا واضح بحمد الله ، ص ١٩ .
و الشيخ الطوسى من عادته أن يحول على كتبه الأخرى التى استوفى الكلام فى المسئلة المتعلقة فيها ، و كذلك أجاب عن أسئلة وردت حول الشفاعة و الامامة ، و دفع احتمالات وردت على تكرار صفة بقرة بنى اسرائيل فى موضعها .

ثم هناك مواضع قد اختلف فى شرحها الآراء و تشتت فى ادراك معانيها الأفكار حتى صارت عويصة التفسير و عسيرة التاويل . منها النسخ فى آية . (و ان ننسخ من آية او ننسها) . و منهـا المتشابهات و ما المراد بها ؟ المقطعات هل هى آيات مستقلة أم لا ؟ و ما معناها ؟ و ما الذى أراد الله بها ؟ و ماهى الاسراء أكان بالجسد و الروح معا أم بالروح فقط ؟ هذا و أمثال هذا من المواضع المشكلة فى القرآن ـــ و هى ليست بقليلة ـــ فان صاحبنا هذا لا يترك مشكلة الا و يحلها فى ضوء الآثار المنقولة و الروايات المـاثورة و البراهين الفنية و الأساليب الأدبية .

ثم اننا نجد الشيخ الطوسى ياتى فى تفسيره باخبار ماخوذة من القصص الاسرائيلية رواية عن (كعب الأحبار) و (وهب بن منبه) و (ابن جريج) و (السدى) و غيرهم . و الأخبار الاسرائيلية كما يقول العلماء ـــ على ثلاثة أقسام : قسم يحكم على صحته بما بايدينا و يشهد له بالصدق . و قسم ما علمنا كذبه بما فى أيدينا مما يخالفه . و قسم ثالث حرى لنسكت عنه ، فلا هو من هذا القبيل و لا من ذلك فلا نصدقه

و لا نكذبه ، و تجوز حكايته .

فالشيخ عادته فى مثل هذه المواضع أنه ينقل الاسرائيليات بتمامها ثم يثبت ما كان حقا ثابتا فى نظره : مثلا فى قصة هبوط آدم الى الارض قال الله تعالى فى القرآن « فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما » · فالشيخ أتى بشتى الأقوال فى كيفية خروج آدم و حواء من الجنة و نقل فى هـــذا الصدد رواية عن سعيد بن المسيب انه كان يحلف و لا يستثنى أن آدم لم ياكل من الشجرة و هو يعقل . و لـكن حواء هى التى سقته الخمر حتى اذا اسكر قادته الى تلك الشجرة فاكل : ثم يقول : فانه خبر ضعيف و عند أصحابنا ان الخمرة كانت محرمة فى سائر الشرائع الخ ص ٢٠

كذلك فى قصة هـاروت وماروت المذكورة فى سورة البقرة ينقل أخبارا اسرائيلية معروفة عند أهل العلم : ثم يقول : « ان الروايات التى فى أن الملـكين أخطئا و ركبا الفواحش فانها أخبار آحاد فمن اعتقـــد بعصمة الملائكة لقطع على كذبها ، و من لم يقطع على ذلك ، جوز أن تكون صحيحة و لا يقطع على بطلانها ، و الذى نقوله إن كان الملكان رسولين فـــلا يجوز عليهما ذلك . و انلم يكونا رسولين جاز ذلك و ان نقطع ص ٢١ ·

و كذلك عند تفسير الآية : « و قال لهم نبيهم أن آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم و بقية مما ترك آل موسى و آل هارون تحمله الملائكة الآية » و يذكر الأقوال المروية عن ابن عباس و وهب بن منبه و عطاء و السدى فى تاويل السكينة و مصداقها ثم يقول :

و أقوى هذه الأقوال أن يجعل أنه كان فيه ما يسكنون اليه ، و يجوز أن يكون ذلك عصا موسى و الرضاص و غير ذلك مما اختلفوا فيه بعد أن يكون فيه ما تسكن النفس اليه . لأنه تعالى بين ان فيه سكينة ، و هى فعيلة من السكون ، و لا يقطع بشئ من ذلك الا بدليل يوجب العلم . ص ۲۲ .

و بالجملة فما لنا ان نقول فى تفسير الشيخ الطوسى الا ما قال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرقانى فى تاريخه — كما نقله الاستاذ محمد حسين الذهبى فى كتابه ، التفسير و المفسرون ، عن الداؤدى فى ابن جرير الطبرى حيث قال : « إن محمد بن جرير الطبرى قد جود تفسيره و بين فيه أحكامه . و ناسخه . و منسوخه . و مشكله . و غريبه ، و معانيه . و اختلاف اهل التاويل و العلماء فى أحكامه و تاويله ، و الصحيح لديه من ذلك و اعراب حروفه ، و الكلام على الملحدين فيه ، و القصص ، و اخبار الامة و القيامة و غير ذلك من الحكم و العجائب كلمة كلمة و آية آية - - - فلوادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوى على علم مفرد و عجيب مستفيض لفعل . ص ۲۳ .

و لا بد ان نسجل اخيرا ان الشيخ كان من أعاظم أساطين و أئمة الامامية . و من الطبيعى أن بدل جهده فى تحقيق العقائد الاسلامية لقومه ، و ثباتها بالدلائل و الحجج النقلية و العقلية ، و مع ذلك قد تحاشى الشيخ بقدر وسعه و طاقته من ان يجعل تفسيره لفرقة او طائفة خاصة فيكون مظهرا خاصا للعصبية الطائفية ، و بهذا السبب قد جاء تفسيره هذا

كنزا ثمينا للحقائق العلمية و المعارف الدينية . و حق لكل من يريد فهم القرآن و التدبر في معانيه من اى فرقة كان ان يستفيد من هذا التفسير الجليل على قدر استطاعته و اهليته .

و مع ما سبق منافى هذا الصدد يجدر بنا ان نقول : انه هناك مواضع فى تفسير الشيخ للقرآن لا نتفق فيها معه رأيه و احتكامه و نجد استدلاله ضعيفا غير كاف لاثبات ما ادعاه .

فمثلا حينما يتكلم فى تفسير آية « و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » يبطل قول من قال من العلماء الكثيرين : ان الآية دليل على ان الاجماع حجة و يقول هو فى استدلاله ، ان الله وصفهم بانهم عدول و بانهم شهداء و ذلك يقتضى ان يكون كل واحد عدلا و شاهدا لان « شهداء » جمع « شهيد » ، و قد علمنا أن كل واحد من هذه الأمة ليس بهذه الصفة فلم يجز ان يكون المراد ما قالوه ، على أن الامة ان اريد بها جميع الامة فقد بينا أن فيها كثيرا ممن يحكم بفسقه بل بكفره فلا يجوز حملها على الجميع ، انتهى كلامه .

أقول : إن لفظ « كم » فى « جعلناكم » كلفظ « الكل » فكما يراد بالكل الكل الافرادى و قد يراد به الكل المجموعى و هذا بحسب المقام و سوق الكلام . فكذلك قد يراد بلفظ « كم » الافراد كلهم من غير استثناء . و قد يراد به الجماعة من حيث المجموع و حينئذ الحكم لا يكون مسبوقا للافراد بل للجماعة فقط ، فعندنا أن الحكم فى الآية المذكورة ليس للافراد بل هو للجماعة و معناه ان المسلمين فى العالم من حيث القوم و

الامة جعلوا شهداء للناس ، و الخطاب فيها عام شامل لجميع المسلمين من حيث انهم مسلمون و مؤمنون ، فلا حاجة الى تخصيصها بجماعة دون جماعة ·

و اما قول الشيخ بان : . فيها كثيرا ممن يحكم بفسقه بل بكفره فلا يجوز حملها على الجميع ، فاقول ان العشيرة ليست بقلة الافراد و كثرتهم بل المقصود و المراد بيان أهمية الدين الحقيق الذى بعث به النبي ﷺ و الذى حمله المسلمون من حيث كونهم أمة وسطا . و لا شك ان كون المسلمين أمة وسطا موقوف و منحصر على كونهم مسلمين حقيقة اى متمسكين بالقرآن و السنة فى عقائدهم و أعمالهم فان كانوا فنعم و الا فلا .

و كذلك نجده حيث كلامه فى تفسير آية « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يقول كل ذلك يدل على أن ينبغى أن يعاملوا بالغلظة و الجفوة ، دون الملاطفة و الملاينة الا ما وقع من النار و العارض من الآى . ص ٢٤

فالذى نراه فى هذا المقام هو أن الحكم فى مثل هذه الآيات ليس بمطلق و لا عام ، بل هناك احوال و ظروف مختلفة فمنها حالة الأمن و منها حالة الحرب . ولكل من هذه لأحوال و الظروف أحكام خاصة نجدها بأجمعها فى سورة الممتحنة ، فاما لحالة الحرب و الكفاح فقال تعالى فيها : « يايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و اياكم ان تؤمنوا بالله ربكم » الآية » . و كذلك آية اخرى فى نفس السورة و هى . « انما

ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين و أخرجوكم من دياركم « الآية » ·

و اما حالة الأمن و الصلح و الموادعـــة فقد قال تعالى فى آية متصلة بهذه الاية الاخرى و قبلها : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين : الاية ·

فالبر و القسط المامور بهما فى هذه الاية يكونان مع غير المسلمين ·

هذا ما تيسر لى لأقدم اليكم أيها السادة الأعلام من مقالة متواضعة لأساهمكم فى تجليل من هو له من عظيم على الاسلام و المسلمين كلهم .

مهما كانوا و اينما سكنوا

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سعيد احمد الاكبر آبادى

عميد كلية الدين بالجامعة الاسلامية

بعليكره (الهند)

فہرس المصادر

(۱) الترمذی ج ۳ ص ۱٤۹ (۲) المقدمة ص ۳٦٦ (۳) الموافقات ج ۲ ص ۵۷ . ۵۸ طبع مصر (٤) الاستیعاب ج ۱ ص ۲۷۲ باب اختلاف الالفاظ (۵) الاستیعاب ج ۱ ص ۳٦۰ (٦) کشف الظنون ج ۱ باب علم التفسیر (۷) التفسیر و المفسرون محمد حسین الذہبی ج ۱ ص ۱٤۲ (۸) آلاء الرحمن فی تفسیر القرآن ج ۱ ص ٤۹ (۹) تاویل مختلف الحدیث ص ۸۰ (۱۰) ضحی الاسلام ج ۲ ص ۱٤۹ (۱۱) معجم الأدباء ج ۱۸ ص ٤۵ (۱۲) مذاهب التفسیر الاسلامی ص ۱۰۹ ، ۱۱۱ . ۱۱۲ (۱۳) مقدمة التفسیر ص ۳ (۱٤) التفسیر ج ۱ ص ۲۳٦ (۱۵) ج ۱ ص ٤٦ (۱٦) ج ۲ ص ۸٦ (۱۷) جلد اول ص ۱۲۸ (۱۸) ج ۱ ص ۳۰۳ (۹) ج ۱ ص ۱٦۲ (۲۰) ج ۱ ص ۳۸٤ (۳۱) ج ۲ ص ۲۹۲ . ۲۹۳ (۲۲) جلد اول ص ۲۲۳ (۲۳) جلد ثانی ص ٤۳۳ ، ٤۳٤ .

اعاجیب القدر

کانت السیارة مسرعة بنا فی منطقة جبلیة ، و کان الطریق ملتویا فی ارض جبلیة وعرة ، و کان علی یسارها جبل شاهق و علی یمینها واد سحیق . و فجأة انقطع موقف السیارة ، ففقد السائق السیطرة علیها ، و اخذت ترکض بسرعة جنونیة ، و استسلم رکابها للاقدار حین انعطفت السیارة یمینا لتهوی الی الوادی ، و لکنها اصطدمت بشجرة ضخمة ، و و توقفت عن المسیر . فخرجوا منها — و هم یحمدون الله علی السلامة و النجاة — و لا یکادون یصدقون انهم لا یزالون علی قید الحیاة .

اسرة عقدت العزم علی السفر بالقطار ، و فجأة تغیر رأی عائلها الشیخ و اراد السفر بالسیارة کی یمکنهم الوصول الی الجهة المقصودة

بسرعة ، اقلت السيارة الاسرة و بدأت تنهب الطريق نهبا حتى لم تبق الا مسافة قليلة ، و فجأة انحرفت السيارة قليلا عن الخط و اصطدمت بشدة بشاحنة واقفة على جانب الطريق . فتهشمت مقدمة السيارة ، و لبى السائق و الشيخ داعى الاجل و اصيبت افراد الاسرة الباقية بجروح خطيرة .

الانسان المغرور

نظر (مطرف بن عبد الله بن الشخير) الى يزيد بن المهلب . و هو يمشى متبخترا ، و عليه حلة يسحبها ، فقال له مطرف : ما هذه المشية التى يبغضها الله و رسوله ؟ ! فقال له يزيد : أما تعرفنى ؟ فقال : بلى ، اعرفك . اولك نطفة مذرة ، و آخرك جيفة قذرة ، و انت بين ذلك تحمل العذرة ! و قد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال :

عجبت من معجب بصورته ... و كان من قبل نطفة مذرة
و فى غد بعد حسن صورته ... يصير فى الارض جيفة قذرة
و هو على عجبه و نخوته ... ما بين جنبيه يحمل العذرة

امرأة تستوقف الخليفة

كان عمر بن الخطاب يسير مع بعض أصحابه . فلقيته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ، فوقف لها ، قالت : كنا نعرفك مدة عميرا ثم صرت من بعد عمير عمر ، ثم صرت من بعد عمر امير المومنين ،

فاتق الله يا ابن الخطاب ، و انظر فى امور الناس ، فان من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، و من خاف الموت خشى الفوت ـ ـ فقال صاحبه : يا أمة الله ـ أبكيت أميرالمومنين ! فقال له عمر : أسكت أتدرى من هذه؟ هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه ، فعمر أحرى أن يسمع قولها ·

إلى كم يا غلام ؟

قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المامون يوما ، فنادى بالخادم : يا غلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانيا و صاح يا غلام ، فدخل غلام و هو يقول : ما ينبغى للغلام أن ياكل و يشرب ؟ ! كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام ياغلام الى كم ياغلام ! ! فنكس المامون رأسه طويلا ، فما شككت أن يامرنى بضرب عنقه ، ثم نظر الى و قال : يا عبد الله : ان الرجل الذى حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه ، و اذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه ، و انا لا نستطيع أن تسوء أخلاقنا لتتحسن أخلاق خدمنا .

مجوسى يخجل

قال ابو الهذيل : قلت لمجوسى : ما تقول فى النار ؟ قال : بنت الله ـ قلت : فالبقر ؟ قال : ملائكة الله ـ قص أجنحتها و حطها على الارض يحرث عليها ، فقلت : فالماء ؟ قال : نور الله ـ قلت : فما الجوع و

العطش ؟ قال : فقر الشيطان و فاقته . قلت : فمن يعمل الارض ؟ قال : بهمن الملك . قلت : فما فى الدنيا شر من المجوس . أخذوا ملائكة الله فذبحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شووها بينت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان و فاقته ، ثم سلحوها على رأس بهمن الملك أعز ملائكة الله فبهت المجوسى و خجل .

طريق البريد

لم يكن لجزيرة (سنت كيلدا) بشمال سكوتلندا بانكلترا مواصلات للبريد انما الذى يحمل بريدها هو مد البحر و لذلك كانت تجمع الخطابات منها فى أوعية من الصفيح و معها النقود المقابلة لما يلزم لها من طوابع ثم تلق هذه الاوعية فى البحر مربوطة بعوامات من جلد الماشية ، و يعلق بها قطع من الخشب طافية و يكتب عليها بريد (سنت كيلدا) الرجاء فتحه .

و تحمل تيارات البحر معظم هذه الرسائل الى (جزائر شيتلان) و منها تحملها بواخر البريد الى انكلترا .

ماذا ينشد الاسلام بالوحدة

محمد ابو بكر الغازى بورى

المتخرج من دار العلوم بديوبند

العالم الاسلامى كله وحدة متماسكة قوية البناء ، و كل ناطق بالكلمة المؤمن بها عضو من تلك المجموعة الشاملة التى تكونت بها هذه الوحدة الاسلامية المتراصة ، من غير تمييز الاجناس و تفريق الاقاليم و اختلاف الطبقات ، و اعتبار اللغات و المدنيات ، فكل مسلم اينما هو ، و فى اية بقعة يقطن ، و الى اية طبقة ينتمى ، و باية لغة يتكلم ، و اى طابع كان له من طوابع المدنيات لبنة من هذا الصرح المنيع الذى شيده الاسلام و جزء هام لتلك المجموعة الاسلامية الالهية التى تمثل الوحدة — الوحدة التى نحرص على الاحتفاظ بها ، و الوحدة التى تذكرنا - نحن المسلمين - وحدة الديانة و وحدة الكلمة و وحدة الغرض — و لا ضمان لبقاء هذا

الصرح اذا تزعزع داخله بحدوث التزعزع فى لبناته و التصدع فى بنائه بتطرق الوهن الى باطنه فاذا وهنت لبنة أو تزحزحت عن مكانها فلا بد أن يتأثر بها سائر المجموعة ما لم يتخذ التدبير اللازم العاجل لاصلاحها ، و هذه حقيقة غير منكورة ، يقتنع بها كل من ينظر فى القضايا بمنظار الحقيقة و يقيسها بمقياس الواقعية .

ان العالم الاسلامى كله و كافة الناطقين بالكلمة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه جزء اشتكى سائره ، و اذا حدث خلل فى جزء منه يتأثر به كله . و كما أن الجسم لا يستطيع اداء وظيفته مع انحراف صحة الاعضاء أو اصابة بعضها بذلك الانحراف كذلك المسلمون لا يقدرون على أداء واجبهم مع اعتلال المجموع — العالم الاسلامى — و لا يمكنهم أن يشقوا طريقهم الى الامام و يقوموا فى صفوف الامم الراقية المتنافسة فى مجال الرقى و التقدم الا اذا كان بين اجزاء المجموعة تماسك قوى و ترابط وثيق و ائتلاف و ائتناس شديد ، و يمثل هذا المعنى النبيل قول الرسول ﷺ « المسلمون كالرجل الواحد اذا اشتكى عضو من اعضائه تداعى له سائر جسده » (١)

و يعبر كذلك عن هذا المعنى السامى قوله ﷺ

« المؤمن للومن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٢)

---

(١) كتاب الزهد لابن مبارك ، و مسلم .

(٢) رواه البخارى .

و الاسلام ربط بين قلوبنا و الف بينها بعد تشتتنا فاصبحنا بنعمته اخوانا و كنا قبله اعداء يكشر بعضنا لبعض ، فانشا بيننا صلة هي اقوى من صلة الرحم و آصرة هي آكد من اواصر القربى . و فى ذلك قال القرآن الكريم قولا بليغا فى منتهى الفصاحة و الاعجاز :

« و اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » و حينما حققنا هذه المعانى النبيلة فى حياتنا كنا سادة و رؤساء ، ذوى السيطرة و و القوة ، و اصحاب العز و المجد ، انبعث نور الاسلام من بطحاء مكة و خفق علمها حتى الى صحارى افريقية ، حكمنا نصف المعمورة العريضة الطويلة . و أخنعنا طغاة الملوك و جبابرة الاقيال ، و ظلمة الأكاسرة و القياصرة ، و كان لنا مكان اسمى و اعلى نحتله بين الامم ، و حيث كان القرآن امامنا و قدوتنا ، نقتبس منه مناهج العيش و اساليب الحياة كانت لنا الدنيا خاضعة و كنا سعداء نعيش عيشة رخيمة هادئة فى ظلال البهجة و الهناء الى جانب ، و عيشة الاستاذية و القيادة و الدعوة فى جانب آخر .

و الامر قد انعكس ذات الوقت اذ لم يبق بين العالم الاسلامى ترابط و تماسك و وئام و ائتلاف، حل محله التنافس و التنافر و اشتد الصراع و الشجار ، كل يود و يحاول ان يفرض نفسه على غيره و يجعله خاضعا لامره و تابعا لرأيه ، فتقوم قائمته على النفور و الضغينة لا على الحب و الاخلاص و لا على التضافر و التساند . اندفن الوئام و الوفاق تحت الرماد المتراكم ، فذهبت ريحهم و تزلزل كيانهم و وهنت الدول

المسلمة جمعاء .

و قد تفشى في ابناء الامة الاسلامية — في غالبهم — الانحلال الخلقى و اللامبالاة بالدين ، و الحيد عن المبادئ الاسلامية و الانحراف عن تعاليم الكتاب و السنة النزيهة النبيلة و التشريعات الاسلامية ، و ازدادت الرغبة في المبادئ الارضية و التجرد عن المثل العليا و القيم الاخلاقية العالية . و انتشرت بينهم في صورة هائلة المبادئ و التعاليم التى هى خطرداهم على الحياة الانسانية الكريمة ، و شاعت كذلك بينهم مناهج و اساليب عيش قذرة و عم الشعور بالنقص و نتيجة على ذلك تسربت اليهم الشيوعية و الماركسية و البلشفية و الاباحية بسرعة زائدة و بخطورة واسعة .

فالموقف خطير يحتم على الرؤساء و الملوك و من بايديهم مقاليد الامور و الحكم ان يتبادروا الى حل هذه المعضلة المعقدة التى يعانيها العالم الاسلامى كله — بحزم و كياسة ، و ان يسرعوا في اتخاذ التدابير اللازمة للاحتفاظ بكيان الأمة الاسلامية كى ينفلت المسلمون من المعمعة التى هم فيها الآن ، و من الضائقات التى وقعوا فيها .

و يجب قبل كل شئ تحقيق معنى الوحدة الاسلامية الصحيح بين العالم الاسلامى كله و بين المومنين أجمعين . و الربط بين كافتهم ربطا وثيقا محكما . يجب عليهم أن يمحصوا الدواء الناجع لتلك الامراض الخطرة المحدقة بهم و المسحوق لتلك الجراثيم القاتلة ، المتفشية ، يجب على الرؤساء و القادة الاسلاميين أن لا يعيشوا لبلادهم فحسب و لا لأجل

أهدافهم الشخصية فحسب ،بل للامة كلها ، بل لأهداف مشتركة ، بل لتلك الوحدة القائمة بينهم ، لوحدة الكلمة و لوحدة الدين ، و لوحدة المنهج و المبدأ !

يجب عليهم أن يكونوا عـلى حيطة و حـذر من مؤمرات الدول المستعمرة و مكائد الدول الطامعة الطاغية . فانها تريد أن تفككهم ، و تؤرب وحدتهم اربا اربا ، لتتهيأ لها سبل النفوذ اليهم و تحقيق المطامع الاستعمارية و المآرب الخبيثة و ليدوموا عبيدا لها و تثقل أعناقهم بطوق الذل و المهانة .

العالم الاسلامى كله يدين بدين واحد و له مناهج و مبادئ واحدة و أصول و شرائع متحدة متفقة فيجب أن تكون أهدافه و أطماعه كذلك واحدة . و فى مطلعها و قبل كل شئ اعلاء كلمة الديـن و رفع راية الاسلام و نشر الآداب الاسلامية و بث الأمن و السلام و القضـاء على الأخلاق الطائشة الماجنة ، و تبليغ الرسالة الالهية و هداية النـاس الى المركز الحقيق الأصيل و إرشادهم الى المعين الروحى المعنوى الذى تنفجر منه السعادة كلها و الخير كله و الصلاح اجمع ، و رفع الأغلال عن اعناق الأمة ، و ترفيهـا و نزع الشقاوة عنها و تحريرها من قيود الاستعمار و انقاذها من الذل و العبودية ، و العمل على ايجاد الاخوة الصادقة المحضة البعيدة عن اغراض نفسانية بين المسلمين جميعا .

و هل هذا يمكن الا اذا اجتمع شعثنا و انتظم أمرنا و تكتلنا على رصيف واحد ، و اتحدت اصواتنا و توحدت نعرتنا و هتافنا ، و قويت

مجموعتنا ، و شعرنا بالواجب الحقيق و تغلغلت فی نفوسنا هذا الروح التی ینطوی علیها الحدیث الشریف علی صاحبه أفضل الصلاة ، « عن سهل بن سعد عن النبی ﷺ ، قال ، ان المؤمن من أهل الایمان بمنزلة الرأس من الجسد یالم المؤمن لآهل الایمان کما یالم الجسد لما فی الرأس (۱)

نعم اذا حققنا هذا المعنی الکریم النبیل السامی البلیغ الجامع ، و اذا حققنا ما ینطوی علیه هذا الکلام الموجز الکریم . فنسعد فی حیاتنا و عشنا عیش العز و الکرامة و هنا نتریث قلیلا لنتفکر مرة أخری ، ماذا یرید الاسلام بالوحدة . فالاسلام یجعل الأمة تارة کالبنیان یشد بعضه بعضا ، و تارة کالجسم الواحد فی شیوع الاحاسیس و الشعور بالألم ، و مرة یجعل واجب المسلم الذب عن لحم أخیه فی المغیبة ، قال ﷺ .

من ذب عن لحم اخیه فی المغیبة کان حقا علی الله أن یعتقه من النار (۲) ، و أخری یحذره تحذیرا بالغا من هتك حرمات أخیه و الطعن فی عرضه ، و یوعده بوعید شدید ، و یرغبه فی نصرته و یعد علی ذاك وعدا حسنا قال ﷺ .

ما من امرئ مسلم یخذل امرءا مسلما الا خذله الله فی موطن یحب فیه نصرته ، و مامن امرئ ینصر امرءا مسلما فی موطن ینتقص فیه عرضه و ینتهك فیه من حرمته الا نصره الله فی موطن یحب فیه نصرته ، (۳)

---

(۱) کتاب الزهد ، الطبرانی ، احمد (۲) کتاب الزهد ، و احمد ، و الطبرانی

(۳) کتاب الزهد ، و ابو داؤد

و طورا يجعل من الايمان أن يحب لأخيه مايحب لنفسه ، قال عليه السلام لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، (١)

و مرة يجعل تفريج الاغمام عن المسلم و إدخال السرور عليه و تخفيف آلامه و مشاطرته فى همه و ألمه — من أحب الأعمال ،

عن أبي شريك عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أحب الأعمال الى الله ادخال السرور على المسلم او أن تفرج عنه غما أو تقضى عنه دينا أو تطعمه من جوع (٢)

و يقول مرة ان الاطعام للغير خير الاسلام ، عن عبد الله بن عمر ان رجلا سأل رسول الله ﷺ أى الاسلام خير قال : تطعم الطعام و تقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف ، (٣)

و أحيانا يجعل أفضل الاسلام أن لا يضر المؤمن اخاه لا من اليد و لا من اللسان ، عن أبي موسى قال رض : قالوا يارسول الله اى الاسلام أفضل ؟ قال من سلم المسلمون من يده و لسانه (٤)

فهذه المعانى النبيلة السامية هى التى ارادها الاسلام بالوحدة فليس هنا اغراض مختلفة و أهداف متباينة بل أغراض المسلمين أجمعين و أهداف العالم الاسلامى كله واحدة كاغراض نفس واحدة ، فلنعمل جميعا على المستوى الحكومى و الشعبي لتحقيق هذه الوحدة المثالية التى انعم الله علينا بها ، و التى أضعناها فضاعت شخصيتنا و التى تفتح لنا المجال للتعاون و التساند و تضمن لنا النجاح و الحياة الكريمة الممتازة .

---

(١) كتاب الزهد ، و البخارى . (٢) كتاب الزهد (٣) بخارى (٤) بخارى .

مرحبا باشبال ,, الفتح ،،

بقلم الشاعر الاستاذ عبد المنان الميوانى

هب النسيم و فاحت الأرجاء　　وصف الزمان و درت الأنواء
فى كل شئ بهجـــة و مسرة　　شدت الطيور و غنت الورقاء
يا حبذا طرب الأحبة معجبا　　و على اللســان مريحة و ثناء
ملئ الفضـاء محبـــة و صبابة　　و اهتزت الخضراء و الغبراء
كل امرى يجد السرور مضـاعفا　　و يرى الحبيب كما يرى و يشاء
و زيارة المحبوب قرة أعـين　　و قرار قـــلب قرت السراء
اهلا و سهلا بالضيوف و مرحبا　　قد أقبل الزعمـاء و النقبـاء
نفسى الفـــداء و مهجتى لا عزة　　باتوا وفى جـــذر القلوب اباء
فابوا هـــو أن تعبدوا سادة　　يـــد اليهـــود وليتها شــلاء
فالحمـــد لله الذى أســدى لنا　　نعما تجــل و ما لهـــا إحصاء
و أجلها أن لا تدين لذلة　　لو بذت الاوداج و الاحشاء

فئــة تحسب تحررا و تخــلصا و لعزة الوطن القديس وقاء
فئــة تخوض مهالكا و مخاوفا صبح الاغارة و المساء ســواء
فئــة تخيف عدوه و تذيقه هــون العــذاب و دونه الارزاء
فئــة وفتيتها و قل عــدادهم أسد العرين مقامهم هيجاء
فئــة تقر و لا تزول مكانها و عــلى المقابل سبقة عــذراء
أفهل رأيت تزلزلا و تذبذبا عزم المجــاهــد صخرة صمــاء
عجبــا لحر لا يروع فؤاده يوم اللقــاء و فى يديه لواء
نالوا الشهادة و الشهادة نعمة مغبــوطــة حفتهــم النعماء
وجد الشهيد تلالؤا و تألقا كالبـدر يطلــع فانجلت ظلمـاء
و هم الذين يجاهدون و لا يخا فون المـــلام و ما بهم خيلاء
قالوا جهادا لا ندين لمن طغى ضرب الجماجم رزقنا و غــذاء
ضربوا العدى ضربا يشتت شملهم وحسى لجمــع ندائيين نداء
شهد العدو و بطعنها و ضرابها و الفضل ما شهدت به الأعداء
سل عنهم الدايان كيف وجدتهم عرب تطاير صيتهــم عربا
و الغرب شيعته الجفا و غدره باق و هل الغادرين بقاء

ان الجهاد على العباد فريضة
بورود نص ليس فيه مراء

الأشياء الصغيرة هى اساس كل شى

- ان قطرات الماء الصغيرة تتكون منها المحيطات الواسعة ·
- و ان ذرات الرمال الدقيقة تتكون منها الصحارى الشاسعة ·
- و ان الدقائق و الثوانى هى التى تكون السنين و الاجيال .

فاحذر الاخطاء الصغيرة

لأنها تقود الى الفشل و المعصية · ·

و احرص على الخير و لو كان قليلا

لأنه يجعل الدنيا التى نعيش فيها جنة خضراء ، يملؤها الحب و الوفاء ·

فالاشياء الصغيرة هى اساس كل شى كبير

الاستاذ هلال العثمانى
المدرس بدارالعلوم بديوبند

ان فلاح الانسانية الضالة و سعادة البشرية و كرامتها و نجاتها انما هى فى تعاليم الدين الاسلامى و انظمته العادلة التى اضطرت الاجانب الى الاعتراف بمحامد الاسلام و لهج السنتهم بها على الرغم من الاتهامات الكاذبة الظالمة التى يوجهها الى الاسلام بعض المتعصبين الحاقدين على الاسلام . و اذكر هنا نبذة من اقوال المنكرين الاجانب مما يشهد بفضل الاسلام و خصائصه و محامده .

(۱) رئيس الكنيسة فى انكلترا :

إسحاق طيار ، رئيس الكنيسة فى انكلترا يقول فى خطاب القاه فى مؤتمر الكنيسة :

« ان الاسلام ينشر لواء المدنية التى تعلم الانسان ما لم يعلم ، فنافع الدين الاسلامى لا ريب فيها ، و فوائده من اعظم أركان المدنية و مبانيها » .

(٢) الفيلسوف كارليل :

يقول الفيلسوف (توماس كارليل) فى كتابه « الابطال » : « لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى الى ما يظن من أن دين الاسلام كذب و أن محمدا خداع مزور ، و أن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى اداها هذا الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا ، ثم اضاف يقول : « فمن فضائل الاسلام تضحية النفس فى سبيل الله و هذا أشرف ما نزل من السماء على وجه الأرض » .

(٣) برنارد شا :

الفيلسوف الشهير برنارد شا يقول — و ما أروع كلمته حين قال — :

« و قد كشفت الحرب العالمية الثانية عن ساقها و استعراوارها ، فاكلت الأخضر و اليابس و تطلع رجال الفكر الى بريق للنجاة ، و ما أحوج العالم الى مثل محمد ﷺ بحل مشاكله » .

(٤) جوستان لوبون :

يقول العلامة (جوستان لوبون) الفرنساوى :

« و تشتق سهولة الاسلام العظيمة من التوحيد المحض ، و فى هذه السهولة سر قوة الاسلام ، و الاسلام ادراكه سهل ، خال مما نراه فى

الاديان الاخرى ، و يأباه الذوق السليم — فى الغالب — من المتناقضات و الغوامض و لا شئ اكثر وضوحا و أقل غموضا من أصول الاسلام القائلة بوجود اله واحد ، و بمساواة جميع الناس امام الله » .

ثم قال : « و لا ريب فى أن نفوذ الاسلام السياسى و المدنى كان عظيما فى الغاية ، فقد كانت بلاد العرب قبل محمد مؤلفة من أمارات مستقلة و قبائل متقاتلة دائما . فلما ظهر محمد ، و مضى على ظهوره قرن واحد ، كانت دولة العرب ممتدة من الهند الى اسبانيا ، و كانت الحضارة تسطع بنورها الوهاج فى جميع المدن التى خفقت راية النبى فوقها » (١)

(٥) الدكتور نظمى لوقا :

قال الدكتور (نظمى لوقا) فى الشريعة الاسلامية ـ و هو مسيحى ـ :

« تلك هى شريعة الاخاء ، و هى شريعة الحرية التى لا تعرف قيصر ، و لا تعرف عقدة اثم ، ولا تحنو حياة الخلق فيها لغير الله ـ ـ

أفهى شريعة مساواة ؟ ؟

انها لشريعة مساواة ، و ما هى شريعة تسوية ، هى شريعة عدل ، و العدل أن يؤتى كل ذى حق حقه ، و أن يكون التقدير فرعا عن القدر ـ ـ ـ كذلك تتفاضل الاقمار و الاشجار ـ ـ ـ أفلا تتفاوت بين الناس الأقدار ؟ ؟

أجل

---

(١) من كتاب حضارة العرب للعلامة جوستاف لوبون ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢) سورة الاسراء (٣) سورة النور (٤) سورة المجادلة (٥) الحجرات (٦) سورة الانعام

: (و لقد فضلنا بعض النبيين على بعض) (٢) (هل يستوى الذين يعلمون و الذين لايعلمون) (٣)

حاشا و كلا - - - لا يستوون و ان كابر الجاهلون أو ظلم الظالمون ، و انما كانو انفسهم يظلمون . (بل يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات) (٤) (انما المؤمنون اخوة) (٥) (و لكل درجات مما عملوا ، و ما ربك بغافل عما يعملون) (٦)

(برقية مواساة الى تركيا)
فى حوادث الزلزال

ارسل صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير الدار برقية مواساة الى حكومة تركيا بواسطة السفارة التركية بدلهى الجديدة . الهند . بمناسبة حوادث الزلزال المفجعة الذى اصاب بعض المناطق التركية و هذا نصها :

صاحب السعادة سفير الجمهورية التركية الموقر السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و بعد :

« لقد آلمتنى الخسائر فى الارواح و الاموال جدا فتقبلوا مواساتى فى المنكوبين اعانهم الله . و عزائى فى المفقودين تغمدهم الله برحمته »

(برقية ثانية الى رئيس حكومة الغجرات « الهند »)

ارسل فضيلة المدير المحترم البرقية الثانية الى رئيس حكومة غجرات « الهندية » اظهر فيها مواساته فى منكوبى و مفقودى حوادث الزلزال فى منطقة بهروچ .

طبعت بالمطبعة الحميـدية
سرائمير ، اعظم گڈھ
قام بالطبع و النشر وحید الزماں الـکیرانوی من دار العلوم
بدیو بند

تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

دعوة الحق

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم ديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤول :

وحيد الزمان الكيرانوي

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوي :

في الهند و باكستان ست روبيات

في الخارج ما يعادلها عدا اجرة البريد

العدد الثالث المجلد السادس

جمادى الأخرى سنة ١٣٩٠ه

اغسطس سنة ١٩٧٠م

محتويات هذا العدد

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٦ روبيات فى پاكستان إلى العنوان التالى :

الحاج شوكت على يو ، پى سوڈا فيكٹرى ناتھ روڈ - لاهور

ملحوظة : يرسل إيصاله إلينا بعد تحويل المبلغ على العنوان

القرآن و مشروعية القتال

فضيلة الشيخ محمد محمود حجازى

فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد و اما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك و لو يشاء الله لانتصر منهم و لكن ليبلو بعضكم ببعض و الذين قتلوا فى سبيل الله

المفردات :

(لقيتم) واجهتموهم فى الحرب (فضرب الرقاب) اى اضربوا الرقاب ضرباً و ضرب الرقاب مجاز عن القتل (أثخنتموهم) اكثرتم القتل فيهم (فشدوا الوثاق) الوثاق هو الحبل الذى يوثق به الاسير كالرباط ، و شده إحكام ربطه حتى لا يفلت . (فاما منا) فاما تمنون منا اى تطلقونهم من غير فدية (و اما فداء) و اما تطلقونهم فداء اى [illegible] نظير فداء بعض اسرائكم عند المشركين (تضع الحرب اوزارها) [illegible]

فلن يضل اعمالهم ، سيهديهم و يصلح بالهم و يدخلهم الجنة عرفها لهم ، يا ايها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ، و الذين كفروا فتعسا لهم و أضل اعمالهم ، ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم · (سورة محمد ﷺ)

• • • • •

الاسلام و رسالته

جاء الاسلام ينشد العدالة و يدعم اسس الحق ، و ينشر لواء الحرية و ينادى بان الناس احرار فى كل ما يفعلون او يعتقدون فى حدود الحرية المكفولة لهم . و لهذا كانت دعوته الناس الى الاسلام بلا اكراه و لا قتال ، لا اكراه فى الدين ، ، ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة

الحمل ، و المراد اثقال الحرب و احمالها ، و وضع الحرب اوزارها كناية عن انتهائها . (لا نتصر منهم) لانتقم منهم بالاستيصال و الاهلاك بغير جنود (ليبلو بعضكم ببعض) اى امركم بالقتال ليبلو المومنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم ، و يبلو الكافرين بالمومنين بان يعذبهم بايديهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (سيهديهم) يهديهم الى الثواب او يثبت هدايتهم التى هم عليها (بالهم) حالهم و شانهم (عرفها) جعلها معروفة ومعينة المقام ، او جعلها طيبة الرائحة (۱) (فتعساً لهم) اى هلاكا لهم و خيبة ، تعس : هلك و خاب .

---

(۱) المعنى الاول مشتق من المعرفة و الثانى من العرف بمعنى الرائحة الطيبة . (تحرير)

الحسنة » ، « و ما انت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .
و جاءت آيات فی القرآن تدعو الى القتال و تحث عليه ، فعلى ای وجه نفهمها ؟ نعم وردت آيات القتال لتنظيم تلك الغزيرة الفطرية المطبوع عليها الخلق منذ بدء الخليقة ، و وضع حدود ثابتة لها ، و توجيهها الوجهة الصالحة لتكون اداة تعمير لا تخريب .

فرسالة الاسلام اذا لم تحمل للناس على ظبا (۱) السيوف ، و لم يعتنقها (۲) بعضهم تحت ظلال الحراب ، و انما كان طريق الاسلام دائما دعوة رفيقة و موعظة حسنة ، و دعم (۳) الرأی بالحجة و البرهان الناصع ، فمن قبل الدعوة الاسلامية كان من المسلمين ، له مالهم ، و عليه ما عليهم ، لا فضل لعربی على اعجمی الا بالتقوی ، و الناس سواء ، كلهم لآدم و آدم من تراب ، و من ابی الدخول فی الاسلام فرضت عليه الجزية دليلا على اذعانه ، و برهانا على حسن نيته للمسلمين و تمهيد الهداية ، فعسى أن يشرح الله صدره للحق و الخير ، و من لم يقبل الدعوة و رفض ان يدفع الجزية وجب قتاله . و ليس ذلك اعتداء بل درء لخطر لا شك فی وقوعه ، تامين للدعوة .

مبدأ القتال فی الاسلام

فالاسلام لا يطالبنا بان نقاتل اهل الكتاب أو الوثنيين أو المجوس

---

(۱) جمع ظبة هی حد السيف و السنان (۲) لم يعتنقها (۳) تقوية و احكام

مثلا من غير سبب ، و انما يطالبنا بان ندعوهم الى الاسلام .فان تركونا احرارا فى بث الدعوة و اقامة البراهين عليها فلا نقاتلهم ، و ان قاوموا الدعوة او اعتدوا على الدعاة قاتلناهم تقريرا لمبدأ الحرية الدينية و حماية للدعوة و كفا لاذاهم ، و قد طبق الاسلام هذا المبدأ مع المخالفين جميعا كتابيين و وثنيين ، فكان يعرض عليهم اولا الدخول فى الاسلام فان قبلوا ذلك كانوا كالمسلمين ، و ان رفضوا هذا العرض و تمسكوا بمعتقداتهم مع ترك دعاة المسلمين احراراً وجب على المسلمين أن لا يقاتلوهم أو يعترضوهم فى شئ ، « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم و القوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » .

فان لم يقبلو الاسلام و اعترضوا دعوته و آذوا دعاته و نقضوا عهودهم كان ذلك اعلانا منهم بالمناوأة (١) و هؤلاء نطالبهم بالجزية دليلا على الخضوع و كف الاذى . فان دفعوها اصبحوا رعية للدولة الاسلامية عليها حمايتهم ورعايتهم و تامينهم علىاموالهم فى انفسهم . و كانت الجزية مقدار ما يتحملون من الجيش الاسلامى المدافع . و ان رفضوا دفع الجزية قاتلناهم « حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون » .

موقف الاسلام من مشركى العرب

اما مشركوا العرب فقد فرق الاسلام بينهم و بين غيرهم من

(١) المناوأة : المعاداة

المشركين ، فكان لا يقبل منهم الا الاسلام او الحرب بينما كان يخير غيرهم فى الاسلام او الجزية او الحرب ، و لعل السبب فى ذلك انهم وقفوا من المسلمين موقفا شاذا (١) ، و عاملوهم معاملة قاسيه ، و عملوا جاهدين على اطفاء نور الاسلام و حاربوه حرب ابادة لا هوادة فيها « و لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » .

فكان القتال معهم منحصرة اسبابه فى رد العدوان ، و قطع الفتنة ، و تامين الدعوة « و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » .

و من هنا نفهم معنى قول النبى ﷺ « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » فالمراد بالناس هم مشركوا العرب خاصة

و نفهم اذاً سر التشديد فى قتال المشركين ، و انهم هم المقصودون « بالذين كفروا » فى هذه الآية و يكون معناها ما ياتى :

اذا كان الامر كذلك من ضلال اعمال الكفار ، و صلاح حال المؤمنين فاذا لقيتم المشركين فى الحروب فاضربوا الرقاب ضربا شديدا و كثيرا ، و لعل ايثار (٢) هذه العبارة على قوله فاقتلوهم للاشارة الى ان القتال يجب ان يكون باطاحة الرؤس و ازاحتها عن البدن و بقائه ملقى على صورة منكرة ، و فى هذا تشجيع للمسلمين و اى تشجيع !

اذا لقيتموهم فى المعركة فالواجب بذل الجهد فى قتل الاعداء دون

---

(١) الشاذ : المنفرد ، ما خالف القاعدة و القياس او العادة (٢) اختيار و تفضيل .

اخذهم اسرى حرب لان ذلك يجعلنا اعزة و هم اذلة حتى اذا اثخناهم فى المعركة جرحا و قتلا و تم لنا الرجحان عليهم فعلا رجحنا الاسر المعبر عنه فى هذه الآية بشد الوثاق لانه يكون حينئذ من الرحمة الاختيارية و تكون الحرب ضرورة تقدر بقدرها ، و ليس المراد بها سفك الدماء و حب الانتقام ، ثم انتم بعد انقضاء الحرب و انفصال المعركة التى اثخنتموهم قتلا و جرحا فيها مخيرون فى امرهم ان شئتم مننتم عليهم فاطلقتم اسراهم بلا مقابل ، و ان شئتم فاديتموهم بمال تاخذونه منهم او برجال اسرى عندهم ، و هو ما يعبر عنه الآن بتبادل الاسرى .

و الظاهر - و الله اعلم - ان هذه الآية نزلت بعد غزوة بدر التى عاتب الله فيها النبى ﷺ على الاستكثار من الاسارى يومئذ ليأخذ منهم الفداء « ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض . تريدون عرض الدنيا و الله يريد الآخرة و الله عزيز حكيم » .

و علماء الاحناف يرون ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى « فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » و عند الاكثرين انها ليست بمنسوخة و الامام مخير بين المن على الاسير و مفاداته فقط ، و لا يجوز له قتله بعد المعركة و انتهائها فالامام عقب المعركة مخير بين الاسر او القتل ، فاذا اسر له ان يمن او يفادى ، و ليس له القتل (١)

---

(١) و للحنيفة كذلك روايات فى فتح القدير و الشامى مما يؤيد ذلك .

و علماء الشافعية يقولون : ان الامام مخير بين اربعة خصال ، يختار الاحسن منهم للاسلام و المسلمين ، فله ان يقتل الاسير ان لم يسلم او يمن عليه بلا مقابل ، او يفاديه بمال او بفك اسير عندهم منا ، او استرقاقه ، و قد استدلوا على ذلك بان النبي ﷺ من على ابى عزة الجمحى و على ثمامة بن اثال ، و فادى رجلا برجلين من المشركين ، و امر بقتل بعضهم ، كالنضر بن الحارث ، و عقبة بن ابى معيط ، و ذلك كله ثابت فى كتب التاريخ و السيرة و السنة .

و هذه الاحكام كلها جارية معهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم و عودة البشرية الى حالة الهدوء و الطمانينة و الحرية الكاملة ، و هذا ما تنشده الائمة و المصلحون ، اما تحققه فهو موكول الى الله ، و هذا معنى قوله « تضع الحرب اوزارها (١) الامر ذلك فاعرفوه و لو شاء الله لانتصر لكم باهلاكهم بعذاب من عنده لا جهاد لكم فيه ، و لكن مضت سنته و شاءت قدرته ان يجعل سعادة الدنيا و الآخرة للناس باعمالهم و جهادهم ، و ذلك ليمحص الله الذين اتقوا ، و يعلم علم ظهور المنافقين من غيرهم .

و الذين قتلوا فى سبيل الله ، و استشهدوا فى سبيل الدفاع عن الحق و نصرته ، فلن يضل اعمالهم ، بل سيجازيهم عليها احسن الجزاء ،

---

(١) فى هذه العبارة مجاز فى الاسناد ، و المراد حتى يضع اهل الحرب .

سيهديهم و يصلح حالهم (١) ، و يدخلهم الجنة عرفها لهم ، و وصف لهم نوع نعيمها الدائم المقيم .

ثم انه تعالى بين ثواب القتال و جزاء الاستشهاد ، و عدهم بالنصر فى الدنيا زيادة فى الحث على القتال فقال : « يايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم » على اعدائكم مهما كانوا ، فالله يدافع عن الذين آمنوا ، و الله يثبت اقدامكم فى الحرب ، و يقوى روحكم المعنوية تقوية بها تخوضون غمار الحرب فائزين منتصرين ، و قد حصل ذلك مع النبى ﷺ و صحبه ، و الذين كفروا فتعسوا تعسا و هلكوا هلاكا ، و اضل الله اعمالهم ، و ابطل كيدهم و رده فى نحورهم ، ذلك كله بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن و التوحيد و الدعوة الى مكارم الاخلاق فكان جزاؤهم ان احبط الله اعمالهم ، و وجه كراهتهم للدين الجديد انه جاء بتكاليف و هم قوم الفوا الاهمال و اطلاق العنان للنفس و الهوى، فلما جاء القرآن بالتكاليف و ترك الملذات كرهوه و نفروا منه .

• • • • •

---

(١) الجملة واقعة موقع البيان عما قبلها و لذا فصلت .

الوضوء طهارة و عبادة

افادات درسية للمغفور له الشيخ السيد حسين احمد المدنى شيخ الحديث
بدار العلوم سابقاً

اعداد و تعريب الاستاذ محمد افضال الحق القاسمى
المدرس بدار العلوم ، ديوبند - امروهه

عن ابى هريرة رض قال قال رسول الله ﷺ : « اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء او نحو هذا . واذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى [illegible] من الذنوب [illegible]

قال الشيخ المدنى : (١) « اذا توضأ اى اذا فرغ من الوضوء ، و هو معناه الحقيقى ، و لكن لا يصح معه « فغسل وجهه » فقيل : ان الفاء فيه للتفصيل لا للتعقيب ، (و فيها تكلف) و معناه المجازى اراد الوضوء أو شرع فى الوضوء ، فارادة الشئ مجاز عن الشئ فالفاء للتعقيب و قيل : معناه « تطهر » فيشمل التيمم ايضا و لا يشمله معناه الحقيقى (اى غسل الاعضاء بالماء) ، و المصنف اراد معناه المجازى ، فادخل الحديث فى باب فضل الطهور لا الوضوء ، و بين التطهر و التوضى فرق معنوى .

(١) الوضوء (بالكسر) من الاضاءة و معناها الاشراق و الجمال فبالماء يتجمل الرجل و يستضيئ به ، و هذا أقرب الى التحقيق ، و قيل : الوضوء سبب الاشراق يوم الحشر ، و به يعرف النبى عليه السلام امته كما قال : « ان امتى يدعون يوم القيامة غراً(٢) محجلين (٣) من آثار الوضوء (٤) ، و قال : انهم ياتون غرا محجلين من الوضوء و أنا فرطهم على الحوض (٥) فيستضئ حيثما اصاب الماء و يقال له حلية المؤمن ، قال عليه السلام : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » . و هـــذا الوضوء طهور لازالة الاوساخ و الخبائث .

---

(١) المغفور له الاستاذ الشيخ حسين احمد المدنى رئيس هيئة المدرسين و رئيس جمعية علماء الهند سابقا (من كبار الزعماء والقادة المصلحين فى الهند (٢) غر جمع اغر و هو الابيض اللامع الوجه
(٣) محجلين جمع محجل و هو الذى يكون البياض فى رجله بمنزلة الخلاخيل المراد الجميل المشرق
(٤) رواية الشيخين عن ابى هريرة (٥) مسلم عن ابى هريرة .

(۲) الوضوء عبادة فی ذاته ، و الطهور آلة للعبادة ، فلا يحتاج الى الايمان فی وجوده بخلاف التوضی فانه لا يحصل الا مع الايمان و العبودية ، فقال عليه السلام : « توضأ العبد المسلم » فان بينهما لزوما .

المسلم او المؤمن ، قال الشيخ : « او » لشك الراوی بين المسلم و المؤمن ، و بينهما فرق ، لأن الاسلام اطاعة و الايمان اعتقاد كما قال الله تعالى : « و قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا و لكن قولوا اسلمنا » فتغايرا مفهوما و اتحدا مصداقا .

ذكر عليه السلام هنا وصفين : العبدية و الاسلام ، و لم يذكر الرجل و الانسان فعلم ان ما ذكر من الجزاء هو ثمرة العبودية و الاسلام مع الايمان ، فخروج الذنوب لا يكون من انسان حتى يحصل له هذان الوصفان ، فان لم يكن احد منهما لم يحصل الجزاء ، فهما شرطان لازالة الذنوب ، لأن الصفة فی الوصف العنوانی تكون علة للحكم ، يقال « زيد عالم مكرم » ای انه مكرم لعلمه ، فمن الناس من يقر بالعبدية و لا يوجد فيه الايمان و الاسلام ، و البعض يكفرون بالله كالدهرية فليس فيهم العبدية و لا الاسلام ، فليس احد منهما مستحقا لهذا الجزاء .

و العبدية كلی مشكك (۱) ای ذو ابعاض بعضها فوق بعض ، فالعبد من كان طائعا لولاية شخص آخر بلا غرض ، و هو وصف لا مزيد عليه فی الانسانية ، كما حكی ان السلطان محمود الغزنوی امر اياز

(۱) الكلی المشكك هو الذی لا يصدق علی افراده بالتساوی فمعنى العبدية مفهوم كلی ، لا يصدق علی جميع العباد معنى العبدية كاملا علی سبيل التساوی . التحرير

بان یاتی بقدح ثمین من الیاقوت فاشتراه بآلاف من الدنانیر ، ثم امر السلطان فی محضر من الناس ان یرمی به علی الارض ففعل ذلك ایاز امتثالا لامرالسلطان و ضرب به علیالارض فانكسر ، فزجره السلطان قائلا : لم كسرت قدحا ثمینا ؟ قال ایاز اعتذارا : اخطأت یا سیدی و لم یقل : اطعت امرك . فهذه عبدیة كاملة ، و نحن مطالبون بان نعمل كما امر الله تعالی و نعترف بالقصور قائلین : « ربنا ظلمنا انفسنا و ان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرین » .

و للعبدیة درجات ، و الرسول فیها عـــلی مراتبها الكاملة . فالله سبحانه و تعالی متی یذكره بوصفه بالعبدیه یراد به العبد الكامل كما قال . « سبحان الذی اسری بعبده لیلا من المسجد الحرام الی المسجد الاقصی » و ذلك لأن الرسول علیه السلام كان عبدا كاملا .

و قال بعض السفهاء انه علیه السلام لم یكن عبدا ، و انما قالوا ذلك عن بلادتهم لـما لم یفهموا لنخوتهم و كبرهم معنی العبدیة و ما فیها من رفعة شأنه بالنسبة الی الخالق المعبود جل و علا ، فالله سبحانه و تعالی اختار له « العبد » لقب شرف و اكرام فی غیر مرة واحدة ، و كان علیه السلام یجتهد كل الجهد لأن یخضع و یتواضع الی درجة لا یتطرق الیها و هم الالوهیة ، خلافا للنصاری و الیهود . حتی لم یكن یرضی علیه السلام ان یقوم له الناس اعزازا له ، و كان یمشی مع الركب خلفه او وسطه ، و هی العبدیة الكاملة . هذا هو القول المعروف .

و قال بعض الصوفیة : ان العبدیة درجة رفیعة عال قدرها (فهی

عند الله ارفع جزاء و صلة به) .

و الوصف الثانى الاسلام . و هو الانقياد و الطاعة لله و لرسوله و الايمان هو التصديق بما جاء به النبى ﷺ فان عمل اطاعة لله فهو الاسلام و الا لم يتحقق ، فان تطهر لاطاعته فهو التوضى ، و هو العبادة و الا فهو التبرد ، و لا جزاء له ، و لا يزيل الخطايا والذنوب ، و الماء لا يكون مستعملا به حتى تعطى له الاحكام .

فالعبدية هنا لاظهار الانابة ، و الاسلام لاظهار الطاعة ، لأن الايمان الحقيق يستلزم الانابة الى الله تعالى ، و الاسلام يقتضى اطاعة رسوله ، و من اناب و اطاع تاب الله عليه ، و يخرج نقيا من الذنوب و من ثم قال « نقيا من الذنوب » و اراد استغراقها .

و اما قوله فغسل وجهه ان كان معناه فرغ من الغسل فالفاء للكيفية و ان كان معناه اشتغل به اى شرع فى غسل الوجه فالفاء للتفصيل .

و ذكر الوجه هنا اتباعا للقرآن و الا فالغسل يبدأ باليدين و المضمضة و الاستنشاق و لم يذكر كل ذلك اما اختصارا كما فى رواية ابى داؤد و مالك و النسائى عن الصنابحى مرفوعا بسند غير الترمذى قال عليه السلام : اذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه ، و اذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت اشفار عينيه ، فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه ، فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه ، فاذا غسل رجليه خرجت

الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه الحديث (فسائى ص ٣٩) .

فظهر انه عليه السلام ذكر سائر الاعضاء و لذا قال « نقيا من الذنوب »، و ان لم يورد الأعضاء كلها . فكيف يصح اطلاق التنقية الا ان يقال ان ههنا اجمالا ، فالوجه يشمل الضم ، و الانف و العين حتى قيل الاذن ايضا مع الوجه ، فغسله يخرج الذنوب عن كلها .

و قيل ان ههنا ذكر عملين لا غيرهما و لكن لاوجه له سوى الاختصار ، فلذا قال السيوطى رح : ان المسئلة لاتنقح حتى تورس طرق الحديث كلها ، فالذين يفتون على حديث واحد فهم على مبدأ الخطأ ، فقال عليه السلام : من غسل سائر اعضائه انابة و اطاعة خرجت عن اعضائه الذنوب و صار نقيا منها .

و اما قوله : « كل خطيئة نظر اليها » فينشأ السؤال انه كيف ينظر الى الخطيئة و هى غيرمرئية ، و حكم النظر ههنا عام ، و الجواب عنه ان سبب الخطيئة مبصر ، فالضمير فى اليها عائد باعتبار السبب ، كمثل المحرمات اذا نظر اليها فأخطأ فكانه نظر الخطيئة . و هذا من قبيل اقامة المسبب مقام السبب و الضمير اذا رجع الى الخطيئة ففيها صنعة استخدام لأن فى لفظ الخطيئة معنى ، و فى الضمير الراجع اليها معنى آخر ، فاراد بها معنيين ، الاول من نصها و الثانى من الضمير .

و اما ذكر العينين فى قوله « نظر اليها بعينيه » فالظاهر ان ذكر العين بعد النظر زائد هنا ، قيل : هو للتاكيد و التوضيح كما يقال جئت بقدمى

و يراد به الايضاح ، و قيل معناه نظر بعينيه قصدا و ارادة فاحترز به
عما نظر اليه بغتة كما قال عليه السلام لعلى : لك النظرة الاولى و
ليس لك الثانية .

فان نظر بغتة لم يؤاخذ عليه ، و ان نظر عائدا اثم ، و هكذا النظر
قد يكون من عين كاللحظ ، و قد يكون من عينين و هو كمال الرؤية
فاحترز ههنا من اللحظ ، و جعل العين مثنى لأن اللحظ قليل او بلا قصد
او قليل التلذذ و من العينين تلذذ تام .

و قيل النظر قد يكون بالقلب و تارة بعين ، فمن ينظر بالقلب ينظر
كما ترى بالعين . بل بصارته تنفذ من الجدران و القصور ايضا ، و هذا
النظر يحصل للصوفية و المشائين و زهاد الهنود . فاحترز ههنا عن هذا النظر
القلبي فانه لا يخرج ماء الوضوء آثاره .

و ان قيل ان لذنوب تصدر من اللسان و الأنف و الشفة كذلك
فلم خص عليه السلام ذنب العين دون غيرها من الجوارح ؟ فاجيب
بان العين اكثر ذنبا ، فان ذنب القلب اكثره باشارته كما يقال : « العين
رائد القلب ، فربما تكون حرارة القلب من العين ، و تارة تتحرك العين
من تصورات القلب . فذكر العين للاهتمام بشأنها ، و اذا خرجت الخطايا
من العين فبالاولى خرجت من غيرها .

و قيل — و هو اقرب الى التحقيق — ان اللسان اكثر ذنبا
صغائر كانت او كبائر ، الا ان اللسان و الانف خطاياهما تخرج من ماء
المضمضة و الاستنشاق و لا سبيل الى العين (و هى ايضا محل الخطأ)

لأن الماء لا مدخل له فيها ليخرج منها الذنوب ، فاشتبه الامر ، فبينه عليه السلام ان الخروج ليس من عضو مسه الماء فقط ، بل مرور الماء عليه بغير دخوله يخرج الذنوب كالعين · فكيف اذا وصل الماء او دخل فيها ·

(٣) الاعمال اعراض غير قارة بالذات ، فان كانت حسنة يثاب عليها ، و ان كانت قبيحة يعذب فما معنى الخروج ؟ لأن الدخول و الخروج من وصف الجواهر و الاجسام ، و الخطايا اعراض ، نعم بعض الاعراض تخرج و تدخل كالحرارة و البرودة الا انهما من المحسوسات ، و الخطايا ليست كذلك ايضا ، و ان قيل : ان الخروج معناه الازالة فكيف يزول غير قار بالذات لان الزوال لشئ ذى جرم او ذى اجزاء ، فان كان مجتمعا ينقسم و يتجزأ ، و ما ليس كذلك فكيف يثبت له الخروج و الزوال ·

و الجواب على هذا السؤال هو ان الخروج معناه الحقيقى الانتقال من مكان الى مكان ، و ليس هو بمراد ، بل معناه العفو و المحو ، فهو مجاز استعارة ، اى محت ذنوبهم عن صحائف الملائكة الذين يكتبون الاعمال و الحاصل ان امتثال اوامر الله تعالى سبب لمحو الذنوب ، فشبه المعقول بالمحسوس ، و حذف الغفران المشبه و اقيم مقامه الخطيئة التى هى تناسب الغفران فهى استعارة تمثيلية ، نحو رأيت اسدا فى الحمام ، فههنا ذكر الخروج و اريد به الغفران و هو كمال المحو ، لأن المحو على اطوار : تارة يبقى اثر الممحو و تارة لا يبقى له اثر ، فاذا خرج شئ لم يبق اثره و زال كما تزول النجاسة المرئية بالماء ، هذا هو المشهور من التوجيهات .

(۲) و قيل : الخروج فى معناه ، و هنا مجاز بالحذف ، اى يخرج اثر كل خطيئة ، و المجاز بالحذف : ان تحذف كلمة تعلم بالقرينة كما قال الله تعالى : فاسئل القرية ، اى اهل القرية ، فلا اشكال فى الخروج .

و الحاصل ان فى الحديث محذوفا ، و المراد بالخطايا آثارها لأن ثمرة الاعمال تؤثر على الانبياء ايضا و هم المعصومون الا أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فعلى هذا الأصل كان عليه السلام يستغفر الله كل يوم سبعين مرة .

نعم يمكن أن يستشكل أن الأثر امر معنوى و الماء شئ مادى فكيف يزول المعنوى بالمادى ؟ و الجواب أن بين الروح و المادة نسبة ، فاذا اشتكى الروح يتأثر به الأعضاء و يظهر الأثر على غيرها معنويا ، و ان كانت الروح معنويا و الجسم ماديا ، و هكذا على عكسه اذا اشتكى الجسم تتأثر به الروح و يضمحل به الانسان ، فعلم أن بينهما رابطة خاصة مؤثرة فيهما ، فان زالت آثار الخطيئات من ماء اعضائه فلا عجب ، و قد قال الله تعالى : « و انزلنا من السماء ماء طهورا » ، و الطهور عام لا يختص بالجسم فقط ، فالحديث دال على أن الماء يطهر الظاهر و الباطن و يكفيهما .

و ههنا أصل ، و هو أن القلب صورى و حقيقى ، اما الصورى فهو الذى قال عنه عليه السلام : « لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله و اذا فسدت فسد الجسد كله » ، و هو جسمانى ، مضغة من اللحم ، و اما الحقيقى فهو الملآن بنور الاذعان و الايمان ، و بين القلبين ارتباط

خاص مثل ارتباط الروح و المادة ، فآثار الخطيئات التى ترد على القلوب تزول بماء الوضوء و ان لم تدركه ابصارنا و لكنها عيان لمن نور الله قلبه ·

و الآثار تدل على ان الخطيئة سواد و الطاعة بياض ، و كلاهما يظهران على اصلهما يوم القيامة ، و الظاهر أن السواد و البياض كل واحد منهما عرض محسوس يتصف بالخروج و الزوال الا أنه مستور بفضل الله الستار ، فقال الله تعالى « يعرف المجرمون بسيماهم » و قال : يوم ترى المؤمنين و المؤمنات الخ ·

فثبت أن لكل واحد منهما أمثالا بعضهن غير بعض ، و علم من القرآن أن نور المؤمنين يسعى بين ايديهم ، و قال عليه السلام عن الحجر الأسود : « ياقوتتان من الجنة » (صحيحين) فالحديث دال على أن الحجر الأسود يجذب المعاصى ·

(۳) ان الخطايا ليست باعراض كما يحكى عن الامام ابى حنيفة رح : انه كان جالسا فى جامع دمشق فرأى غسالة رجل ، فقال : الغاسل عاق لوالديه ، فلما فتش عن حال ذلك الرجل ظهر انه كان كما قال رح ، فقال : انى رأيت العقوق فى الماء الذى يستعمل ، فهذه الواقعة تدل على أن الخطيئة ذات اجزاء و ابعاض و لكنها من كرم الله تعالى مستورة من العوام . فاذا كانت هى ذات جرم فتزول بالماء لا محالة ، فقال عليه السلام : « ان الذنوب تخرج مع الماء أو مع آخر قطر الماء فلا نسلم ان الخطايا اعراض أو أنها غير محسوسة لأنها مرئية لأولياء الله المقربين ،

كما أن الطبيب يلاحظ جرثومة الأمراض بآلاته الباصرة حينما لا ندركها بابصارنا ، فكذلك ينظر أولياء الله بنور قلوبهم ما يكون مستورا عنا . و النبي ﷺ يرى ما لا نرى (فالذى هـــو غير مرئى لأبصارنا مرئى له عليه السلام)

و من ههنا ظهر أن اقوال الامام فى المـاء المستعمل من أنه نجس غليظ أو خفيف أو طاهر غير مطهر — مبنية على علمه اللدنى ، لأنه رح كما كان عالمـا بالعلوم الظاهرية كذلك وهبه الله العلوم الباطنية ، و الحق أن النجاسة ان كانت فى شئ فهى فى الخطيئة (من باب الأولى)

و نظرت فى رسالة خطية للعلامة العسقلانى رح يسأل فيهـا نفسه : ان الانسان يأكل و يشرب من الحلال و الطاهر فكيف يصير البول و البراز نجسا ؟ ثم اجاب رح : أنه لغفلة عن الله تعالى ، فالغفلة تنجس المأكولات و المشروبات ، و الأنبياء عليهم السلام لا يكونون غافلين عن الله تعالى باى حال و هم فى النوم و اليقظة و الحركة و السكون سواء ، يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم فلا يكون بولهم و براؤهم نجسا ، كما روى أن رجلا من اصحاب النبى ﷺ عطش ليلا عطشا شديدا ، و كانت الظلمة حالكة ، فبلغت يده قدحا فشرب ما فيه ، و قد وضعه عليه السلام عنده و قد بال فيه وقت الحاجة ، و لمـا علم عليه السلام بشرب الرجل منه لم ينكر عليه ذلك . فدل على أن بول الأنبياء طاهر ، و قد روى المؤرخون أنه كان ريحه كالمسك و بقى فى اولاده ذلك الى سابع من نسله .

(٤) ان ما فى عالم الشهادة اعراض هو فى عالم الامثال جواهر ، و هو عالم حقق وجود الأشياء فيه ، لجميعها عند الله تعالى محقق موجود فى الازل ؟ .
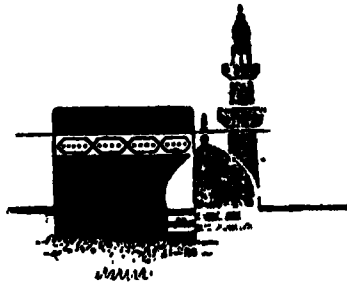
من افادات الامام مولانا الشيخ محمد قاسم النانوتوی رح

مؤسس دار العلوم بدیوبند

الملك الحقيق لله وحده

ان الله العلى القدير ازلى و ابدى خالق و صانع الكائنات من فاعل و افعال اختيارية كانت او اضطرارية فهو المالك المتصرف والكل له مملوك فان اسباب انتقال الملك مهما كانت متعددة (بالنسبة الينا) لكن علة حدوث الملك هى القبض فقط وذلك تام فى حق الخالق عز و جل لاننا نعرف بداهة ان وجود الممكنات المستعار (المخلوقات الحادثة)

عرضى لا بد له من معط حقيق و موصوف بالذات ، و هو الموجود الحقيق و الا له الحق . و واضح أن الصفات العرضية حالة عروضها انما تكون فى قبضة الموصوف بالذات (اى مصدر الصفات) كمثل نور الشمس لا ينفك عن الشمس حين تنور الارض ، فكذلك الخالق الحق سبحانه و تعالى يملك الكائنات و التصرف فيها من جميع الوجوه ، (و ان كان الملك و التصرف فى بادئ الامر دائرا بين افراد البشر و لكنه ليس ملكا و تصرفا حقيقيا منقطعا عن مصدر الملك و التصرف بل هو كمثل نور الشمس فانه مع انتشاره على الأرض فى اشكال وجهات مختلفة لا يزال متصلا بمصدره و هو الشمس)

● النقـــل ازاء العقـــل

ان كلام الله و كلام رسوله صادق ، لا يشوبه شئ مما يكدر حقيقته و واقعيته للامر . فاذا اريد البحث عن حقيقة شئ و واقعيته فليس لذلك طريق احسن و أوفى للمقصود من مراجعة كلام الله و رسوله ، فان كل طريق تختار لمعرفة الحق و الواقع — و هى مخالفة فى ذاتها لروح الكلامين او نصهما — لا بد من ابطالها بموجب ذلك الكلام الالهى الحق ، و ليس بجائز ان يبطل كلام الله و رسوله بحكم تلك الطريقة و اعتمادا على صحتها لأن دلالة العقل ازاء دلالة النقل مرفوضة .

فمن المعقول ان يجعل كلام الله و حديث رسوله محكا لصحة

الدلائل العقلية و سقمها لا العكس . فالذى يتبادر اليه الفهم من معانى كلام الله و حديث رسوله على حسب ما يقتضى قواعد اللغة العربية و دلالة المطابقة — يقرر اصلا يحكم فى ضوئه بصحة الدلائل العقلية و بطلانها أو سقمها ، فان انطبقت عليه تلك الدلائل ، و لو بتكلف ، فيحكم بصحتها و الا فهو راجع الى قصور الفهم و العقل ، و ليس بمعقول ان يجعل الفكر و العقل الحر اصلا يطبق عليه كلام الله و رسوله فيحكم عليه بما يمليه العقل من صحة و عدمها ·

(النقل الصحيح لن يكن بحال مخالفا أو معارضا للعقل السليم فان الاسلام دين الفطرة و احكامه متوافقة معها و مطابقة لها ، و ما كان ملائما للفطرة لا ياباه العقل السليم) ·

● لكل فن رجال

لا يعتبر ازاء كلام الله قول احد من البشر ، لا قول محدث و لا مفسر ، حتى حديث الرسول ﷺ اذا كان مخالفا له لا يقبل و يعتبر موضوعا . الا ان فهم التوافق و التخالف امر ليس بهين ، و ليس فى مستطاع كل احد ان يمارس هذا الحق و يحكم بما يملى عليه هواه ، فان الحكم بمثل ذلك يحتاج الى ثلاثة انواع من العلوم :

اولا : علم اليقين لمعانى القرآن ·

ثانيا : علم اليقين لمعانى القول المخالف له ·

ثالثا : علم اليقين لمعانى الاختلاف .

و من يرزق بهذه العلوم الثلاثة فهو سعيد الحظ ، رفيع المقام ، له حق النطق بمخالفة الشئ للقرآن او موافقته له ، و اما اذا تجرأ فى الحكم بذلك شخص لم ينل هذه الرتبة من العلم فمثله كمثل جاهل او ناقص العلم يتدخل فى رأى الاختصاصى و الطبيب الحاذق فلا يقام لرأيه وزن .

و ظاهر ان الاختصاصى او الطبيب الحاذق ربما يفرط منه مايخالف قوانين فنه خطأ او نسيانا فى قضية خاصة و لكن مع ذلك لا مساغ لرجل دونه فى العلم او لمريض ان يدرك ما فرط منه و يعارضه فى التشخيص او الوصف ، فان الطبيب ادرى بذلك منه . كذلك المحدث او المفسر فكل منهما خبير بفنه ، مختص فيه ، فيحتمل مع حذاقتهما و اختصاصهما مخالفة الغرض القرآنى خطأ او نسيانا الا ان امثالنا(۱) ناقصى العلم و عديمى الخبرة لا يسوغ لهم ان يضعوا اصبعهم على موضع الخطأ و يدركوه . فان ذلك امر فوق مستواهم و خارج عن نطاق اختصاصهم اللهم الا ان يكون لنا حق الترجيح لأحد قولى المفسرين بحكم الوجدان و الذوق العلمى السليم فان تحقيق المسالة شئ و فهم المسألة شئ آخر و شتان ما بينهما ، و لا عرو فقد قيل : (لكل فن رجال) .

---

(۱) يشير الشيخ الى نفسه تواضعا و الى متبعى الاهواء و العقول حقيقة .

افادات الامام المحدث الکبیر الشیخ ولی الله الدهلوی

قد دلت احادیث کثیرة علی ان فی الوجود عالما غیر عنصری(۱) تتمثل فیه المعانی (۲) باجسام مناسبة لها فی الصفة ، و تتحق (۳) هنالك الاشیاء قبل وجودها فی الارض ، فاذا وجدت کانت هی بعینها باعتبار حقیقتها ، و ان کثیرا من الأشیاء مما لا جسم لها عند العامة تنتقل و تنزل و لا یراها جمیع الناس ، قال النبی ﷺ : « لما خلق الله الرحم (٤) قامت فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطیعة » ، و قال : « ان البقرة و آل عمران تاتیان یوم القیامة کانهما غمامتان او غیایتان (٥) او فرقان(٦)

(۱) العالم العنصری : العالم المادی ، الدنیا . (۲) کصفات الانسان و غیرها (۳) توجد .
(٤) رابطة العطف و القربی . (٥) الغیایة : المظلة . کل ما اظل الانسان فوق راسه .(٦) طائفتان

من طير صواف (۱) تحاجان عن اهلهما .

و قال : « تجئ الأعمال يوم القيامة فتجئ الصلوة ثم تجئ الصدقة ، ثم تجئ الصيام » ، و قال : « ان المعروف و المنكر لخليقتان (۲) تنصبان للناس يوم القيامة ، فاما المعروف فيبشر اهله ، و اما المنكر فيقول اليكم اليكم (۳) و لا يستطيعون له الا لزوما » و قال : « ان الله تعالى يبعث الايام يوم القيامة كهيئتها ، و يبعث الجمعة زهراء منيرة » . و قال : « يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء (٤) زرقاء انيابها مشوه خلقها » . و قال هل ترون ما ارى فانى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر (٥) » . و قال فى حديث الاسراء : « فاذا اربعة انهار ، نهران باطنان و نهران ظاهران ، فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : اما الباطنان ففى الجنة و اما الظاهران فالنيل و الفرات . » و قال فى حديث صلاة الكسوف: « صورت لى الجنة و النار » . و فى لفظ بينى بين جدار القبلة ، و فيه انه بسط يده ليتناول عنقودا من الجنة ، و انه تكعكع (٦) و نفخ من حرها و راى فيها سارق الحجيج (۷) و المرأة التى ربطت الهرة حتى ماتت . و راى فى الجنة امرأة مؤمسة (۸) سقت الكلب ، و معلوم ان تلك المسافة لا تتسع للجنة و النار باجسادهما المعلومة عند العامة ، و قال : « خلق الله العقل فقال له : اقبل . فاقبل و قال له ادبر . فادبر »

---

(۱) جمع صاف : القائم فى الصف (۲) مخلوقتان و شيئان مجسمان .
(۳) احذروا و تجنبوا . (٤) الكهلة . و التى اختلط سواد شعرها ببياضها اى بلغت الكهولة .
(٥) المطر . (٦) تأخر . هاب و تراجع بعد ما اقدم (۷) جمع حاج
(۸) الفاجرة التى تلين لمن يريدها

و قال : « هذان كتابان من رب العالمين » و قال : « يؤتى بالموت كانه كبش فيذبح بين الجنة و النار » . و قال تعالى : « فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » و استفاض فى الحديث ان جبريل كان يظهر للنبي ﷺ و يتراءى له فيكلمه ، و لا يراه سائر الناس ، و ان القبر يفسح سبعين ذراعا فى سبعين او يضم حتى تختلف اضلاع المقبور ، و ان الملائكة تنزل الى المحتضر ، بايديهم الحرير او المسح و ان الملائكة تضرب المقبور بمطرقة من حديد فيصيح صيحة يسمعها ما بين المشرق و المغرب .

و قال النبي ﷺ : ليسلط على الكافر فى قبره تسعة و تسعون تنيناً (١) تنهسه (٢) و تلدغه حتى تقوم الساعة » و قال : « اذا دخل الميت القبر مثلث له الشمس عند غروبها فيجلس يمسح عينيه و يقول دعونى اصلى » . و استفاض فى الحديث ان الله تعالى يتجلى بصور كثيرة لاهل الموقف ، و ان النبي ﷺ يدخل على ربه و هو على كرسيه ، وان الله تعالى يكلم ابن آدم شفاها ، الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة .

و الناظر فى هذه الاحاديث بين احدى ثلاث . اما ان يقر بظاهرها فيضطر الى اثبات عالم ذكرنا شأنه ، (و هذه هى التى تقتضيها قاعدة اهل الحديث . نبه علــى ذلك السيوطى رح ، و بهــا اقول و اليها اذهب) او يقول ان هذه الوقائع تتراءى لحس الرائى و تتمثل له فى بصره ،

(١) جنس من العظاء له رجل او يد ، كمثل الافعى من الزواحف المهية الشكل .

(٢) اى تنهشه و تاخذه بانيابه .

و ان لم تكن خارج حسه ، و قال بنظير ذلك عبد الله بن مسعود رض في قوله تعالى : « يوم تأتي السماء بدخان مبين » انهم اصابهم جدب ، فكان احدهم ينظر الى السماء فيرى كهيئة الدخان من الجوع ، و يذكر عن الماجشون ان كل حديث جاء في التنقل و الرؤية في المحشر فمعناه انه يغير ابصار خلقه فيرونه نازلا متجليا ، و يناجي خلقه و يخاطبهم و هو غير متغير عن عظمته ، و لا منتقل ليعلموا ان الله على كل شئ قدير ·

الثالثة ان يجعلها تمثيلا لتفهم معان اخرى ·

و لست ارى المقتصر على الثالثة من اهل الحق ·

و قد صور الامام الغزالى فى عذاب القبر تلك المقامات الثلاث حيث قال : امثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة و اسرار خفية ، و لكنها عند ارباب البصائر واضحة ، فمن لم ينكشف له حقائقها فلا ينبغى ان ينكر ظواهرها . بل اقل درجات الايمان التسليم و التصديق ، فان قلت : فنحن نشاهد الكافر فى قبره مدة و نراقبه و لانشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات فى التصديق بامثال هذا ·

احدها — و هو الأظهر و الأصح و الاسلم — ان تصدق بانها موجودة و هى تلدغ الميت و لكنك لا تشاهد ذلك ، فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية (١) ، و كل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت ، اما ترى الصحابة رض كيف كانوا يؤمنون بنزول

---

(١) الملكوت : عالم الغيب المختص بالارواح و النفوس و العجائب .

جبريل عليه السلام و ما كانوا يشاهدونه ، و يؤمنون بانه عليه السلام يشاهده ، فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة و الوحى اهم عليك و ان كنت آمنت به ، و جوزت ان يشاهد النبى ﷺ ما لا تشاهده الامة . فكيف لا تجوز هذا فى الميت ، كما ان الملك لا يشبه الآدميين و الحيوانات فالحيات و العقارب التى تلدغ فى القبر ليست من جنس حيات ما عالمنا . بل هى جنس آخر و تدرك بحاسة اخرى .

الثانى ان تتذكر امر النائم ، و انه قديرى فى نومه حية تلدغه و هو يتألم بذلك حتى تراه ربما يصيح و يعرق جبينه ، و قد ينزعج من مكانه و كل ذلك يدركه من نفسه ، و يتأذى به كما يتأذى اليقظان ، و هو يشاهده ، و انت ترى ظاهره ساكنا و لا ترى حواليه حية و لا عقربا و الحية موجودة فى حقه ، و العذاب حاصل ، و لكنه فى حقك غير مشاهد و اذا كان العذاب فى الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد .

الثالث انك تعلم منه الحية بنفسها لا تؤلم ، بل الذى يلقاك منها هو الم السم ، ثم السم ليس هو الالم ، بل عذابك فى الاثر الذى يحصل يحدث فيك من السم ، فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب قد توفر ، و كان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذى يفضى اليه فى العادة فانه لو خلق فى الانسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يكن تعريفها الا بالاضافة اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب و تكون ثمرة السبب حاصلة ، و ان لم تحصل صورة

للسبب ، و السبب يراد لثمرته لا لذاته ، و هذه الصفات المهلكات تنقلب مهلكات مؤذيات و مؤلمات فى النفس عند الموت فيكون آلامها كالام لدغ الحيات من غير وجودها ؟ .

(حجة الله البالغة)

موقف الشريعة الإسلامية

من وسائل فض المنازعات الدولية

بقلم الأستاذ (المستشار) علي علي منصور

فان وجدت الدولة التى تستعمل هذه الرخصة و تحاول التقريب بين وجهتى النظر فهى على ما رتبه القانون الدولى ، لا تشترك فى المفاوضات بل تكتفى بتقديم تلك الخدمة الودية المتواضعة ، و تترقى اجراءات القانون الدولى الى الأمل فى اتخاذ خطوة اخرى و هى وساطة دولة ثالثة تشترك فى مفاوضات النزاع و لا تكون نتيجة هذه المفاوضات و الوساطة الزام الطرفين بشئ منها ·

أما لجان التحقيق لتحديد وقائع النزاع فقد مر بنا ان مرجعها الى مشيئة كل من الدولتين المتنازعتين ، و يندر ان تتفقا علـى تكوين لجنة كهذه ، لأن كل منهما تسرف فى تحديد ما يمس شرفها او مصالحها الكبرى و لذلك نجد ان كل ما نصت عليه اتفاقيات لاهاى سنة ١٩٠٧م . انهـا تواضعت فى التعبير فقالت : « انه من المرغوب فيه و المفيد ان تتفق الدولتان المتنازعتان على تكوين لجنة لتحقيق وقائع النزاع المختلف عليها ، و هـذا مجرد رجاء و أمل و مع ذلك فتقرير لجنة التحقيق غير ملزم للطرفين ا و هو متواضع لا يتضمن حتى مجرد اقتراح لحل النزاع سواء اكانت هذه اللجان مؤقتة او دائمة . فلما سارت عجلة الزمن و تقدمت بقواعد القانون الدولى اعطى هذه اللجان حق اقتراح حل للنزاع و سماها لجان التوفيق ، و لكن بقى اقتراحها غير مقيد لأحد من الطرفين فلما ان قصرت هذه الوسائل المتخاذلة عن حفظ السلم العام كثرت الحروب و اتسعت فى القرن العشرين بان اصبحت عالمية حيث وقعت فى النصف الاول منه حربان عالميتان اهلكتا الحرث و النسل و اكتوى بنارها معظم

بلاد العالم و عم اثرها الاقتصادى السئ كل البلاد .

ففكرت الدول فى ايجاد منظمة دولية تحول دون وقوع الحرب و تقوم بحل مشاكل الدول فقامت عصبة الامم عقب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩٢٠م ، و قامت هيئة الامم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٦م ، و لكنها لم تحقق الآمال المعقودة عليها فنصوص عهد العصبة و نصوص ميثاق هيئة الامم المتحدة بجميعتها العامة و مجلس الامن بها ، لم تجعل لها سلطانا حاسما فى البيت فى المنازعات ، و لم تخلق لها قوة عسكرية كافية لتنفيذ قراراتها ، و كان هـذه النصوص تدور فى حلقة مفرغة فهى تشير على الدول التى يقوم بينها نزاع أن تلجاء الى الوسائل السلمية فى فضها من مفاوضة الى تحقيق الى وساطة الى غير ذلك فان لم تفلح فعليها عرض الأمر على الهيئات الدولية و لكن ما سلطان هذه الهيئات ؟ تقول النصوص ان خاتمة ما تنتهى بها جهودها : هى التوصية باتباع حل و هى توصية غير ملزمة .

و ان لاح لك فى بعض النصوص بأن قرارات تلك الهيئات فى النادر تكون ملزمة فيبقى هذا الالزام نظريا ما دامت الهيئة التى قررته ، لا تستطيع اجبار الدول على انفاذ اثره . اذ ليس لها سوى تقرير بعض الجزاءات الاقتصادية و السياسية و كالمقاطعة التجارية و قطع العلاقات السياسية و الحصر البحرى السلمى و المظاهرات البحرية ، صحيح ان ميثاق الامم المتحدة نص على بعض وسائل القمع و الاكراه . و لكن عبارات النصوص فى هـذا الشأن عامة غير محددة ، قاصرة ، و دون تنفيذها

صعوبات جمة مما سيأتي تفصيله عند الكلام على الأمم المتحدة و هيئاتها المختلفة ان شاء الله .

أين ذلك مما قرره الاسلام منذ اربعة عشر قرنا ، و اورده القرآن في عبارة رغم قصرها هي ادق و اوفى و اعظم اثر من نصوص القانون الدولي العام الأوربي . « و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل و اقسطوا ان الله يحب المقسطين . انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم و اتقوا الله لعلكم ترحمون » .

و هــذه الآيات الكريمة تتضمن في مدلولها بطبيعة الحال وجوب المحافظة على استقلال الدول الاسلامية ، و وحده كيانها و هو ما حاولت ان تصل الى تحديده المادة من عهد عصبة الامم في عبارة منطوية غامضة و لقد فشلت عصبة الأمم في حسم النزاع بين كل من اليونان و ايطاليا و بين اليابان و الصين و بين ايطاليا و الحبشة ، كما فشلت زميلتها الأمم المتحدة من بعد في حل مشكلة فلسطين و مشكلة المانيا الغربية و المـانيا الشرقية و مشكلة التفرقة العنصرية في جنوب افريقيـا و مشكلة كوريا و فيتنام و الكونغو و غيرها .

و ليس المقصود من الاقتتـال الذي نصت عليه الآية معناه الضيق و هو الحرب ، و انما المقصود المعنى العام و هو قيام الخلف بين جماعتين و اشتجار النزاع فان وجد فتوجب الآية ، العمل على الاصلاح بينهما ، و بدهي أن اجراءات الصلح تشمل المفاوضة و الوساطة و التحكيم ، و

بالجملة توجب الآية وجوب البت في النزاع بقرار نهائي ملزم فان رضيتاه و احترمتاه فكفى الله المؤمنين القتال ، وان بغت احداهما على الاخرى بان لم تنزل على حكم جماعة الامم او أبت أن تفئ الى أمر الله ، او لجأت الى العدوان فهي باغية خارجة على سلطان القانون الدولي الاسلامي متمردة على النظام و يجب اذن على جماعة الأمم ، و هي التي اصدرت القرار ، ، ان تضرب على يدها و نقاتلها لترغمها على الخضوع و الرجوع الى الحق .

، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل و اقسطوا ان الله يحب المقسطين ، ما أروع هـذا الاحتراز فشرع الله يحذرنا من أن نحيف على الفئة أو الدولة الباغية ، و امرنا بان يكون الصلح عادلا ، فلا اعتداد بان الباغية بدأت بالعدوان و انها تسببت بعملها في ازهاق كثير من الأرواح ، و أنها حملت جماعة الدول الاسلامية على حربها و قتالها . فيحذرنا الشرع الاسلامي من ان نتحامل عليها فتقطع من ارضها قطعة نخص بها الدولة الأخرى او نفرض عليها غرامات حربية فوق التعويض العادل ، و الآية كررت هذا المعنى و ختمت بقول الله سبحانه و تعالى : ، و اتقوا الله لعلكم ترحمون ، و في مثل هـذا المعنى يقول الله : ، و لا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى ، و هـذا ما سار عليه الرسول و الخلفاء الراشدون من بعده و اقرب مثل له ما حدث من الخلاف في السنوات الاخيرة بين المملكة اليمنية و بين المملكة السعودية ايام حكم الملك عبد العزيز آل سعود حيث بدأت

اليمن بعدوان مسلح وردت عليها المملكة السعودية عدوانا بعدوان و توغلت جيوشها فى اليمن ، فلما تم الصلح احترم لليمن كيانها الارضى و السياسى .

(يتبعه البحث : التحكيم فى الاسلام)
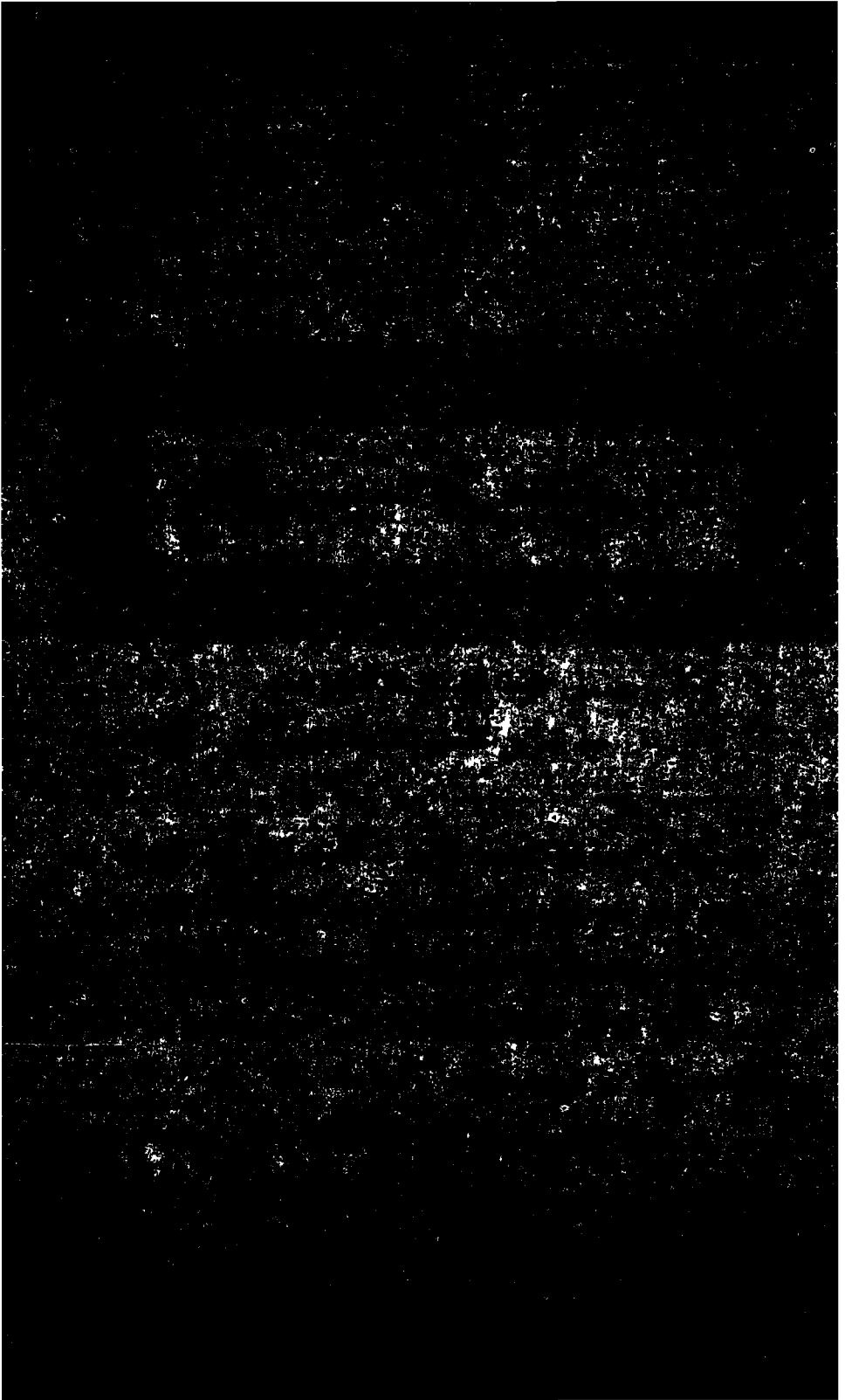
« يا ايها النبي انا ارسلناك بالحق بشيرا و نذيرا و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع اذاهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلا » (١) و الآية ترمز الى ان القرآن يحتوى على الحق الصراح و انه من الله الواحد القيوم الذى لا يعتوره لبس و لا دغل و قال الله تعالى — و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٢) ·

و ما احرانا و نحن نريد التحدث عن هذه الليلة المباركة ان نرجع الى ركائز من ذلك العهد النبوى نستنير بها و نكون على بصيرة من امور دنيانا و اخرانا .

فقد ورد عن على كرم الله وجهه انه قال « قال رسول الله ﷺ اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها و صوموا نهارها فان الله ينزل فيها بغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول — الا من مستغفر فأغفر له. ألا من مسترزق فارزقه الا من مبتلى فاعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر (٣) يطلع الله على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا من مشرك أو مشاحن » و فى رواية الا من اثنين مشاحن و قاتل نفس » .

و قد استند بهذا الحديث فى فضل هذه الليلة الشعبانية و اقتضاء احيائها بالقيام و الصيام فانه أفاد بان الدعاء و الابتهال فيها ارجى الى

(١) سورة الاحزاب ٤٥ ـ ٤٨ (٢) سورة النساء ٨٢ (٣) رواه ابن شاهين و الدارقطنى عن على كرم الله وجهه (٤) سورة الدخان ١ ـ ٦ .

الاجابة و الاقرب الى القبول من ليالى سواها ، فقد احياها الرسول ﷺ في غير صخب و لا ضوضاء ينادى ربه وحده فى غسق الليل وفى خشوع ليس بعده خشوع .

ورد عن السيدة عائشة رض انها قالت « قال رسول الله ﷺ عن الليل فاطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحركت فرجعت فسمعته يقول فى سجوده ، أعوذ بك بعفوك من من عقابك و أعوذ برضاك من سخطك و أعوذ منك اليك لا احصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك — فلما رفع رأسه و فرغ من صلاته قال يا عائشة او يا حميراء اظننت ان النبي حاس بك (غادر و لم يوفك حقك) قلت لا و الله يا رسول الله و انى ظننت انك قد قبضت لطول سجودك ، فقال — اتدرين أية ليلة هذه ؟ قلت — الله و رسوله اعلم — فقال — هذه ليلة النصف من شعبان .

و مع ما لهذه الليلة أى ليلة النصف من شعبان من شأن فاننا لا نميل الى ما ذهب اليه بعضهم من أن القرآن انزل فى هذه الليلة و كل ما هنالك هو ما نقله الالوسى من أن عكرمة فسر قوله تعالى « حم و الكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك أنه هو السميع العليم » .

قال الليلة المباركة هى ليلة النصف من شعبان ، و هذا التأويل مخالف لنصوص القرآن الصريحة الناصة فى ان الله انزل القرآن فى ليلة القدر

بقوله تعالى — انا انزلناه فى ليلة القدر (١) و ليلة القدر فى شهر رمضان « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان (٢) فالليلة المباركة هى ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان و بذلك لم يذكر انا القرآن شيئا عن ليلة النصف من شعبان و هو دستور المسلمين الذى فيه نظام حياتهم الروحية و المادية و منه يستمدون الأنظمة و القوانين التشريعية و المدنية قال الله تعالى « و نزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شئ و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين » (٣) .

و السنة المطهرة هى كفيلة بالبيان الكامل عما فى القرآن قال تعالى « و ما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذين اختلفوا فيه و هدى و و رحمة لقوم يؤمنون (٤) » « و انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون (٥) » .

و قد اختلف العلماء — و اختلافهم رحمة ، فى شأن ليلة النصف من شعبان ، فمنهم من رفض كل ما لهذه الليلة من شأن و رفض بجانب ذلك كل ما ورد من الأحاديث النبوية منهم أبو دحية و كان من كبار المحدثين — قال رحمه الله — لم يصح فى ليلة نصف شعبان شئ و لا نطق بالصلاة فيها ذو صدق من الرواة و ما أحدثه الا متلاعب بالشريعة المحمدية راغب فى ذى المجوسية .

و قد توسط المجدد ابن تيمية فى الرأى بين هذا و ذلك فقال رحمه الله

---

(١) سورة القدر ١ (٢) سورة البقرة ١٨٥ (٣) سورة النحل ٨٩ (٤) سورة النحل ٦٤
(٥) سورة النحل ٤٤ .

ـ ليلة النصف من شعبان يروى فضلها من الأخبار و الآثار مايقتضي انها مفضلة ، و من السلف من خصها بالصلاة فيها و صوم شعبان جاءت فيه أخبار صحيحة ، أما صوم يوم نصفه مفردا فلا أصل له بل يكره ـ قال ، و كذا اتخاذه موسما تصنع فيه الأطعمة و الحلوى و تظهر فيه الزينة و هو من المواسم المحدثة المبتدعة التى لا أصل لها ، (١) فهو لا يرفض الا صوم يوم نصف شعبان مفرداً .

و قال الزين العراقى فى مزية ليلة نصف شعبان مع أن الله تعالى ينزل كل ليلة أنه ذكر مع النزول فيها وصف اخر له لم يذكر فى نزول كل ليلة و هو قول ، فيغفر اكثر من عدد شعر غنم كلب ، و ليس هذا فى نزول كل ليلة لأن النزول فى كل ليلة موقت بشرط الليل أو ثلثه و فيها من الغروب ـ و خص شعر غنم كلب لأنه لم يكن فى العرب اكثر غنما منهم ـ ـ ـ ـ ـ الى ان قال و ورد استثناء جماعة من المغفرة فى حديث آخر .

و نقول ـ و نص هذا الحديث كما يلى ، أن الله تعالى ينزل كل ليلة عن نصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر الله لأهل الأرض الا من مشاحن أو قاتل نفس (٢) .

و نقول ايضا عن نزوله تعالى الى السماء الدنيا ـ اى نزول امره او رحمته لما ثبت ـ بالقواطع العقلية أنه تعالى منزه عن الجسمية و التحيز و الحلول امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع اعلى الى

(١) كتاب فيض القدير ج ٢ ص ٣١٧ (٢) رواه الطيالسى و البيهقى عن ابى هريرة باسناد حسن

اخفض منه بل المعنى به على ما ذكره اهل الحق دنو رحمته و مزيد لطفه و اجابة دعوتهم و قبول معذرتهم كما هو ذيدن الملوك و السادة الرحماء اذا نزلوا بقوم محتاجين ملهوفين مستضعفين — كما ذكر ذلك العلامة عبد الرؤف المناوى .

هذا — باختصار ما تناوله العلماء الأعلام بشأن هذه الليلة الشعبانية فمن مائل الى ما كان لها من الشأن و الميزة مستند على ما ورد فى ذلك الى السنة النبوية ، و من رافض رفضا باتا اذ لم يصح عنده جميع ما ورد عن النبي ﷺ بهذا الصدد عاريا ذلك من التلاعب بالضريعة المحمدية ، و من واقف وسطا بين هذا و ذلك و الكل لم يالوا جهدا فى الاجتهاد فكان اختلافهم رحمة — قال ﷺ « اختلاف أصحابى رحمة » .

والمؤمن الكيس اللبق الذى يميل الى الرأى الأول لا يدع هذه الليلة المباركة تمضى عليه كل ما حال عليه الحول من كل سنة حتى يتغنمها باحيائها بالقيام و الابتهال الى الله سبحانه و تعالى و مناجاته و استغفاره و التوبة اليه فيافوز المستغفرين و يا نجاة التائبين .

و بهذه المناسبة ، فاننا ندعو جميع المسلمين فى مشارق الارض و مغاربها القائمين باحياء الليلة الشعبانية الآتية فى هذا الشهر ان يدعوا الله بكل خشوع و الابتهال أن يحقق آمال المسلمين و جهودهم فى تحرير فلسطين المحتلة التى احتلها الصهيونيون الغادرون و اغتصبوها ظلما و عدوانا و انتهكوا حرماتها المقدسة فضلا عن اهابتها لهم فى توحيد صفوفهم و تقوية جبهاتهم و أن ياخذوا بجميع الأسباب و الوسائل لدفع عدوان تلكم

الشرذمة الباغية و استئصال مظالمهم فی الأرض المقدسة و طردھم من کل بقعة من بقاع الأراضی الاسلامیة — و سیعلم الذین ظلموا ای منقلب ینقلبون ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ وماذلك على الله بعزیز

★ ★ ★

قيل أن سائلا اتى الى باب رجل من اغنياء اصفهان ، فسأل شيئا فسمعه الرجل ، فقال لعبده مبارك : قل لعنبر يقول لجوهر و جوهر يقول لياقوت وياقوت يقول لالماس و الماس يقول لفيروز و فيروز يقول لمرجان و مرجان يقول لهذا السائل : يفتح الله عليك .

فسمعه السائل و رفع يديه الى السماء و قال يا رب قل لجبريل و جبريل يقول لميكائيل و ميكائيل يقول لدردائيل و دردائيل يقول لكيكائيل و كيكائيل يقول لاسرافيل و اسرافيل يقول لعزرائيل بان يقبض روح هذا البخيل .

● ● ●

لما توجه خالد بن وليد رض لفتح الحيرة اتى اليه من قبل اهلها رجل ذو تجربة . فقال له خالد : فيم انت ؟ قال : في ثيابي . فقال : علام انت ؟ فاجاب : على الأرض . فقال : كم سنك ؟ قال : اثنتان و ثلاثون ، فقال اسألك عن شئ و تجيبني بغيره ؟ فقال : انما اجبت عما سألت .

★ ★ ★

حكى ان رجلا حاسب نفسه ، فحسب عمره ، فاذا هو ستون عاما فحسب ايامها فاذاهى احد و عشرون الف يوم و تسعمأة . فصاح يا ويلاه

اذا كان لی کل یوم ذنب فكيف القى الله بهذا العدد منها . فخر مغشيا عليه . فلما افاق اعاد على نفسه ذلك و قال : فكيف بمن له فى كل يوم عشرة آلاف ذنب . فخر مغشيا عليه . فحركوه فاذا هو قد مات .

● ● ●

قيل : كان قس بن ساعدة يفد على قيصر زائرا فيكرمه و يعظمه ، فقال له قيصر : ما افضل العلم ، قال معرفة الانسان نفسه ، قال : و ما افضل العقل . قال : وقوف المرء عند علمه . قال فما المال ؟ قال ماقضى بحق .

● ● ●

قال امير المؤمنين على كرم الله وجهه : الأدب حلى فى الغنى . كنز عند الحاجة . عون على المروءة . صاحب فى المجلس . مؤنس فى الوحدة ، تعمر به القلوب الواهية . و تحيا به الألباب الميتة . و تنفذ به الابصار الكليلة . و يدرك به الطالبون ما يحاولون .

★ ● ★

قيل لمجنون : عد لنا المجانين . قال : هذا يطول بى . و لكن اعد العقلاء .

● ● ●

شتم سفيه حليما و هو ساكت . فقال : اياك اعنى . فقال : و عنك اغضى .

حتى اذا جاء أمر الله لست ترى　　عوذا و انت الى اخراك تنتقل
تقوم عنـد اله العرش مرتعشا　　كما يقوم ذليل خائف وجـل
هنـاك تعـلم ما قدمتـه لغـد　　تجر من خذل هـل فوقه خذل
حول الصراط كلاليب معلقـة　　كشوك سعدانة للناس ما عملوا
فالعين شاخصة و القلب منقلب　　أمامه خجلي من خلفه خجل
يحاسب العبد و الأعضاء شاهـدة　　عليه كيف مضت ايامـه الأول
و لا شفيع و لا مال و لا ولد　　و لا قريب و لا آل و لا نسل
فلا و ربك لا حـل لمشكلـة　　الا اتباع رسول لم يزل يصل
حل المشاكل من دنيا و آخرة　　كيلا تزل بزلات فتنخـذل
وجوده رحمـة للناس سـاترة　　بل للعوالم مهداة لمن غفلوا
يسره ان يكون العبد ممتثلا　　أحكام خالقه بالصدق يمتثـل
و من عصى ربه مستكبرا فله　　نار الجحيم على الحيات تشتمل
فخاره الفقر لا سـرته ثروته　　و قال مـالى و للدنيا سارتحل
آل النبي و لا آل كعترته　　فى فاقة منذ ازمـان و ما اكلوا
و عظمة الآل و الأصحاب ثابتة　　تبا لمنكرها ويل لمن جهلوا
واهـا لسـيرته فاقت شمـائله　　يا حسن صورته تشتاقها المقـل
جبينـه مطلـع الأنوار مشرقه　　فالشمس آفلة و البدر مختجل
و وجهه كطلوع الصبح منفلقـا　　فالأرض نائرة و القاع و القلل
له جمال اذا ما زاره أحـد　　يقول سبحان ربى هل له بدل
و صدره مخزن الاسرار منبعها　　فيه الهدى و الغنى و الجود و النحل

جود بلا كف كبحر عب مصطخبا ... نواله يجب مقداره جلل
عفو و سمح و اغضاء و مرحمة ... خصاله و بحسن الخلق مشتمل
ماوى الضعاف ملاذ الخلق قاطبة ... غوث الأرامل غيث وابل هطل
بر رؤوف بمن خفت اواصره ... كديمة بذله يعطى و يبتذل
و لا يميل الى مال و لا سبب ... و لا على ما سوى الخلاق يتكل
قد نال من شرف لا فوقه شرف ... ملقب بحبيب الله ممتثل
يخشى كما أنه ينحط من صبب ... و أنه لبشر با لله مشتغل
لدمع الله وقت لا يشاركه ... فيه نبي و لا با لقرب متصل
فاقت ليالى ميزات و مرتبة ... فليلة الوصل لا كل و لا ملل
فى ليلة برقت بالنور ساطعة ... مسيره ببراق سيره عجل
كقاب قوسين أو ادنى دنا و دنا ... يجيب عما رأها كلما سألوا
محمد صاحب الآيات معجزة ... حديثه زبيب نطقه عسل
ختم النبوة لا شك و لا ريب ... و لا نزاع و لا خلف و لا جدل
و خاتم الآنبياء الحق بعثته ... الى الخلائق فانهدت بها الدول
تزلزل القصرو الأيوان منصدعا ... بصيته و زمام الملك منتقل
كسرى يخافه اعراب بادية ... و جيشه كل فرد فى الوغى بطل
كذلك قيصر روم حين دعوته ... و لا سنان و لا نبل و لا اسل
لكنهم جحدوا ما قاله رسل ... و استنكروه ولوا كالذين ولوا
ذلقوا الوبال كما ذاق الذين خلوا ... من فوقهم ظلل من تحتهم ظلل
يعلم الناس اخلاقا مطهرة ... لولاه لم تبره الاسقام و العلل

يدعو الى طاعة فرض و نافلة و لا يوخره عجز و لا كسل
فظل مرتديا ينهى و يامرهم و بات مختفيا يبكى و يبتهل
كصخرة عزمه سماء راسخة يروع قافلة الكفار اذ نزلوا
و قال قائلهم و النار مسعرة للحرب فاشتد اين اللات والهبل
فى بلدة جعل الرحمن بلدته ظهور احمد مختتم به الرسل
و كان مولده فيها و هجرته منها الى طيبة قد خطه الأزل
يشد راحلة تطوى مراحله قصواء ناقته لم تعدها الابل
ما مودة لا ترى سهلا و لا جبلا عوجاء مسرعة تردى كما الجمل
و كان منتظرا اذ جاءه خبر من السماء باذن السير فارتحلوا
رفيقه رجل فى الغار صاحبه لو لا هواه لما بالقبر يتصل
اعنى ابا بكر الصديق ميزته بين الصحاب كشمس دونها زحل
و للمدينة انوار مشاهدة بنوره كصباح ليلها الشمل
و ابو لبابة مكبول بسارية و تلك حنانة تشكو كمن عقلوا
و ذاك منبره يرقى لخطبته و قبره ليت لى طولا فاتصل
شوقا اليه و ما اسرفت حين جرى دمعى على قبره و العود محتمل
و روضة من رياض الجنة ابتدرت دخولها فئة عنها و لا حول
بير البضاعة عين ماءه برد كماء محنية و الحوض مغتسل
قبا يذكر عهدا بالحبيب مضى و صحبه الغر لا يسلو مذ ارتحلوا
كم من منازل راقتنى اوائلها طوبى لزائرها بشرى لمن نزلوا
على النبي تحيات مباركة بلا حساب كماء المزن ينهمل

افكار الرجال القدما . لأنهم كانوا يجهلون كليا امكان ان يوجد شيئ اصغر من الذرة ، و لـكن الاكتشافات العصرية صدقته و حققته ، و هذه الحقيقة تصرح بان القرآن كلام لله بلا ريب لأن العقل السليم و الفكر الصحيح يقتضى أن يكون القادر على العلم بمثل هذه الاسرار الخفية ، هو الخالق للكائنات ، و هو الله الواحد الصمد .

و لكم امثلة من نواح علمية :

﴿ الفلكيات ﴾

ان القرآن اعطانا فكراً عن بداية الكائنات و نهايتها ، و قبل مائة عام كان هذا التصور عند ذهن الانسان شيئا غير ممكن (يخالفه العقل و القياس) و فى زمن نزول القرآن لم يكن يتمكن احد من هذا التصور — فى ضوء التجارب — حيث أن الدراسة الجديدة ادهشت العالم بتصديقه فنطق القرآن عن بداية الكائنات و قال : « او لم ير الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما » و صرح بنهايتها بقوله : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب » .

فالكائنات — بمقتضى هذه الألفاظ القرآنية — كانت مطوية متقلصة ثم اخذت فى التمدد . فاتسعت اتساعا .

« و الكائنات مع وسعتها الحالية المحيرة يمكن ان تتقلص غاية التقلص حتى يحيطها مكان قصير جدا ، هذه هى فكرة جديدة عن الكائنات .

و قد استنتج علماء الطبيعة — على اساس القرائن و المشاهدات — ان مادة الكائنات كانت جامدة ساكنة من قبل . و كانت هذه المادة غازاً متقلصا محتبسا حاراً اقصى الحرارة ففوجئ انه انفجر بفرقعة شديدة هائلة ، فانتشرت اجزاءه المنكسرة المتقطعة و امتدت ، فلما بدأ التمدد مرة وجب ان يستمر لأنه لا يوجد له مانع .

و الآن قد اتسعت هذه الدائرة عشرة اضعاف مما كانت عليه سابقا حسب تقدير « بروفيسر ايڈنگٹن » و هذا العمل لم ينته و لم يقف الى حد بعد و انما تستمر هذه الدائرة تتسع . يقول « ايڈنگٹن » : « مثال النجوم المذنبة و غيرها من النجوم الأخرى كمثل آثار و علامات » ترتسم على سطح المطاطية التى لا تزال تتمهد و تتمدد عند ما ينفخ فيها . فكذلك جميع الكرات السماوية بحركتها الذاتية مع تمدد الكائنات تنفصل و تبتعد من الأخرى كل لمحة .

و قد ثبتت الحقيقة الثانية بالدراسة الجديدة ، ان الانسان فى الماضى كان يظن ان المسافة التى تتخلل بين النجوم من واحد الى آخر هى قدر مايراها بعينيه واقفا على الأرض ، و فى العصر الجديد استكشف عن حقيقتها ، وهى : ان النجوم كلها متباعدة فيما بينها بعداً شاسعا وانما يراها الانسان متقاربة لكونها على مسافة بعيدة منه . و كذلك كم من جسم يراه سالما غير متخلخل . و الحقيقة على عكس ذلك ، فان حصة كبيرة من هذه الاجسام متخلخلة شاغرة مجوفة من داخلها ، و كما أن النجوم الكبيرة و الصغيرة مع كونها متباعدة فى المسافة تدور تحت نظام واحد شمسى كذلك كل جسم

من الاجسام المادية مجموع النظامات الشمسية الكثيرة الذى يطلق عليه « الجوهر » فاننا نرى و نشعر بخلاء النظام الشمسى بسهولة ، و اما خلاء النظام الجوهرى فلا نستطيع ان نراه لغاية صغره فكل شئ مخلخل و ان نظنه سالما صلبا . مثلا : ان ينتزع المكان او الخلاء من بين الذرات المادية التى يشتمل عليها بدن الانسان فترى المادة الباقية كانها « أثر غير مرئى » فقط و لا تجد شيئا زائدا على ذلك ۔

و كذلك علماء الطبعيات الفلكية قدروا تقديرا للمواد المنتشرة فى الكائنات ، فنظريتهم :

« ان الكائنات تطوى بحيث لا يبقى فيها الخلاء فيكون حجم الكائنات كلها ثلثين ضعفا من الشمس » ، الكائنات التى وسعتها محيرة مدهشة تقدرها من أن النجوم المذنبة البعيدة عن النظام الشمسى التى اكتشفت الى الحال هى على مسافة من الشمس ۔

و قد استنتج خبراء الفلكيات فى العصر الجديد — فى ضوء المشاهدات و التجارب — ان الضابطة التى تدور تحتها الاجرام السماوية تقتضى — فى المستقبل البعيد — أن يقرب القمر من الأرض غاية القرب حتى أنه لا يتحمل جذب الطرفين فتنشق و تمزق و تنتشر أجزاءه حول الارض فى الفضاء فعلمنا أن حادثة انشقاق القمر تقع تحت هذه الضابطة ، و مظهرها يشاهد فى البحار فى صورة مدها و جزرها ، القمر فى الفضاء اقرب منا مسافة من الأجرام الفلكية الكبيرة الأخرى فسافته من الأرض مائتا الف و أربعين الف ميل (٢،٤٠٠٠٠) فلقربه من الأرض تتاثر

مياه البحار بقوته الجاذبة فيرتفع الماء إلى الأعلى مرتين كل يوم فيحدث التموج الشديد ، فيكون البحر هائجا مائجا ثائراً ، و هذه الأمواج فى بعض الأمكنة ترتفع حتى ستين ذراعا الى الأعلى ·

و لا يبقى سطح البر غير متأثر بقوته الجذابة ، فانه يتاثر الى عدة عقد . و المسافة الحالية بين القمر و الأرض مناسبة و لها فوائد جليلة ، فان قلت و انتقصت هذه المسافة مثلا تصير خمسين الف ميل (٥٠٠٠٠) فتثور البحار و تهيج هيجانا شديدا حتى ان البر يغرق بالمياه ، و الجبال تتصدع و تصير إربا إربا بمصادمة الأمواج المتتالية الهائله ، و الأرض تنشق بقوته الجذابة الشديدة ·

يقول علماء الفلكيات ــ تخمينا و تقديرا ــ : « القمر عند خلق الأرض و نشأتها كان قريبا منها ، و بعد زمن اوصلته الضابطة الفلكية الى مدارها الاصلى الحالى » ، و رايهم أن القمر يبقى على هذه الصورة الحالية الى ثم نفس تلك الضابطة الفلكية تقرب القمر من الأرض فيشتد التجاذب بينهما حتى أن القمر ينشق و يتفطر و تنتشر أجزاءه حلقة حول الارض ، فهذه النظرية تصدق ما قد ورد فى « سورة القمر » و هو أن الساعة اذا اقتربت فينشق القمر فهى علامة من علامات القيامة « اذا اقتربت الساعة و انشق القمر و ان يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر »

﴿ الأرضيات ﴾

الآيات القرآنية تدل على أن الجبال رسيت و نصبت على الارض

لتعدل الارض توازنها فلا تميل و لا تميد بما عليها » و التی فی الأرض رواسی أن تميد بكم »

و الانسان لم يزل فی جهل عن وضع الجبال و مقصودها ، فقد اهتدى اليه فی العصر الجديد بالجغرافية الجديدة و ان لم يصل علمه فی هذا الموضوع الى اقصى غاية ، و مع ذلك لا شك فی قدر ما قدمه « انگلن » من نظريته و هو « أن المادة الخفيفة الموجودة على الأرض قد برزت فظهرت جبالا و طلالا . و المادة الثقلية انخفضت و رسخت فبدت بحاراً و أنهاراً فبهذا التوازن ثبتت الأرض و استقرت »

و قال أحد المؤلفين : توجد الاودية فی قعر البحار كما هی على وجه الأرض و لكن لم تمسها تجارب الانسان بعد لكونها عميقة غائرة ، فلم يحصل الاطلاع على ما فيها من الاسرار الخفية . و القياس أن هذه الأودية نتيجة الضغط الشديد و يبلغ عمق اكثرها الى خمس و ثلاثين الف ذراع (٣٥،٠٠٠) من سطح البحر و هذا العمق اكثر مسافة من ارتفاع اى جبل مرتفع ، و يبلغ غور بعضها الى أن قمة « ماؤنت ايورست » (اعلى الجبال الراسخة فی الارض) أن تلق فيها فتدخل كلها فيها و يجرى الماء فوق القمة الى ميل (و ارتفاع قمة ماؤنت ايورست ، تسع و عشرون الف ذراع (٢٩،٠٠٠)

و من العجيب أن هذه الهوات الغائرة توجد متصلة بشواطی البحر بدلا من أن تكون فی وسطه ، و لا نعرف بالضبط ما هو الضغط الذی عمق هذه البحار ، نعم ا نعرف ان الهوات تقع على مقربة من جبال

النار (البراكين) فيسبق الذهن و يهتدى الفكر الى أن الأرض تعدل وزنها بغور هذه الهوات الغائرة الحائرة و ارتفاع الجبال العالية الشامخة ، و رأى بعض علماء الجغرافية أنها يمكن أن تكون علامة للبر الذى يبرز فى المستقبل البعيد بدليل أن التراب و الغبرة تسيل مع الماء فتبلغ الى القعر المظلم و تنجمد ، و الظاهر أن هذه السلسلة لا تقف فانما تجرى و تستمر ، فعند ما يكون القعر مرتفعا الى أن يختل توازن الأرض فتبرز الجزائر أو الجبال الجديدة ، و قد وجدت علامات الكدرات و الغبرات عند بعض جبال يقع على الساحل ، و لكن لم توجد نظرية تدرك الحقيقة بها .

و هذه الهوات الخطيرة الباردة المظلمة دائما التى كل عقدة مربعة منها تحت ضغط سبعة اطنان من الثقل هى مسئلة مقعدة لم تنحل بعد كما أن هناك مسائل أخرى مشكلة لم يوجد حلها الى الوقت الحاضر .

﴿ المغـــذيات ﴾

الآيات القرآنية دالة على أن الدم حرام غير جائز استعماله (أكله و شربه) لم نكن نعرف مكانة هذا القانون قبل أن ندخل على عجائب العصر الحديث و حقائقه فتحليل الأجزاء الدموية قد اوصلنا الى أن هذا القانون مبنى على مصلحة خطيرة .

و يتضح بهذه التجزية و التحليل أن الدم يشتمل على حصة كبيرة من « يورك ايسد » (مادة كاوية) فلها تاثير خطير و اكله غذاء لا

يخلوا عن الضرر و الأذى ، و طريقة الذبح الذى قدمتها الشريعة الاسلامية قد روعيت فيه هذه المصلحة .

المراد « بالذبيحة » فى اصطلاح شريعتنا احراق دم الحيوان باسم الله على طريقة يخرج الدم كله من جسده ، و هذا لا يمكن الا بان يقطع وريد الحيوان و تترك العروق الأخرى سالمـــة لكى يبقى الربط بين قلب المذبوح و دماغه الى آخر لحات الموت ، و ليسبب الموت خروج الدم لا إصابة اذى و قلق فى عضو من اعضائه الرئيسية . فان الحيوان أن يمت باصابة الم فى دماغه أو فى قلبه أو كبده فلا شك أنه يهلك من فوره و لكن الدم يتجمد فى العروق ثم يسرى فى اللحم فتنشأ مادة سامة مضرة باختلاط « يورك ايسد » و تنتشر فى الجسم فيتسمم اللحم . و ما هو السبب الذى حرم الخنزير لأجله ؟ قد ادت بنا الى الحقيقة الاكتشافات الطبية العصرية و كشفت لنا طريق الوصول الى النكتة الاصلية و هى أن لحم الخنزير يحمل أضراراً مهلكة ، مثلا « يورك ايسد » المادة السامة المذكورة توجد فى بدن كل حيوان فيخرج بالذبح منه الا من جسم الخنزير فانها لا تزال متأصلة فى اجزاء جسمه و لا تخرج فتسبب الضرر و المرض للآكل ؟ فتدبر .

اخبار علمية

تفسير روح المعانی

يسر الأوساط العلمية الاسلامية أن الكتاب الجليل فی التفسير • روح المعانی ، المعروف الذی تعسر الظفر به فی المكتبات التجارية منذ زمن طويل قد قامت بطبعه المكتبة المصطفائية بديوبند مقسطا و مقسما الى ۳۰ جزءا ، قد تم لحد الآن طبع ستة أجزاء ، يهدی كل جزء مقابل ۱۲ روبية بالتخفيض الخاص للمشتركين فی هذا المشروع الطباعی العظيم الذی يجعل الكتاب فی متناول الجميع من العلماء — الأساتذة و الطلبة — فليبادر الراغبون الى الانتهال من هذا المنهل العذب و ليراجعوا المكتبة المذكورة للتفاصيل .

الفتاوی الشامية

إن الفتاوی الشامية للعلامة ابن عابدين الشامی لكتاب عظيم النفع و فقيد المثال فی الفقه الحنفی الاسلامی لا غنی لأحد من العلماء — و بخاصة رجال الافتاء — عن هذه الذخيرة الفقهية القيمة ، و قد كان الكتاب نادر الوجود فی المكتبات ، بعيد المنال . و قد قامت بطبعه الآن المكتبة النعمانية بديوبند فی عدة مجلدات ، كل مجلد مقابل مبلغ يجعل الكتاب فی متناول الجميع . و راجعوا للتفاصيل المكتبة المذكورة .

اخبار دار العلوم بديوبند

الدورة السنوية لمجلس الشورى

اجتمـــع مجلس الشورى للدار فى ٢٧ محرم الحرام سنة ١٣٩٠ ﻫ و انعقدت عدة جلساته العامة تحت اشراف فضيلة الشيخ السيد فخر الدين احمد المحترم رئيس هيئة التدريس، و اتخذت فيها قرارات بنائية متعددة منها :

(١) اصلاح المبانى القديمة و ادخال التعديلات الضرورية على نطاق واســع .

(٢) توسيع المكتبة و تزويدها بالكتب الهامة التى تنقصها المكتبة و خصصت لذلك للعام الجارى مبلغ خمسة آلاف روبية .

(٣) توسيع دار الضيافة و تزويدها بالمرافق اللازمة بالاضافة الى غرفتين خاصتين للسيدات الزائرات .

(٤) اتخاذ التدابير اللازمة لزيادة النظافة فى الدار .

(٥) الموافقة على دستور الكلية الطبية التابعة للدار و مقرراتهـا الدراسية بتعديلات يسيرة . و انتخاب اعضاء جدد للمجلس الطبى المراقب للكلية .

(٦) بناء مسجد جديد واسع يسع عدداً كبيرا من المصلين بشكل

يليق بمكانة الدار ، و توفير الأموال عن طريق التبرع العام و اتخاذ الصور اللازمة لتمويل هذا المشروع الضخم ، و أنيطت هذه المسئولية بصاحب الفضيلة مولانا الشيخ محمد طيب مدير الدار ․

(٧) انشاء مبنى جديد للطبخ على شكل تتوفر فيه جميع المرافق اللازمة و يتيسر اداء اعماله المتزايدة على نظام موحد ․

(٨) اعداد مخازن الغلال تحت الأرض ․

(٩) انتخاب جديد الأعضاء المجلس الادارى التابع لمجلس الشورى للعام الجارى . و هم اصحاب الفضيلة و السماحة الشيخ المفتى عتيق الرحمن ، الشيخ محمد منظور النعمانى ، الشيخ سعيد احمد الأكبر آبادي ، الشيخ مرغوب الرحمن ، الشيخ القاضى زين العابدين سجاد ، الشيخ السيد محمد مياں ، الشيخ منة الله الرحمانى حضرة المدير المحترم و حضرة رئيس المدرسين بموجب منصبهما ․

حفلة توزيع الجوائز

انعقدت حفلة عامة فى دار العلوم لتوزيع الجوائز على الناجحين من الطلبة فى الامتحان السنوى الماضى بـ ٢٥ و ٢٦ ربيع الثانى سنة ١٣٩٠ رأسها صاحب الفضيلة الشيخ مولانا السيد فخر الدين احمد رئيس هيئة التدريس و شيخ الحديث بدار العلوم . افتتحها بعد تلاوة القرآن الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير الدار بخطبته البليغة المركزة هنأ فيها الناجحين من الطلبة و حثهم على الجهد المتواصل فى بناء مستقبلهم و حياتهم على أسس اسلامية عظيمة حتى يتأهلوا لقيادة الأمــة المسلمة قيادة دينية صحيحة و شكر الاساتذة و المدرسين و رجال التعليم الذين بفضلهم و جهودهم المثمرة اتيحت هذه الفرصة السارة لتوزيع الجوائز و الاحتفال بها بصورة تبعث فى القلوب السرور و الطمانينة ·

و بعد انتهاء كلمة فضيلة قدم حضرة ناظر التعليم تقريراً سنويا عن نتائج التعليم للسنة الماضية و ملخصه ما يأتى :

١ - التحق بالدار عام ١٣٨٩هـ و ١٣٨٠هـ - ١٣٩٩ طالبا اشترك منهم فى الامتحان السنوى ١٣١٧ - بالتفصيل الآتى :

٢ - فى مراحل التعليم العربى الاسلامى (الفاضلية) ١٠٢٦ ، نجح منهم ٧٢٤ و سقط ٢٠٩ - و لم يشترك فى الامتحان ٩٣ لأسباب مختلفة ·

و الفائزون فى قسم الحديث العالى بدرجة ممتازة هم عبد الكافى البرتاب گڈهى (الاول) . و ابو الليث الاعظمى (الثانى) و جمال حسين الگوركهپورى (الثالث) ·

تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم ديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤل

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

طبعت بالمطبعة الكوثر

سرائمير - اعظم گڈھ

قام بالطبع و النشر وحيد الزمان الكيرانوى من دار العلوم بديو بند

الاشتراك السنوى :

فى الهند و پاكستان ست روبيات

فى الخارج ما يعادلها عدا اجرة البريد

العدد الرابع - المجلد السادس

رمضان المبارك سنة ١٣٩٠ھ

نوفمبر سنة ١٩٧٠م

محتويات هذا العدد

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٦ روبيات فى پاكستان إلى العنوان التالى :

الحاج شوكت على يو ، پى سوڈا فيكٹرى ناتھہ روڈ ـ لاهور

ملحوظة : يرسل إيصاله إلينا بعد تحويل المبلغ على البريد

بسم الله الرحمن الرحيم

التوبة باب المغفرة

• • •

« يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ، عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنت تجري من تحتها الانهار »

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

ان النفس الانسانية نزاعة الى حب الشهوات و ميالة الى السوء، كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « و ما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم » و لهذا الميل عوامل عديدة : منها الفراغ و الغنى و فساد البيئة و قرناء السوء و امثال ذلك ، و ليس هذا مجالا لتفصيل هذه العوامل و ما يتبعها
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

منها ، و انما ملخص القول ان النفس الامارة بالسوء هى التى تسبب للانسان انحرافه الخلقى و اعوجاجه السلوكى ، ومهما كانت عوامل الانحراف الخلقى فالاديان اعارتها اهتمامها البالغ حرصا على سلامة المجتمع البشرى فان هدفها الأسمى ليس الا الاصلاح و البناء ، و لأجل ذلك مواعظ الاديان و زواجرها تدور حول تلك العوامل تكشف عن اخطارها و تبصر الانسان بعواقبها الوخيمة و نتائج الانقياد لها فى حين تبين وسائل تلافيها و علاجها حتى يسهل على الانسان التخلص منها ٠

و قد اعترف الاسلام — و هو دين الفطرة — بطبيعة النفس الانسانية و انها امارة بالسوء و نزاعة الى الشر و الطغيان فجعل علاج ما فى النفس الانسانية من نزوع الى الشهوات المحظورة مجاهدتها و رياضتها بالصبر على الحرمان منها و تبصيرها بما يعقب هذه اللذة الزائلة من مرارة الالم و سوء العذاب و الندم على مخالفة اوامر الله فيها و على ما يلحق الناس من اذى فى انفسهم و اموالهم و حرماتهم ، و مجاهدة النفس و رياضتها جهاد شاق دونه جهاد العدو و مقاومته فى معارك الحروب و ميادين القتال ، و قدجاء فى الاثر ان جهاد النفس هو الجهاد الاكبر و انما يكون الانتصار فى هذه المعركة و الجزاء على الجهاد على حسب قوة المقاومة و القدرة على الصمود ضد هذا الباطل . و مما يعين على انتصار النفس فى جهاد النفس هو العزيمة الماضية و النية الصادقة ٠

و علاج النفس تختلف انواعه و اساليبه باختلاف عوامل الانحراف الخلقى و الاعوجاج السلوكى ، و قد اعار الاسلام اهتمامه كل نوع من

تلك الانواع و لم يترك ناحية من نواحى علاج النفس المصابة ، الا ان اكبر علاجه وقائى ، فيحث الانسان فى كثير من الحالات على ان يجنب نفسه كل شئ يعود عليها وبالا و خسرانا ، و الما و عذابا ، و الوقاية خير من العلاج كما يقولون ، و هذا ما اوصى به الاسلام .

و لكن قد يعضل الداء و يستعصى على النفس الشفاء فلا تنتفع بوعظ واعظ و لا نصح ناصح و لا تذكير مذكر ، كما لا تستفيد من تجارب الحوادث و لا تعتبر من صروف الليالى و تقلبات الايام ، فتظل سادرة فى غوايتها منهمكة فى شهواتها . ثم تدركها نفحة من رحمة الله و اشراقة من نوره فيستيقظ ضميرها ، و يستفيق وجدانها و ينهزم شيطانها فتبدأ فى التفكير فيما كانت منغمسة فيه من غى و ضلال ، و تقف موقف الحساب على ما فرطت فى حق الله و اجترمت من ايذاء فى حق الناس و تلتمس الخلاص مما اسرفت فيه و النجاة مما وقعت فيه ؛ فان كانت انتفاضة الضمير قوية و ثورة الوجدان عنيفة تولد فى النفس فضيلة الندم ، و الندم — و هو الاسف على الخطايا و الشعور بالذنوب — شعار النفس المؤمنة و امارات الخير فيها . و ثمرة مراقبة الله و الحرص على رضاه .

و قد يلح الندم على ذى الذنب فينغص عليه عيشه و يشوش افكاره و يذهب به مذاهب الحيرة ، فماذا يكون موقفه ازاء ذلك ؟ ايستسلم للحزن و الندم و ييأس من رحمة الله ؟ ام ان هناك بابا للخلاص و العلاج ؟ .

ان الله سبحانه — و هو الرؤف الرحيم الودود الغفور — احنى على عبده من ان يتركه فى هذا الموقف الموجع المؤلم تغوشه الآلام و تتنابه الاوهام — قد فتح له باب التوبة لينجو به من مهالك الذنوب و يلج منه الى رحاب المغفرة ، فاذا عرف العبد بالتوبة الطريق الى الانابة اليه فرح به و اكرم نزله ، و احسن ضيافته و غفر اساءته و سامحه فى تفريطه . غير ان الله يحب التوبة الصادقة الصادرة عن اخلاص و يقين و عزم و تصميم ، و مظهر الاخلاص فيها ان يندم على ما مضى و ينصرف و يقلع عما هو فيه فى الحال و يعزم فى تاكيد على ان لايعود الى مثله فى المستقبل ، تلك هى امارة التوبة الخالصة الصادقة ، اما التوبة باللسان التى لا يقارنها الفعل على النحو الذى ذكرنا فهى التوبة الكاذبة ، و هى اشبه بالسخرية منها بالعمل الجد المصمم و هى لا تغسل الحوب بل هى ذنب يضاف الى الذنوب السابقة .

و من سعة رحمة الله انه يقبل التوبة الصادقة و لو مكررة مجددة فلو تاب المؤمن من ذنبه توبة صادقة ثم غلبته حيوانيته و شهوته على معاودة الذنب لم يغلق عليه ابواب الرجاء فى العفو بل يمنحه فرصة بعد اخرى عسى ان ينتهى الى توبة لا نكث فيها . لان التوبة المكررة دليل الايمان بالله و الخشية منه . فالمؤمن اذا اذنب فتاب كانت رقابة الله نصب عينيه و كان خوفه منه وسيلة التقرب اليه .

و من تمام التوبة بالندم و الاقلاع عن المعاصى الاستكثار من عمل الطاعات بعدها ليصفو القلب و ينجاب عنه ما تراكم عليه من

ظلمات الذنوب ، فان القلب كما قال الامام الغزالى كالمرآة اذا تراكم عليه من ظلمات الخبث استعصت على الصقل و الذنوب التى تجب التوبة منها قسمان : قسم بين العبد و ربه ، و قسم بينه و بين الناس

و التوبة من الذنوب الأولى تكون بالاقلاع عنها و العزم على عدم العودة اليها عزما مصمما مع الندم و التحسر ، و تمامها لمحو آثارها يكون بالاكثار من الحسنات « فان الحسنات يذهبن السيئآت » ، فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليها بالطاعة .

اما التوبة من الذنوب التى تمس حقوق العباد فلا بد فيها مع ماتقدم من شئ آخر و هو أن يؤدى التائب ما يمكن اداؤه من حقوق الناس المالية بما فى وسعه و امكانه فيؤديها بعينها ان كانت موجودة او بمثلها ان كانت مفقودة أو بقيمتها إن كانت قيمية و إن كانت الذنوب بالأقوال الجارحة فيكفى التائب أن يستسمح صاحبها استسماحا اجماليا و ليس عليه ألا يفصل ما قال خصوصا ان كانت الأقوال مما لا يمكن التصريح به كالاتهامات الباطلة فى الحرمات و النظر الى المحرمات فان هذا التصريح مما يهيج الشر و يثير الفتن و يفضى الى مفاسد تضاعف الذنوب و تفصيل الاستبراء من حقوق الناس مبين فى مواطنه فى كتب الحديث و الفقه و التصوف .

و لب التوبة و جوهرها الندم و الأسف على ما فات . و العزم على الامتناع عن الذنوب فيما هو آت ، و الاستكثار من عمل الطاعات فان الحسنات تمحو أثر السيئات ، و من رجحت حسناته سيئاته كان

من الفائزين .

« فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية ، و أما من خفت موازينه فامه هاوية و ما أدراك ما هى نار حامية »

و توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ·

(الملخص من دراسات الاسلام بتغير يسير)

فرضية الصوم فى شهر رمضان

افادات العالم الكبير مولانا الشيخ شبير احمد العثمانى رح

من مشيخة الدار

* * *

- الصوم لغة و شرعا
- حقيقة الصوم و الحكمة فى مشروعيته
- اقسام الصوم
- الحكمة فى تعيين شهر رمضان له
- معنى كلمة رمضان
- البركات و الأنوار الالهية فى شهر رمضان

حدثنا يحی بن ايوب و قتيبة و ابن حجر قالوا حدثنا اسماعيل و هو ابن جعفر عن ابی سهيل عن ابيه عن ابی هريرة ان رسول الله ﷺ قال اذا جاء رمضان فتحت له ابواب الجنة و غلقت ابواب النار و صفدت الشياطين . (مسلم)

حقيقـــة الصوم

ان الصوم من اعظم اركان الدين و اوثق قوانين الشرع المتين ، به قهر النفس الامارة بالسوء ، و انه مركب من اعمال القلب و من المنع عن المآ كل ، و المشارب و المناكح عامة يومه ، و هو اجمل الخصال ، غيرانه أشق التكاليف على النفوس ، فاقتضت الحكمة الالهية ان يبدأ فی التكاليف بالأخف و هو الصلوة تمرينا للكلف و رياضة له . ثم يثنی بالوسط و هو الزكوة و يثلث بالاشق و هـــو الصوم ، و اليه وقعت الاشارة فی مقام المدح و الترتيب فی القرآن الكريم . « و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمـات ،

و فی ذكر مبانی الاسلام و اقام الصلوة و ايتاء الزكوة و صوم شهر رمضان ، فاقتدت ائمـــة الشريعة فی مصنفاتهم بذلك الخ كذا فی شرح ابن شبلی .

و قال صاحب البدائع من اصحابنا الصوم لغوی و شرعی ، اما اللغوی فهو الامساك المطلق . و هو الامساك عن ای شئ كان . فيسمی الممسك عن الكلام و هو الصامت صائمـا . قال الله تعالی . « انی نذرت للرحمن صوما » ای صمتا ، و يسمی الفرس الممسك عن العلف صائمـا ،

قال الشاعر :— خيل صيام و خيل غير صائمة — تحت العجاج و اخرى تعلك اللجماء اى ممسلة عن العلف و غير ممسكة ، و اما الشرعى فهو الامساك عن اشياء مخصوصة ، و هى الاكل و الشرب و الجماع بشرائط مخصوصة ذكرت فى مواضعها ، ثم الشرعى ينقسم الى فرض و واجب و تطوع ، و الفرض ينقسم الى عين و دين ، فالعين ما له وقت معين اما بتعيين الله تعالى كصوم رمضان ، و صوم التطوع خارج رمضان ، لأن خارج رمضان متعين للنفل شرعا ، و اما بتعيين العبد كالصوم المنذور به فى وقت بعينه ·

و الدليل على فرضية صوم شهر رمضان ، الكتاب و السنة و الاجماع و المعقول ، اما الكتاب فقوله تعالى ،

« يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

و قوله كتب عليكم اى فرض — و قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه . و اما السنة فقول النبي ﷺ ، بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله و ان محمداً رسول الله و اقام الصلوة و ايتاء الزكوة و صوم رمضان و حج البيت من استطاع اليه سبيلا و قوله ﷺ عام حجة الوداع « ايها الناس اعبدوا ربكم ، و صلوا خمسكم و صوموا شهركم و حجوا بيت ربكم و ادوا زكوة اموالكم طيبة بها انفسكم تدخلوا جنة ربكم ، و اما الاجماع فان الامة اجمعت على فرضية شهر رمضان لا يجحدها الا كافر ، و اما المعقول فمن وجوه ، احدها ان الصوم

وسيلة الى شكر النعمة اذ هو كف النفس عن الأكل و الشرب و الجماع ، و انهـا من أجلّ النعم و أعلاها و الامتناع عنها زمانا معتبرا يعرف قدرها اذ النعم مجهولة . فاذا فقدت عرف فيحمله ذلك على قضاء حقها بالشكر ، و شكر المنعم فرض عقلا و شرعا و اليه اشارالرب تعالى فى آية الصيام لعلكم تشكرون .

و الثانى انه وسيلة الى التقوى لانه اذا انقادت نفسه للامتناع عن الحلال طمعا فى مرضات الله تعالى خوفا من اليم عقابه فاولى ان تنقاد للامتناع عن الحرام ، فكان الصوم سببا للاتقاء عن محارم الله تعالى و انه فرض ، و اليه وقعت الاشارة بقوله تعالى فى اخر آية الصوم « لعلكم تتقون » - و الثالث ان فى الصوم قهر الطبع و كسر الشهوة ؛ لان النفس اذا شبعت تمنت الشهوات و اذا جاعت امتنعت عما تهوى ، و لذا قال النبى ﷺ من خشى منكم الباءة فليصم ، فان الصوم له و جاء فكان الصوم ذريعة الى الامتناع عن المعاصى و انه فرض .

قال الشيخ ابن الهمام . و الناشى عن هذا صفـاء القلب عن الكدر و بصفائه تناط المصالح و الدرجات . و من فوائد الصوم كونه موجبا للرحمة و العطف عـلى المساكين . فانه لما ذاق الم الجوع فى بعض الاوقات ذكر من هذا حاله فى عموم الساعات ، فتسارع اليه الرقة عليه ، و الرحـة حقيقتها فى حق الانسان نوع الم باطن . فيسارع لدفعه عنه بالاحسان اليه . فينال بذلك ما عند الله من حسن الجزاء ، و منهـا موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون احيانا . و فى ذلك رفع حاله عند الله

كما حكى عن بشرالحافى انه دخل عليه رجل فى الشتاء. فوجده جالسا يرعد و ثوبه معلق على المشجب ، فقال له فى مثل هذا الوقت تنزع الثوب او معناه ، فقال يا اخى الفقراء كثيرون و ليس لى طاقة مواساتهم بالثياب فاواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون الخ

قال العارف الكبير الشيخ الاجل ولى‌الله الدهلوى قدس الله روحه. و اذا وقع التصدى لتشريع عام و اصلاح جماهير الناس و طوائف العرب و العجم وجب ان لا يخير فى ذلك الشهر ليختار كل واحد شهرا يسهل عليه صومه لان فى ذلك فتحا لباب الاعتذار و التسلل و سد الباب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و اخمالا لما هو من اعظم طاعات الاسلام ، و ايضا فان اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شئ واحد فى زمان واحد يرى بعضهم بعضا معونة لهم على الفعل ميسر عليهم و مشجع اياهم ·

و ايضا فان اجتماعهم هذا سبب لنزول البركات الملكية على خاصتهم و عامتهم . و ادنى ان ينعكس انوار كملهم على من دونهم و تحيط دعوتهم من ورائهم ، و اذا وجب تعيين ذلك الشهر فلا احق من شهر نزل فيه القرآن و ارتسخت فيه الملة المصطفوية و هو مظنة ليلة القدر الخ

قال الشيخ بدر الدين العينى و اختلفوا فى اى صوم وجب فى الاسلام اولا ، فقيل صوم عاشوراء ، و قيل ثلاثة ايام من كل شهر لأنه ﷺ لما قدم المدينة جعل يصوم من كل شهر ثلاثة ايام رواه البيهقى ، و لما فرض رمضان خير بينه و بين الاطعام . ثم نسخ

الجميع بقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » و نزلت فريضة رمضان فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة فصام رسول الله ﷺ تسع رمضانات .

و فى المواهب و شرحه ان لفظ رمضان مشتق من الرمض بفتح الميم ، قال فى المصباح يقال رمض يومنا يرمض رمضا من باب تعب و هو شدة الحر ، لان العرب لما ارادوا أن يضعوا اسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور شديد الحر فسموه بذلك لموافقة وضع الازمنة ، فقالوا رمضان ، ثم كثر حتى استعملوها فى الاهلة و ان لم توافق ذلك الزمن كما سمى الربيعان لموافقتهما زمن الربيع ، و ذلك حين اربعت الارض . او لأنه يرمض بفتح الميم الذنوب اى يحرقها ، و هو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع الذى عرف منه أنه يرمض الذنوب .

قال القارى . و رمضان أن صح أنه من أسماء الله تعالى ، فغير مشتق أو راجع الى معنى الغافر اى يمحو الذنوب و يمحقها .

الانوار و البركات الالهية فى شهر رمضان

قال السندى : فتحت ابواب الجنة اى تقريبا للرحمة إلى العباد ، و هذا دليل على أن أبواب الجنة كانت مغلقة و لا ينافيه قوله تعالى : « جنت عدن مفتحة لهم الأبواب » إذ ذلك لا يقتضى دوام كونها مفتحة لهم الابواب . و غلقت اى تبعيدا للعقاب عن العباد ، و هذا يقتضى أن ابواب النار كانت مفتوحة و لا ينافيه قوله تعالى : « حتى اذا

جاؤها فتحت ابوابها » الجوازان هنالك غلق قبيل ذلك ، و غلق ابواب النار لا ينافي موت الكفرة في رمضان و تعذيبهم بالنار فيه اذ يكفي في عذابهم فتح باب صغير من القبر الى النار غير الابواب المعهودة الكبار .

و قوله صفدت الشياطين معناه شدت بالاصفاد و هي الأغلال و في الفتح قال عياض يحتمل ان الحديث على ظاهره و حقيقته و ان ذلك كله علامة لدخول الشهر و تعظيم حرمته و لمنع الشياطين من اذى المؤمنين ، و يحتمل ان يكون اشارة الى كثرة الثواب و العفو و ان الشياطين يقل اغوائهم فيصيرون كالمصفدين .

قال الامام الشيخ الاجل ولي الله الدهلوي قدس الله روحه . اعلم ان هذا الفضل (الوارد في احاديث الباب) انما هو بالنسبة الى جماعة المسلمين فان الكفار في رمضان اشد عمها و اكثر ضلالا منهم في غيره لتماديهم في هتك شعائر الله و لكن المسلمين اذا صاموا و قاموا و خاض كلهم في لجة الانوار و احاطت دعوتهم من ورائهم و انعكست اضوائهم على من دونهم و شملت بركاتهم جميع فئتهم و تقرب كل حسب استعداده من المنجيات و تباعد من المهلكات صدق ان ابواب الجنة تفتح عليهم و ان ابواب جهنم تغلق عنهم لان اصلهما الرحمة و اللعنة و لان اتفاق اهل الارض في صفة تجلب ما يناسبها من جود الله ، و صدق ان الشياطين تسلسل منهم و ان الملائكة تنتشر فيهم لان الشيطان لا يؤثر الا في من استعدت نفسه لاثره و انما استعدادها له لغلواء البهيمية و قد انقهرت ، و ان الملك لا يقرب الا ممن استعد له و انما استعداده بظهور الملكية

و قد ظهرت ايضا ، فرمضان مظنة الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم فلا جرم ان الانوار المثالية و الملكية تنتشر حينئذ و ان اضدادها تنقبض . و الله سبحانه و تعالى اعلم ؟

• • •

علاج بالحكمة

يروى ان عبد الرحمن بن حسان الشاعر شبب بابنة معاوية ، و بلغ ذلك ابنه يزيد ، فغضب ، و طلب من ابيه أن يقتله فقال له معاوية : لا و لكن أداويه بغير ذلك .

ثم دخل عبد الرحمن على معاوية فأكرمه و استقبله أحسن استقبال ، و قال له : ان ابنتى الأخرى عاتبة عليك ، قال : فى أى شئ ؟ قال : فى مدحك اختها و تركك اياها قال : فلها العتبى و كرامة . أنا ذاكرها . و لم يكن لمعاوية غير بنت واحدة فخرج عبد الرحمن و أخذ يشبب بالبنت الثانية ، و بلغ شعره الناس فعرفوا كذبه .

رمضان شهر التصفية الروحية

بقلم :

فضيلة الاستاذ الامام الحافظ الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بالفقيه العلوى

(مفتى لجنة الافتاء الشرعى ـ و المدير العام لمعهد دار الحديث الفقيهية و عميد كلية الدعوة الاسلامية ، ما لانج ــ اندونيسيا)

• • •

ان المسلمين فى جميع بقاع الارض يحتفلون بقدوم رمضان ويعلنون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم و حق لهم ان يحتفلوا و ان يبتهجوا لانه شهر حافل بالخيرات و معمور بالبركات فهو ركن من اركان الاسلام الخمسة و دعامة من دعائم الدين التى يقوم عليها و لم يكن الله عابثا

و قتاحين ان جعله ركنا من اركان دينه القويم تنزه الله تعالى عن العبث فهو حكيم جلت حكمته لا يفرض فرضا و لا يقدر امرا الا و له حكمة سامية و سر عجيب يدركه العقل الرشيد و يقدره من جهت منارك و رسخ ايمانه و استار عقله و ها هو الصوم و سره و شهر بمضات و فضله فالصوم كف النفس عن شهوتى البطن و الفرج و اذ ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين كان ملكا طاهرا و عبد الله مخلصا و استحق شرف العبودية التى يعنيها الله فى قوله « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان و كفى بربك وكيلا » (١) اله هذا شأنه يغار على عبده هذه الغيرة نعمه المتتالية ظاهرها و باطنها ، « و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٢) و من هذه النعم فرضها الفرائض التى يعود نفعها على العباد لحسب فمن جد فيها و اجتهد و اخلص لمولاه حق الاخلاص كانت له الحسنى و الزيادة و التمتع بالجنة و نعيمها التى ما فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر احفظ الله يحفظك ·

و ها هو الصوم قد أحاطه الله باسراره البالغة و نفع هذه الاسرار يعود على العباد خاصة . فالصوم من طبعه يحول بين المرء و بين امتلاء المعدة التى هى علة العلل و قد اجمع الأطباء على أن المعدة بيت الداء و الحمية رأس كل دواء ، و قال بعض الحكماء الدواء الذى لا داء معه الا تاكل الطعام حتى تشتهيه و أن ترفع يدك و انت تشتهيه و من غير شك ان فى حفظ الجسوم حفظا لكيان الامة و الشعوب ·

---

(١) الاسراء — ٦٤). (٢) ابراهيم — ٣٤)

و هناك فائدة أخرى تنجم عن الجوع : و هي المحبة و الوئام بين الناس بل و بين العبد و ربه فان الانسان عند ما يشعر بالم الجوع و شدة الظمأ يحصل له الذلة و الانكسار و عندئذ يشعر بحاجته لمولاه فتواضع لبارئه الذي خلقه و سواه ، و يطرح رداء الكبر و العظمة فانها من صفات الله جل جلاله حيث يقول محدثا عن نفسه جل و علي الكبرياء ردائي و العظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته و لا ابالي ، (١) و اذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بانه محتاج لسواه فيعطف على الناس و يتودد اليهم و أحس من الجوع و لوعته بحاجة الفقير الى الطعام و كان الناس وقتئذ اخوانا متحابين و كانوا كما قال رسول الله ﷺ « ترى المؤمنين في تراحمهم و توادهم و تعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى ، (٢)

قيل ليوسف الصديق لم تجوع و انت على خزائن الارض حفيظ قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع . فالجوع يدفع صاحبه الى البر و الاحسان و شهر رمضان هو الموسوم لمن اراد الربح العظيم . فقد صح أن رسول الله ﷺ كان اجود الناس بالخير و كان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل و كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان

(١) رواه مسلم و الحكيم الترمذي في النوادر و القضاعي و السمويه عن ابي هريرة و ابي سعيد و ابو داود و ابن ماجه بلفظ الكبرياء ردائي و العظمة ازاري فمن نازعني و احدا منهما القيته في جهنم ولا ابالي .

(٢) رواه احمد في مسنده و مسلم عن النعمان بن بشير باسناد صحيح بلفظ مثل المومنين الخ

أجود الناس بالخير من الريح المرسلة ، رواه البخارى عن ابن عباس .
و وجه الشبه بين أجوديته ﷺ بالخير و بين أجوديته بالريح المرسلة أن المراد بالريح ريح الرحمة التى يرسلها الله تعالى لانزال الغيث العام الذى يكون سببا لاصابة الأرض الميتة و غير الميتة فيعم خيره من هو بصفة الفقر و الحاجة و من هو بصفة الغنى و الكفاية ، أ يعم الغيث الناشئة من الريح المرسلة ﷺ (كما فى فتح البارى ج ٤ ص ٩٣) للحافظ ابن حجر العسقلانى .

اقول أضف الى هـذا أن الاستمرار فى النعمة قد ينسى الانسان مصدر هذه النعمة فاذا ما انقطعت عنه و تذوق الم الجوع فى القر . و شدة الظمأ فى الحر . عندئذ يذكر النعمة و يقابلها بالشكر و يخلف نفسه الوازع الذى يحببه فى الطاعات . و يحول بينه و بين المنكرات .

و الصوم هو الوسيلة العظمى فى تربية ملكة الصبر و احتمال المكاره، و الصبر ملاك الفضائل ، لا استسهلن الصعب أو ادرك المنى — فما انقادت الامال الا لصابر فهو السلاح الذى يكافح به الانسان و يجاهد حتى يظفر بعناه فى دنياه و اخراه ، و فى الحديث « الصبر نصف الايمان » رواه أبو نعيم فى الحلية و الخطيب فى التاريخ عن ابن مسعود باسناد حسن ، المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذاليقين معرفة أن المعصية ضارة و الطاعة نافعة و لا يمكن ترك المعصية و المواظبة على الطاعة الا بالصبر و هو استعمال باعث الدين فى قهر باعث الهوى و الكسل فكان الصبر

نصف الايمان بهذا الاعتبار ، و وصى به القرآن الكريم و ذكر فى التنزيل أكثر من سبعين مرة ، و حسبك من ذلك قول الله فى محكم تنزيله « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (الزمر — ١٠)

و الصوم يعودك الحلم و سعة الصدر فالرسول ﷺ يقول « اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث و لا يجهل فان جهل عليه احد فليقل انى صائم ، فالصائم من شانه ان يبتعد عن اللغو و الفحش فى القول ، فان اعتدى عليه معتد فليقابل هذا الاعتداء بسعة الصدور و الخلق الجميل و يذكر نفسه بانه صائم حتى لا يجهل كما جهل عليه غيره و يقول انى امرء صائم فى وجه من اعتدى عليه حتى يذكره بالصوم و شأن الصائم أن يتعفف من ذلك القول الفاحش .

و من حق الصائم أن يكف جوارحه عن جميع الاثام حتى يكون صومه مقبولا . فيغض البصر عما حرمه الله و يكف اللسان عن الغيبة و النميمة و الكذب و الفحش و الخصومة و الجفاء و ما الى ذلك ، و السمع عن الاصغاء الى ما هو محرم ، و ناهيك بقول الرسول ﷺ « من لم يدع قول الزور و العمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه و شرابه » رواه احمد و البخارى و ابن ماجة عن ابى هريرة و فى رواية للطبرانى فى الاوسط بلفظ « من لم يدع الخيانة و الكذب الخ المراد بقول الزور الكذب و الجهل السفه و العمل به اى بمقتضاه ، و معنى ذلك أن صومه غير مقبول لانه بتركه الطعام و الشراب فقد اتى بجسم الصوم ، و بفعله المحرم .

، قد اذهب روحه و الصوم بلا روح غير مقبول بجسم بلا روح فهو غير مـــوجود ، و الغاية من العبادة روحها انظر الى قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (البقرة — ١٨٣) فالغاية من فرضية الصوم هى تقوى الله لا مجرد ترك الأكل و الشرب قال عليه الصلاة و السلام « انما الصوم جنة فاذا كان يوم صوم احدكم لا يجهل و لا يرفث فان امرء قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم » رواه البخارى و النسائى و مسلم و مالك عن ابن هريرة بالفاظ مختلفة « جنة اى وقاية للجسم و الروح من العالل و الشرور .

و قد اختار الله هذا الشهر رمضان للصوم مع أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً لأنه عند الله طيب مبارك و قد بعث رسول الله ﷺ فى شهر رمضان و نزل عليه جبريل عليه الصلاة و السلام و هو يتعبد فى غار حراء فى هذا الشهر ، فهو شهر مبارك حيث ابتدأت فيه دعوة الرسول ﷺ الى الحق لاتباع الحق و ظهر نور الإسلام فى طول البلاد و رفع لواء الحمد (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان) (البقرة - ١٨٤) و ايضا نزلت فيه جميع الكتب المقدسة قال رسول الله ﷺ « نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان ، و انزلت التوراة موسى لست مضين منه ، و القرآن لاربع و عشرين رواه ابن زنجوية و ابن خالوية عن ابن عباس باسناد حسن .

و فى هذا الشهر ليلة القدر ، و ما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هى حتى مطلع الفجر .

فهو شهر عظيم عند الله ، جدير بخلق الله أن يعظموا ما عظمه الله و فى ذلك (فليتنافس المتنافسون) .

ه ه ه
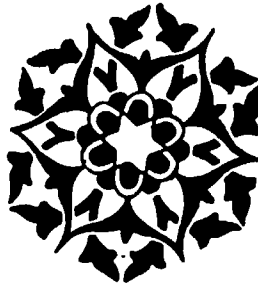
(عبرة)

اجعلوا حنوطى غبار المعارك

ان الوزير الاندلسى المشهور منصور بن عامر لقد مكث فى الوزارة ستا وعشرين سنة ، و غزا فى هذه المدة ثنتين و خمسين غزوة . فى كل سنة غزوتان . و احدة فى فصل الشتاء و تسمى الشاتية ، و واحدة فى فصل الصيف و تسمى الصافية ، و كان الى جانب حروبه و انتصاراته فيه جانب ايمانى عجيب ، لم يكتشف الا قرب و فاته . فقد كان اذا رجع الى بيته بعد المعركة ، عاد فى ثيابه التى كان يقاتل الاعداء و هو يرتديهاوالتى امتلات بغبار المواقع ، و شاهدت بريق السيوف ، و ضربات الرماح ، فتستقبله بناته بالبشر والسرور لعودة ابيهن بعد المعركة ، منتصرا مظفرا ، وتفرشن له ثوبا كبيرا يقف عليه . ثم اذا به يخلع ثيابه و ينفض تراب المعركة على ذلك الثوب المفروش و يحفظه ، و هكذا حتى تجمع له من التراب قدر كبير . و لما تقدمت به السن ، و دنا منه الأجل طلب من بناته ان ينسجن له ثوبا من كسب ايديهن و نفذت البنات ما اراد ، ثم قال لهن حينما اموت اريد منكن شيئين اولا : ان اكفن فى هذا الثوب الذى نسجته ايديكن . لأنى لا أحب ان اكفن فى ثوب لا اطمئن الى نقائه و طهارته ، و لا اطمئن الى المال الذى اشترى به .

و ثانيا : هذا الغبار الذى جمعته من المعارك ، فى مواقع « الصافية » «والشاتية » اجعلوه حنوطى فى قبرى . فاذا سالنى ربى يوم اقف بين يديه اقول له : يا رب انى اقابلك بتراب المواقع التى خضتها مجاهدا فى سبيلك فتكون شفيعا لى فى ذلك اليوم الذى يجعل الولدان شيبا ! ! !

مشروعية الجهاد فى الاسلام

فضيلة الاستاذ القاضى زين العابدين من علماء دار العلوم بديو بند
استاذ التفسير بالجامعة الملية - دهلى - (معرب)

قد سبق الى طائفة من معادى الاسلام ، أن الاسلام قد عم و انتشر بالسيف ، فلنفحص هذه النظرية الضئيلة فى ضوء حقيقة الجهاد

الجهاد هو السعى فى اللغة ، فمن الواجب على الانسان عقب اعتناقه الاسلام ان يجتهد فى اعلاء كلمة الحق الى ما يمكنه ، و لا يدخر الوسع فى ابلاغه اوج الرقى ، و يسعى لكل ما يطالبه به الاسلام سعيا بالغا ، فيبذل قوة قلبه و لسانه و يفديه بماله و نفسه ، و يجود له بكل ما يقتضيه الحق فتضحية النفس فى سبيله يسمى بالجهاد بالسيف و بـ القتال فى سبيل الله .

و قد اتى القرآن الكريم بلفظ الجهاد فى هذا المعنى فى مواضع كثيرة شتى فقال : جاهدوا فى سبيل الله حق جهاده .

فتطالب هذه الآية ممن اسلم وجهه لله ان يكافح بنفسه و ماله لاعلاء كلمة الله ، و يصرف كل جهده فى ازالة الموانع و العوائق عن سبيل الحق ، و يتحمل ما يصيبه من المشاق فيه .

و لا ينحصر الجهاد فى أن يكون ضد الاعداء فحسب فيمكن أن يكون ضد نفسه ، بل مقاومة النفس و الهوى أهم و أشق ، فلذا يطلق عليه « الجهاد الاكبر » كما قال النبي ﷺ :

« افضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه و هواه » (الحديث)

و أن الاسلام دين اجتماعى يكلف المسلمين بان يتقوا الله سبحانه وتعالى ، و يسعوا فى ترغيب الاخرين الى البر و التقوى . و أن الاسلام يطالبهم بان يأسسوا مجتمعا ينشأ على العدل و المساواة و الأخوة و المؤاساة و التقوى و الصلاح و يتمكن كل فرد من الاحتفاظ بعرضه و ماله و عقيدته فلا يضر أحد آخره لأجل غرضه و لا يسلب حقه لمجرد منفعته . و يعيش الانسان فى ظلال الأمن و الحرية مغتبطا مسروراً .

هذه هى طريق الحياة التى يعبر عنها الاسلام « بسبيل الله » فقد أمر الله سبحانه و تعالى المسلمين بان يدعوا الناس جميعا الى إتباع هذه الطريق فيرسخ فى اذهانهم ما تتضمنها هذه الطريق من الحكم و يثبت فى قلوبهم مناقبها باسلوب يفيض عطفا و رحمة . و من الواجب الاعتصام بالرزانة اذا تفسح المجال للبحث و المناقشة ، « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن ،

و حيث أن العالم مختص بأناس يتفاوتون فى خصالهم ، فنهم المتخلقون بعادات الحيوانات و السباع فلا يجدى نفعا أن يرجى من امثالهم العطف و المروءة ، كما أن الذئاب و الاسود من الحيوانات لا يتوقع منها أن ترحم الاغنام و المعز و تكف عن اهراق دمها .

فحيثما يمانع الأشرار فى دين الله و طريقه و يهددوا الأمن و السلام و يأججوا نيران الاضطراب ، و يفسدوا فى الارض فيتمادوا فى فى العصيان و الطغيان فيجب إصلاحهم بالموعظة الحسنة فان لم يمتنعوا عما هم فيه و تفشل محاولات إصلاحهم كلها فعلى المسلمين أن يقوموا ضدهم و يزيلوا اعوجاجهم بقوة سيوفهم فيقاوموهم مراعين لهذه الشروط .

(١) الغاية المنشودة من استعمال القوة تدحيض الشر و الفساد و المحافظة على الأموال و الأنفس .

(٢) مراعاة أن الدين أمر بين الله و عباده فلا يستحق أن يتدخل فيه احد .

(٣) تستعمل القوة قدر ما يكفى فاذا سدت الحاجة وجب الكف و الامتناع عنه . كما قال الله سبحانه و تعالى : و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة الآية .

المراد أن الشر اذا اندفع و اعترف بحق الحرية فى أمور الدين ، فلا يجوز التعنيف و التشديد ، و انما يجوز ذلك ما بقى الظلم

و الاعتداء .

(القوة استعمالها فى الأديان الأخرى)

يشهد تاريخ العالم بانه لم يتجنب أى دين الحرب و النهب ، و لم تمتنع اية حكومة محتضرة عنه . و لكن القرآن منفرد و ممتاز فى تحديد استعمال القوة .

و نجد انبياء اليهود و رجال حكومتهم أن حياتهم مملوءة بسلب و غارة لا تنتهى سلسلتها .

فسيدنا شموئيل و داؤود و سليمان عليهم السلام نرى كلهم مناضلين اعداءهم فى ميدان القتال كما أن التوراة تأمرهم :

« اقتلوا أولادهم و نساءهم اللاتى تزوجن و استحيوا الباكرات لأنفسكم » متى ٣١ - ١٨ - ١٩

و لكم عبارتان مقتبستان من كتاب « رگ وید » المقدس للمذاهب الهندوكى الذى يعلمهم كمال الأمن و السلام :

« اندرا الذى قتل و رترا و دمر مدنا شتى و حزب قرى كثيرة »

منڈل ٢ منتر ٢٠ (١)

و الحرب التى نشبت بين « كورون » و « پانڈون » فاندلعت

---

(١) مقول من مقالات السيرة الدكتور آصف القدوائى .

نيرانها و تلهبت فى الهند كلها ، و استمر يتأجج لهيبها مدة أربع مائة سنة فلم يتخلف كرشن الا أن أوقع نفسه فيها .

و اذكروا داعى الأمن و السلام (عيسى المسيح عم) الذى كان يعلم قومه : « اذا لطم أحد خدك اليمنى فرده بتقديم خدك اليسرى » .

فاين تباعه (عليه السلام) من تعليمه هذا ، انهم لما خرجوا من القفار و المغارات و غادروا الحياة البدوية الخشنة و تولت المسيحية عرش مملكة روما فتقلبت أغنام المسيح ذئابا وتحولت الرحماء اشداء فسفكوا دماء الروميين و تراكمت جثثهم قتلى .

و هل ينسى التاريخ حرب الصليب الدامية التى قد ضجت سوريا المقدسة فيها بوقعات الحوافر لأفراس المقاتلين المسيحيين الأوروبيين و استمرت تفيض دماء بنى آدم ، فهل يمكن أن يمحى هذا العيب من جبين المسيحية ؟

الاسلام و الجهاد

لنترك الادعاء و نفكر فى الأمر مستشهدين بوقائع الأحوال متمسكين بحقائقها . فالتاريخ يشهد بان من دعا الناس الى التطور أضطر الى مصادمة الاعداء الغاشمين ، فالاسلام حين تقوية حركته الاصلاحية التجأ الى أن يقاوم الذين حجدوه و مانعوا فى طريقه و شددوا فى ظلمهم المسلمين فلما بلغ الجور و العدوان أقصى ما بلغ و انتهت الشقاوة

و القسَاوة منهم الى أن تهلع القلوب و تهتز الأعصاب من ذكرها . و تقشعر الجلود و تتفطر الاكباد من سماعها فامر الله لمسلمين أن يقوموا ضدهم مستعينين به فينزعوا السيوف الصارمة عن ايدى الظالمين الذين لم يدخروا جهدهم فى ايقاع الشدائد عليهم ، و لم يخرجوهم من ديارهم الا لأجل تمسكهم بدين الله . و امرهم بان يقتحموا المعركة فيمنعوهم من الشقاق و التمرد ، و اعلمهم سبحانه و تعالى أن الباطل ما زال يعرقل فى طريق الحق فى كل زمن . فاضطر أهل الحق أن يقوضوا دعائم الباطل و يذيقوا أهله عذاب ما كسبت ايديهم ، فلا مفر منه الى غير ذلك ولو لم يكن ذلك لما وجد مكان يذكر فيه اسم الله .

« أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا . و أن الله على نصرهم لقدير »

قد نزلت هذه الآيات فى بداية السنة الثانية من الهجرة ، فاصطف المسلمون مناضلين فى ميدان الحرب ضد الظالمين فغلبوهم و ردوهم على اعقابهم و خيبوهم فى محاولاتهم . ؟

(تعريب ابو الحسنات الاعظمى القاسمى)

فى اجتماعهم و سياستهم ، فمن مظاهر رقيهم فى حياتهم الاجتماعية الجديدة .

(۱) نظام الاسرة :

فقد أبطل الاسلام كثيرا من أنواع الزواج و المخالطة البشعة التى كانت ناشئة فيهم . و قصرهم على الزواج الشرعي بشروطه المعروفة لحفظ الأنساب و بين النفقات ، و حدد اكبر عدد للزوجات باربع للقادر المستطيع العدل بينهن ، و قد كان فى الجاهلية غير محدود .

و فى هذا التعديل القليل مرحمة للنساء عند فناء الرجال فى الحروب ، و هى ضرورية فى دين تجب على أهله الدعوة اليه . و حماية هذه الدعوة من المعتدى عليها بالقوة ، و اباح للارامل المتوفى عنهن أزواجهن الزوج بعد ان كان ولى المتوفى يعضلهن (اى يمنعهن عنه) و ورث النساء بعد ان كان اكثر قبائل العرب لا يورثهن .

(۲) نظام الجماعة :

فقد حرم الاسلام الدعوة الى العصبية الممقوتة ، و استبدل بها جامعة الدين و جامعة الطاعة لحاكم واحد هو ولى امر المسلمين و من دخل فى ذمتهم ، و سوى الاسلام فى الحقوق الدنيوية و التكاليف الدينية و العقوبة . و جمعهم فى صلاة الجماعة و الجمع و العيدين و الحج ، و عاشوا آمنين ، ينصفهم القاضى ، و يتفقدهم المحتسب ، و يزعهم الشرط و تقام عليهم الحدود . و يطرح الباغى منهم فى السجون و يفقه عالمهم فى الدين جاهلهم .

(٣) نظام التعيش و التكسب

فقد قرر أقصى عقاب على من يتكسب بطريقة شن الغارات ، و اغتصاب أموال الناس ، و جعلهم بغاراتهم هذه يحاربون الله و رسوله ، و يسعون فى الأرض فساداً . فقال تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا و يصلبوا و تقطع ايديهم و أرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا و لهم فى الآخرة عذاب عظيم » و عوضهم رزقا شريفا ، فجعله مضمونا تحت ظلال رماحهم و معقوداً بنواصى خيلهم ، و ذلك بضرب الهجرة عليهم إلى فتح الأمصار و الدعوة إلى دين الله .

و اغتنام الفئ و الاكتتاب فى ديوان الجيش و الأعطيات ، ففتحوا بلاد الفرس و أطيب بلاد الروم ، و اقتسموا الأرض ، و استغلوا الريف و الضياع ، و اختطوا الدور و شيدوا القصور بايدى عبيدهم أو مواليهم من أهل الممالك التى افتتحوها ، و كان القرن الذين خلفوهم و ورثوا نعمتهم من أبنائهم و حفدتهم أهل حضر فى كل شئ حتى كان منهم فى مكة و المدينة مترفون يلبسون الرقيق و يلهون بالغناء و عزف القيـان .

(ب) رقى حالتهـم السيـاسية

و من مظاهر ترقية حياة العرب السياسية فى خاصة أنفسهم و فى أهل الممالك التي استولوا عليها ·

(١) أنهم خضعوا لامام واحد يأتمرون بامره و ينتهون بزجره . و هو رسول الله ﷺ ، فى حياته و خليفة له من بعده ، يبايعون بالخلافة فيسوقهم لنشر الدين و اعلاء كلمته و فتح البلاد المستغلقة على الاسلام ، و يقومون هم بتائيده و محاربة الخارجين عليه . فتكون بذلك من جميع قبائل العرب وحدة سياسية اسلامية متوحدة فى الدين و اللسان و نظام الحكم و الآداب .

(٢) استقلال كثير من بلاد العرب ، و خروجهم عن تابعية الممالك العظيمة المجاورة لهم من الفرس و الروم ، و دخولهم جميعا فى نطاق الوحدة الاسلامية . و هم :

(ا) عرب اليمن ، و كانوا قبيل الاسلام تحت سلطـة الفرس يبعثون عليهم عاملا من قبلهم ، و آخر عامل عليهم باذان الذى أسلم و دخلت اليمن جميعها فى الاسلام .

(ب) عرب البحرين و كان اكثرهم مجوسا تابعين للفرس ينصبون عليهم ملكا من العرب ، و آخرهم المنذر بن سلوى و قد أسلم و أسلم قومـه .

(ج) عرب بنى نصر من لخم و ملوكهم المناذرة ملوك الحيرة ، و كانوا عمالا للفرس على عرب الفرات . فتحت بلادهم زمن أبى بكر و عمر رض و دخلوا فى الاسلام .

(د) عرب غسان ، و ينزلون شرقى الشام ، و كانوا نصارى تابعين للروم ينصبون عليهم ملوكا منهم بمنزلة عمال لهـم و آخرهم

جبلة بن الأيهم ، أسلم ثم ارتد و هرب الى القسطنطينية ، و أسلمت بقية غسان الا قليلا و أصبح أشراف هذه الأمارات التى كانت تابعة للفرس و الروم سادات فى الاسلام فى بلادهم و غير بلادهم بعد ان كانوا بمنزلة الرعية او الحراس على تخوم الأعاجم .

(٣) تمرنهم على أساليب حكم الأمم ، فحول الاسلام كثيراً منهم من أعراب جفاة أو تجار صغار الى خلفاء و أمراء و عمالا و قضاة . فبرعوا فى قيادة الجيوش و اختطاط المدن و تولى مناصب الدولة من الأمارة و الجباية و الشرط و القضاء و المظالم ، يشهد لهم بتلك البراعة فى الحكم ما حفظه التاريخ من كتبهم و وصاياهم الى الولاة و من العهود التى كانوا يعقدونها مع الأمم المغلوبة و أهل الذمة فى مشارطات الصلح و عقد الهدنة و من العهود التى كان يكتبها الخليفة و الأمراء عند تولية العمال و القضاة . نعم أن بعض هذه النظم مقتبس من نظام الدول التى افتتحوها . و لكن روح الاسلام هو الذى حفزهم الى اقتباس النافع ، اذ كان من أشرف تعليماته أن الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها (اى أن المومن يجب عليه أن يتطلب النافع و ياخذ به مهما كان مصدره) .

و من حسن مرانتهم على أساليب السياسية حسن معاملتهم لأهل الذمة و تسويتهم بالمسلمين فى اكثر الحقوق المدينة ، و استخدامهم فى مرافق البلاد : من الجباية و هندسة الرى و كتابة الدواوين . و اعفاء العجزة والشيوخ والاطفال والرهبان من الجزية ، و مصاهرتهم لهم بالتزوج من

فسلمتهم و النسرى بهن ، فامتزجت دمائهم بدماء شتى من فرس و سريان و روم : مما يعرف منه أن الاسلام الف من امة متقاطعة متباغضة أمة مهذبة متدينة سياسية حربية ، انقذت كثيرا من الامم المظلومة و ساستهم خير سياسية ، و سهلت لهم سبل الترقى ، وامتزجت بعد دماءها بدمائهم ، و غلبت لغتها على لغتهم ، حتى كونت منها و منهم وحدة اسلامية ملكت من حدود الهند و الصين الى جبال البرانس من اسبانيا .

القرآن

القرآن هو كتاب الله العزيز انزل على محمد ﷺ هدى و بشرى ، و موعظة و ذكرى ، و دعوة الى خير الدنيا و الآخرى ، انزل عليه بطريق الوحى منجما على حسب الوقائع و الاحداث و التدرج فى التكاليف و الفرائض لينشى الامة العربية تنشئة تصلح بها لتبليغ العالم رسالة توحيد الله توحيدا خالصا من شوائب الشرك و مشابهة المخلوقات فى اى شئ .

و تم نزوله على رسول الله ﷺ فى ثلاث و عشرين سنة كان فى ثلاث عشرة سنة منها يقم بمكة ، و هى وطنه الذى نشاء فيه ، و تسمي الآيات و السور التى نزلت فيها أو فيما حولها مكية . و كان فى عشر السنين الأخرى يقيم بالمدينة و هى دار هجرته التى قضى فيها بقية حياته .

و تسمى الآيات و السور التى نزلت فيها أو فى غزواته و اسفاده

فى اثناء اقامته فيها مدنية ، و مجموعهما اربع عشرة و مائة سورة .

و اول ما نزل من القرآن « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرء و ربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

نزلت على رسول الله ﷺ و هو يتعبد بغار حراء بقرب مكة . و اول ما نزل عليه بالمدينة : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون و اذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين » لأنهم كانوا أشد العرب اخسارا للكيل و الميزان ، و آخر آية نزلت على أشهر الاقوال : « اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا » نزلت عليه فى حجة الوداع . و قبيل حجة الوداع نزلت عليه سورة التوبة .

موضوعات سور القرآن او اغراضها و مقاصدها

كانت موضوعات الآيات و السور التى نزلت بمكة الدعوة الى عبادة الله وحده لا شريك له . و تنزيهه من مشابهة خلقه . و نبذ عبادة الأوثان التى لا تنفع و لا تضر . و الى الايمان بحياة اخرى بعد الحيلة الدنيا فى يوم يبعث فيه الناس ، و ينشرون و يحاسبون على ما قدموا فى دار الدنيا فيجازى المؤمن بنعيم الجنة الخالد و يعاقب الكافر بجحيم الجهنم الخالد ، يقرر كل ذلك فى سور شتى و اساليب المختلفة .

فمن موعظة حسنة و حكمة بالغة ، و حث على التمسك بفضيلة و مكرمة و من عبرة بقص قصة طاغية ، أو عاقبة امم باغية ، و سيرة رسول مع قومه ، و من استدلال بخلق السموات و الأرض على قدرة موجدها ، و على وجوب توحيده بالربوبية ، و من إنذار للعاندين و تقريع للستهزئين و نعى على الجاهلين و ذم للكافرين كل اؤلئك بعبارات بليغة و فقار مفصلة و سور كانت فى أول الاسلام قصيرة ثم طالت بحسب الأحوال ، و ذلك لأن أهم ما قصد اليه الاسلام فى اول امره بيان منزلة العبد من مولاه و خالقه و ما اعده له على طاعته أو معصيته من ثواب او عقاب .

ثم لما قوى الاسلام بالهجرة الى المدينة ، و قيض الله له الانصار من أهلها يؤيدونه و يعلون كلمته صار اكثر موضوعات الآيات التى نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة و فى اثناء خروجه منها للغزاة أو الاسفار يشمل فوق ما تقدم امورا أخرى : مثل نظام العبادة .

و فرض الفرائض و التحليل و التحريم ، و مثل نظام الاسرة : من تقرير أحكام الزواج و الطلاق و الميراث و الوصية و الاسترقاق و العتق ، و مثل نظام الجماعة باطاعة اؤلياء أمورهم . و التناصر على اقامة الحدود و حماية العرض و المال ، و تقرير العدالة فى القضاء و الاحكام و تحديد المعاملة الحسنة فى البيع و الشرا . و المداينة و الرهن . و نحو ذلك مثل نظام معاملة المسلمين لغير من الأمم فى الحرب و السلم و تقسيم الغنائم و معاملة الاسرى و عقد الهدنات و المعاهدات و سياسة

المغلوبين من غير المسلمين من اخذ الجزية من اهل الذمة و مصالحة غيرهم . و غير ذالك مما تقتضيه مصالح البشر فى الحياة الدنيا على اختلاف المكان و الزمان . و جملة القول أن القرآن كتاب هداية الى مكارم الاخلاق و الآداب و الى توحيد الله و عبادته وتنزيهه عن مشابهة خلقه . و كتاب شريعة لحقوق الاسرة و الامة فى خاصة نفسها و فى علاقتها بغيرها .

اسلوب القرآن

و قد نزل على أسلوب من الكلام لا يضارعه أسلوب قبله و لا بعده من كلام البشر ، فلا هو شعر، ولا هو سجع ملتزم . و لا هو مزاوجة دائمة ، و لا هو نثر مرسل ارسال الحديث ، و لا هو خطابة و انما هو نظم بديع من كلام عذب اللفظ محكم الوضع باهر الروعة حصيف المعنى . فصل بين اجزائه تفصيلا تشعر النفس عند انتهاء اى فاصلة منه بانتهاء القول ، و تطمئن الى الوقف عليها و لو تعلق بها ما بعدها وتتنوع طرقه فى الاقناع بتنوع طبائع المخاطبين به : فمن قصص على أشكال مختلفة فى اطناب أو ايجاز او توسط و بفواصل طوال أو قصار أو متوسطة ، و من استدلال على حقائق الأمور بالآثار المشاهدة فى خلق السموات و الأرض ، أو ضرب الأمثال . أو بقياس الغائب على الحاضر ، أو بالبرهانات النظرية ، و من تصريح و تكرير الى كناية و ايجاز .

كل اولئك مصور بصورة فوق طاقة البشر من الأحكام و البلاغة

و صحة الحكم و انتفاء التناقض و الاختلاف فان البشر اذا أجاد أحدهم في فن من الكلام قصر في غيره .

(افلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .)

اثر القرآن الكريم فى اللغة و الأدب

القرآن قرآن بمجموع الفاظه و معانيه . و التعبير عن معانيه بالفاظ غير الفاظه يخرجه عن صورته التى نزل بها . و اعجز البشر محاكاتها فى فصاحتها و بلاغتها . لذلك عنى المسلمون بحفظه جد العناية و قرءوه بلغة قريش المنزل بها ، فكان ذلك بمثابة تصديق لقوله تعالى ، « انا نحن نزلنا الذكر و اناله لحافظون »

و كان لحفظه قائما بصورته طوال تلك القرون الخالية اثر عظيم عاد على اللغة العربية و ادبها بفوائد شتى .

فاما آثاره فى اللغة العربية الفصيحة فمنها :

(١) خلودها و حفظها من الانقراض كما انقرض غيرها من اللغات القديمة التى تعد الآن من اللغات الاثرية .

(٢) و منها توحيد لهجاتها فى لهجة قريش أفصح اللهجات العربية فكان من ذلك التئام لصدوعها ، و جمع لشتيت قبائلها فى لغة العبادة و القرأة و الكتابة لغة القرآن .

(٣) و منها توسيع نطاقها بالتوسع فى استعمال بعض الفاظها لتتسع

للمعانى الدينية و الفقهية ، مما سمى بالألفاظ الاسلامية : كلفظ المؤمن و الكافر و المنافق و الصلاة و الصوم و الزكاة و نحو ذلك ·

(٤) و منها تهذيبه الفاظها و أساليبها ، و ذلك بكثرة ترديد المسلمين لآياته على السنتهم فى الصلاة و العبادة ، و طول درسهم له و تفهمهم اياه و استنباط أحكام دينهم و شريعتهم منه ، فنشاء من ذلك هجر كثير من الألفاظ الحوشية و المعيبة و استبدل بها الفاظ القرآن العذبة السائغة ، و عدل عن الاساليب ، فاضطروا الى هجر لغتهم الاصلية و تعلم العربية للتفاهم مع اوليائهم من العرب ، و تفهم القرآن و السنة لأخذ أحكام دينهم و معاملتهم بهما ·

و اما آثاره فى الأدب العربى فمنها :

(١) ان شدة حرص المسلمين على تفهم القرآن من حيث معرفة الفاظه و الوقوف على معانيها الوضعية و المجازية و أساليبه المختلفة و كناياته الدقيقة حملتهم بل فرضت عليهم تتبع الفاظ اللغة العربية الفصيحة من العرب الموثوق بخلوص عربيتهم . فكان من ذلك أن تجرد الوف من الرواة يجمعون اللغة و شعرها و حكمها و امثالها و وصاياها و خطبها حتى اسجاع كهانها . فجمعوا من ذلك مئات الكتب و الرسائل ، و تالفت بذلك مادة الادب القديم التى صارت فيما بعد اساسا للاداب الغربية فى موضوعاتها و اغراضها و معانيها و تصوراتها و أخيلتها .

(٢) محاكاة الشعراء و الكتاب و الخطباء لعبارات القرآن فى الفاظه و اساليبه و اقتباسهم اياته فيما يقولون و استشهادهم بها فى وعظهم

و محاورتهم و جدلهم حتى اشترط كثير من ائمـــة الدين ايراد بعض آى القرآن فى خطب الجمع ، و يرى المتتبع لشعر المخضرمين فى أول الاسلام كحسان و ابى قيس صرمة و كعب بن مالك و الحارث ابن عبد المطلب و لشعر الاسلاميين كثيرا من الفاظ القرآن و اساليبه و كناياته و تشبيهاته ·

(٣) تخليده صور البيان الرائع و الاساليب البديعة التى استخرجها بعد الأدباء منه و سموها المحسنات البديعية ·

(٤) ان اتيانه بكثير من القصص المسوقة للعبرة و الذكرى كقصص الأنبياء و بعض الملوك كان من أهم الاسباب التى حملت المسلمين على درس تاريخ العرب البائدة و الامم القديمـــة السامية و غير السامية ، مما جعل التاريخ العربى ذا فنون و شعب كثيرة العدد و المباحث و جعله من اجمل كتب الأدب العربى ·

(٥) إحداثه لكثير من العلوم اللغوية و الادبية و الشرعية التى أكسبت الاداب العربية فراهة و عظما ·

الاحاديث النبوية و اثرها فى ترقية الادب

كان رسول الله ﷺ افصح العرب لهجة . و ابلغهم حجة . و اعذبهم كلما . و اغزرهم حكما ، و أوجزهم عبارة . و اعلمهم بلغات قبائل العرب ، و اقدرهم على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها

فلا جرم أن يكون الماثور عنه من الحديث صفوة اللغة و حلية

البيان بعد القرآن يقتبس الاديب من لفظه ، و ينتفع البليغ بصوغه و يستمد مفسر القرآن من اثره ، و يستكمل الفقيه الاحكام الشرعية من نصه . و يشيد اللغوى صرحا للغة من كلمه ، و يستظهر الحكيم بحكمته إذ كان صلوات الله عليه لا ينطق بلغو ، و لا يقصد الى غير توضيح قرآن ، أو تقرير شرع ، أو هداية الى حق ، أو تنفير من شر ، أو حكمة ينتفع بها الناس فى أمور دينهم و دنياهم ، و لم يدون اصحابه رض احاديثه من ساعة نطقه بها خشية أن يختلط على عامة المسلمين المروى منها بالمروى من القرآن ، و لكن من أمن منهم على نفسه ذلك الاشتباه كان يقيد بعضه بالكتابة به لنفسه : إما بلفظه ، و اما بقريب منه

و للرسول من مجاز اللغة كلمات لم يسبق اليها ، منها قوله عند احتدام الحرب (الآن حمى الوطيس) و قوله فى الأهلية للحرب (يا خليل الله اركبى) و قوله (مات حتف انفه) و قوله (هذا يوم له ما بعده) و له من جوامع الكلم ما يعلو صداء النفس ، و يشرح ضيق الصدر فراجع بعض ما تيسر ذكره فى (المنتخب) ·

(تاريخ الأدب العربى)

الدعاء المستجاب

عن انس بن مالك قال : (أصابت الناس سنة ، على عهد رسول الله ﷺ ، فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام اعرابى فقال : يا رسول الله ﷺ ، هلك المال ، و جاع العيال ، فادع الله لنا أن يسقينا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه و ما فى السماء قزعة (١) قال : فثار سحاب امثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر (٢) على لحيته ، ! قال : فمطرنا يومنا ذلك ، و فى الغد ، و من بعد الغد ، و الذى يليه ، الى الجمعة الاخرى . فقام ذلك الاعرابى ، او رجل غيره ، فقال : رسول الله ﷺ ، تهدم البناء . و غرق المال . فادع الله لنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه و قال : « اللهم حوالينا و لا علينا » (٣) . قال : فما جعل رسول الله ﷺ يشير بيديه الى ناحية من السماء الا تفرجت (٤) ، حتى صارت المدينة فى مثل الجوبة (٥) ! حتى سال الوادى شهرا ! قال : فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود (٦)

---

(١) القزع ، القطع من السحاب المتفرقة ، الواحدة قزعة (٢) يتحادر : يتساقط . (٣) « حوالينا و لا علينا » : اجعل المطر ينزل فيما حولنا و لا ينزل علينا ، اى ابعد المطر عنا . (٤) اى انقشع السحاب و ظهرت السماء . (٥) الجوبة : الحفرة و فجوة ما بين البيوت أو المكان الواطى . (٦) الجود : المطر الغزير الذى لا مطر فوقه .

بسم الله الرحمن الرحيم

روائع الحكم

من افادات الشيخ الحاج امداد الله المهاجر المكى (١)

اعداد و تعريب : محمد عثمان المنصور بورى

المدرس بالمدرسة الاسلامية بكيا بيهار

اعتقاد المريد فى مرشده افضليته :

قال الشيخ رح : على المريد أن يعتقد فى شيخه أنه ليس احد من الاولياء الاحياء انفع لى منه بطلى و جدى .

ف : فيه توضيح للمسألة المشهورة أنه لا بد للمريد أن يعتقد فى شيخه ومرشده افضليته من جميع الاولياء ، و على هذا العنوان المعروف ترد عدة اعتراضات :

---

(١) ان الشيخ رح لم يتدرس العلوم رسميا و لم يتلقها على ايدى العلماء الا نبذة يسيرة ، و انما منحه الله من لدنه نصيبا وافرا من العلوم مما فاق به اقرانه و معاصريه ، فاستفاد منه العلماء الكبار ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الأول : أن لفظة « الاولياء » تتناول المتقدمين من اولياء الله تعالى و صحابة الرسول ﷺ و أهل بيته عليه السلام . و هم أفضل الأمة ، فكيف يصح هذا الاعتقاد ؟

الثاني: و ان صرف النظر عن المتقدمين ، و أريد بالأولياء الأولياء الحاليون المعاصرون له فقط فايضا لامساغ لجواز هذا الاعتقاد ، إذ الافضلية تبتنى على القبولية عند الله تعالى ، و هذا أمر غيبى ، فلا يعلم الا الله من هو اكثر قبولية و اعظم رتبة عنده تعالى ، إذاً لا يجوز الحكم بافضلية شيخه بالرأى و القياس . فكيف يصح اعتقاد أن فلانا من الاولياء أكثر قبولية و أفضل من غيره ، و مثل هذا الاعتقاد الخاطئ كيف يكون شرطا للوصول الى الله تعالى ؟ فاحدث الشيخ رحمه الله بعض التغيرات فى التعبير السابق لهذه المسألة التصوفية . فقيد لفظة « الاولياء » بالأحياء ، و بدل لفظة « افضل » « بانفع » ، و زاد كلمة « بطلبى وجدى » إشارة إلى أن المراد بالنفى ليس نفيا واقعيا ، بل نفى حصول النفع من غير مرشده حسب طلبه وجده . فاندفعت جميع الايرادات و صارت المسألة منقحة لا غبار عليها . و فيه دليل على عمق علم الشيخ و مجدديته لهذا الفن .

تحقيق فريد :

قد قال الشيخ المهاجر رح : « رياء الشيخ المرشد خير من اخلاص المريد »

و ايضاح هذه المقولة ، أن المرشد أن اختار عملا ليراه مريدوه

و اتباعه و يعلموا به طريق الرياضة الروحية و التعبد لله تعالى فهو يوهم بذلك أنه اذا كان يعبد الله هكذا مع كماله فلا شك أن اتباعه الناشئين و الناقصين أولى منه بذلك العمل الرياضى و التعبد لله على ذلك المنهج. فكانه رياء صورة و مجازا ، و تعليم عمـــلى حقيقة و باطنا كما ورد فى الأحاديث المتعددة أن النبى ﷺ و اصحابه رض قالوا بعد الفراغ من الوضوء انا فعلنا ذلك لتتبعوا انتم و لنريكم سنة الرسول عليه الصلوة والسلام فى ذلك . و ايضا نفعه متعد فينتفع بذلك العمل المترائى أفراد كثيرون لذلك جعله الشيخ أفضل من عمل المريد الخفى الخالص صورة و معنى فان نفعه لازم لا يتعدى نفسه الى الآخرين و فيه تلميح ايضا الى أن الشيخ (المرشد الكامل) ان كان بعض اعماله موهما للرياء ظاهرا فلا ينبغى لاتباعه أن يسيؤا به الظن ، فانه ربمـا تكون فيه مصلحة و حكمة لا يطلعـــون عليها .

انمـا الأعمال بالنيات :

روى رجل كبير من مريدى الشيخ أنه كان جالسا فى حضرة الشيخ المهاجر رحمه الله . بعد لحظات قال للشيخ انا ذاهب من هنا كى لا يقع الخلل فى عبادتكم . فقال الشيخ : « اليس التحدث مع الأحباء عبادة ؟ » و هكذا اتفق له مرة أخرى أنه وصـــل اليه فاذا هو بخلوة يناجى ربه عز و جل ، فقال معتذراً الى الشيخ : أن هذا الوقت وقت الخلوة لم يكن من الملائم أن احضر فى مثل هذا الوقت الا أن شدة الاشتياق جرتنى اليكم . فاجاب الشيخ قائلا : أن الخلوة من الأغيار لا من الأحباب

و قال : اخی ! « أن مجالسة طالبی الحق لا تخل بالخلوة »

الایضاح : قد نبه الشیخ الجلیل فی قوله الأول الموجز علی مسألة مهمة هی أن الافعال المباحة للکاملین لصدورها عن صدق النیة و خلوص الطویة تصیر عبادة حسب قول النبی ﷺ « انما الاعمال بالنیات » ـ و ما أحسن ما قاله العارف الرومی : لا تقس افعال الکاملین علی افعالك فانها و ان تشابهت صورة تختلف اختلافا جوهریا فی الحقیقة ، و قد کان النبی عند مجالسة أصحابه یسمع منهم الأقوال و الحکایات المباحة و یتبسم لها :

و فی قوله الثانی اشارة الی أن الخلوة لیست مقصودة لذاتها فان الغرض الأصلی منها هو التوجه التام الی الحق سبحانه و تقدس ، و لکن الناشیء فی هذا المجال لا یتیسر له ذلك الا بها . و هکذا مصاحبة غیر الجنس مخـــلة بها فیؤمر بالاختلا عنه فتکون هذه الخلوة مقصودة تبعـا و بالعرض ، فاذا جاء طالب حـق و دار ذکره حصل مقصود الخـلوة فی الجلوة بل اکثر منها . و هذا الایضاح یتطابق مع ما ورد فی الحدیث النبوی حیث قال ﷺ : « الجلیس الصالح خیر من الوحدة و الوحدة خیر من جلیس السوء » .

تفسیر لطیف .

قال الشیخ رح ذات مرة مخاطبا لا ولی العلم : أنه ورد فی القرآن الـکریم « و ما خلقت الجن و الانس إلا لیعبدون » لمـاذا خص الله الأنس و الجن من بین سائر مخلوقاته بوصف العبادة فی بیان الغرض من

خلقهما مع أن جميعها مشغولة بعبادتها و تسبيحها ؟ فلم يستطع احد الاجابة الشافية على هذا السؤال ، فاجاب الشيخ بنفسه قائلا :

العبادة هنا صيرورة المرء عبدا ، و شأن العبد أنه لا تذ ين وظائفه و واجباته فى وقت يستخدمه مولاه فى رفع المحبرة و محفظة الاورق مثلا و فى وقت يستخدم هو نفسه لقضاء حاجاته الطبيعية بخلاف الاجير و الموظف فان وظيفته و خدمته معينة من قبل سيده فى الغالب . فعبادة سائر المخلوقات سوى الجن و الانس معينة بالنوع و الشكل من قبل الله تعالى فشغل بعضها بالتسبيح و بعضها بالقيام و بعضها بالسجود و ما الى ذلك . و اما الجن و الانس فلعبادتهما طرق متعددة بل غير محصورة ، تارة تكون الصلوة لهم عبادة . و تارة قضاء الحاجة الطبيعية يكون عبادة لهم اذا كانت هى مخلة بطمانينة القلب فى الصلوة . و هكذا يكون النوم عبادة لهم فى وقت آخر ، فشانهما غير شأن المخلوقات الآخر . لذلك خصهم بوصف العبادة فى قوله « ليعبدون » ؟

داء الحرص

(لأبى العتاهية)

الحرص داء قـد أضـ ـر بمن ترى الا قليـلا

كم من عزيز قـد رأيـ ـت الحرص صبحه ذليلا

فتجنب الشهوات و احـ ـذر ان تكون لهـا قتيلا

فـلرب شهـوة ساعـة قد أورثت حزنا طـويلا

من لم يكن لك منصفا فى الود فابغ به بديلا

و لقـلما تلـقى اللئيـ ـم عليك الا مستطيـلا

و عليـك نفسك فارعتها و اكسب لها فعلا جميلا

و المرء ان عرف الجميـ ـل وجدته يبغى الجميـلا

الحياة الاجتماعية فى الاسلام

الحكيم محمد كامل بحر العلومى
برابهاتك فرنجى محل
لكهنؤ ٣

• • •

المتقون هداهم الرحمن من قرآنه ۔ فتلألأت أرواحهم ، شكرا على احسانه
إنبث نور هداية فى الكون من آياته ۔ كالشمس اشرقت الدجى كالبدر فى لمعانه
وسحاب سقى هداية يسقى القلوب بمطره ۔ أوغيث رحمة خالق فى الفيض من هطلانه
امر الاله بوحدة ، للسلمين جميعهم ۔ فهداهم القرآن من آياته برهانه
فبوحدة الاسلام ، يربط مسلمون نفوسهم ۔ كمثال حائط صخرة ، الرص فى بنيانه
وبط الذين نفوسهم بروابط الاسلام فالله ۔ له يغفر ذنبهم ، بعطوفه و حنانه

أما الرسول محمد . فالمسلمون بعصره   كانوا يحبون الآخر ، من صحبه اعوانه
وكذاك أنصار المدينة اصبحوا لمهاجر   اخوانه أنصاره ، اذ جاء من بلدانه
أمر الرسول محمد ، باخوة و بوحدة   فأطاع كل منهم بفؤاده و جنانه
للحج يجتمع الرجال بمكة كل السنة   فهناك يأتى مسلم من مصره ، ايرانه
من هنده من نجده . من صينه ، كشميره   من قطره و يمانه ، من ارض باكستانه
من عجمه . من رومه ، اغريقه ومراكش   من قدسه و عراقه ، من سوريا . لبنانه
من ليبيا ، من حبشة . من تركيا ، انجلترا   من روسيا ، المانه ، يابانه ، سودانه
هو يغترب عن سهله ، عن وعره و جباله   عن قصره ، عن كوخه ، للحج عن أوطانه
بطريقه ، هو يهرع بمطية أو راجلا   أو يبحر بسفينة ، و البحر فى هيجانه
أو يقطع الأجواء فوق الطائرات معلقا   بين الأراضى و السما كالطير فى طيرانه
فيجئ فى أم القرى . من بعد ، يأتى فى منى   فى ثامن ذى حجة ، فى غاية استحسانه
قد يغتدى فى تاسع ذى حجة ، حتى يصل   بين الخيم « عرفة » ، متطلبا لأمانه
يقف هناك الى الغروب ، برحمة وجماعة   فنرام مغفرة الاله ، عليه فى فيضانه
بعناية الملك المعظم فيصل ، يرتاح كـ   ـل منهم ، يدعو له مترنما بلسانه

* * *

ظلامة و انصاف :
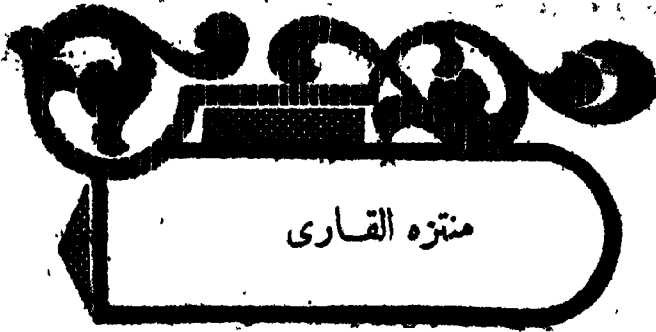
روی أن رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة فأتی الی المنصور فقال : اصلحك الله يا أمير المؤمنين ، اأذكر لك حاجتی ام اضرب لك قبلها مثلا ؟ فقال : بل اضرب المثل ، فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر يكرهه فانما يفزع الى أمه ، اذ لا يعرف غيرها ، و ظنا منه ان لا ناصر له غيرها ، فاذا ترعرع و اشتد كان فراره الى ابيه ، فاذا بلغ و صار رجلا و حدث به أمر شكاه الى الوالی لعلمه أنه أقوى من أبيه ، فاذا زاد عقله شكاه الى السلطان لعلمه أنه أقوى من سواه ، فاذا لم ينصفه شكاه الى الله تعالى ، لعلمه أنه أقوى من السلطان .

و قد نزلت بي نازلة ، و ليس أحد فوقك أقوى منك الا الله ، فان انصفتني ، و الا رفعت امري الى الله ، فاني متوجه الى بيته و حرمه ، فقال المنصور : بل ننصفك ، و أمر ان يكتب الى واليه برد ضيعته .

* * *

• هــذا بذاك

كانت العداوة راسخة بين طبيب الاسنان و بين صاحب المطعم الذي يقع مطعمه في « الطابق » الأول من البناء ، و علق ذات يوم صاحب المطعم على باب محله الاعلان التالي :

أن طعامنا المكفول بالزبدة الطازجة لذيذ الطعم سهل الهضم ، حتى لأولئك الذين يشرف على اسنانهم الطبيب المجاور ، و عرف الطبيب بامر الاعلان ، و سرعان ما علق على باب عيادته الاعلان التالي :

ان الاسنان الاصطناعية التي نصنعها قوية متينة ، يمكن لأي كان أن يستعملها دون أن يخشى قسوة اللحم الذي يقدم في المطعم المجاور .

* * *

• مثــل عليـا

جرى بين الامام الحسين بن علــي ، و بين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهم كلام ، فانصرفا متغاضبين ، فلما وصل محمد الى منزله أخذ رقعة و كتب فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد بن على بن أبى طالب : الى أخيه الحسين بن على بن أبى طالب . أما بعد : فان لك شرفا لا ابلغه ، و فضلا لا ادركه ، فاذا قرأت رقعتى هذه فالبس رداءك و نعليك . و سرا لى فترضنى ، و اياك ان أكون سابقك الى الفضل الذي أنت اولى به منى . و السلام .

فلما قرأ الحسين رض الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى أخيه محمد فترضاه.

★ ★ ★

• كم مضى من عمرك ؟

قال رجل لهشام القرطبي ، كم تعد ؟ قال: من واحد الى الف الف و اكثر . قال : لم ارد هذا . كم تعد من السن ؟ قال : اثنين و ثلاثين سنا ، قال : عشر من اعلى و ستة عشر من أسفل . قال : لم ارد هذا ، كم لك من السنين ؟ قال : و الله ليس لى منها شئ و السنون كلها لله ، قال : يا هذا : ما سنك ؟ قال : عظم ، قال ابن لى أبن كم أنت ؟ قال: اثنين رجل و امرأة ، قال : كم اتى عليك ؟ قال : لو اتى على شئ قتلنى قال : كيف اقول ؟ قال : تقول : « كم مضى عن عمرك »

★ ★ ★

• واحدة بواحـــدة

الطبيب لجاره الحلوانى : لماذا كلما جاء أحد الى عيادتى تقول له :

آنى لست موجوداً ؟

الحلواني: و لماذا كلما جاءك مريض تقول له أن يمتنع عن اكل الحلوى ؟

● ● ●

• الجـارية الشاعرة

أمر المتوكل « بشارا » الشاعران يختبر جارية زعمت أنها تنظم الشعر فقال لها : أتقرضين الشعر ؟ . قالت نعم : قال بشار : احمد الله كثيراً ، قالت الجارية : حيث انشاك ضريراً !

● ● ●

• انتحر بهـــذا ،

أوقف ضابط المرور سيارة كانت تسير بسرعة جنونيه و يقودها فتى مراهق ، ثم أخرج مسدسه و قدمه الى الفتى السائق و قال له : تفضل خذ هذا . فانه اسرع و أسهل لك فى الانتحار ·

● ● ●

• اخلاق الناس

قال سعيد بن اسماعيل الخيرى : « الناس على اخلاقهم حتى يخالف هواهم : فاذا خولف هواهم ، بان ذوو الاخلاق الكريمة من ذوى الاخلاق اللئيمة منهم » و سئل اعرابى عن العاقل : متى يعرف ؟ فقال : اذا نهاك عقلك عما لا ينبغى فانت عاقل ·

فى الثامن و العشرين من سبتمبر الماضى الموافق السابع و العشرين من رجب وجئ العالم و الأمة العربية خاصة بوفاة القائد المغوار و الزعيم المقدام المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة أثر نوبة قلبية حادة أصيب بها بعد انتهاء آخر مراسم مؤتمر القمة العربى الطارى للملوك و رؤساء الدول العربية الذى انعقد فى القاهرة ،

و كانت وفاته كارثة إليمة تفجعت لها قلوب العرب و المسلمين و بكت عليه عشرات الملايين من العيون و ذرفت دموعا من الدماء علـى الفقيد العظيم الذى كان وحيد عصره فى قيادة قافلة الحرية و فريد دهره فى مقاومة الاستعمار الذى شاء و حاول جهده فى كل زمان و مكان أن يقضى عـلى شخصية المسلم و شوكة الاسلام و يفت فى عضده و ينخر جسمه متظاهراً بالوان من الود و الصداقة ·

فاقض الراحل مضجع اعداءه و نهض بشعبه و تفانى فى بناء حياته

و استمر جاع مجده و كافح لمبادئه و للنهوض بالأمة العربية كفاحا مريرا حتى فارق الدنيا و هو تارك وراءه مجموعة اعمال خالدة و بطولات منقطعة النظير.

و حسبه انه فتح فى التاريخ بابا جديداً للصمود امام الطاغى و النهوض بالضعيف و الخدمة للوطن و الأمة و الانسانية جمعاء. تغمده الله بغفرانه و جعل خدماته التى اداها فى مجال الدين من نشر مجموعات قيمة و أبحاث و دراسات مسهبة عن الدين الاسلامى بتاسيس المجلس الأعلى للشؤن الاسلامية و ادارة البحوث الاسلامية و نشر القرآن الحكيم و وقايته من التحريف على أيدى الأعداء اليهود و النصارى ـ زادا لآخرته و سببا لغفرانه.. و عوض الأمة العربية و كذا الشعب المصرى المسلم عن الراحل من ياخذ بيدها و يقودها الى ما فيه مجدها و خيرها.

و ادارة دعوة الحق اذ تقدم عزائها الى أسرة الراحل العظيم و الجمهورية العربية المتحده حكومة و شعبا ، تتمنى للجميع السداد و الموفقية فى مشاريع الحياة بالسير فى ظلال الاسلام و هدى رسوله صلوات الله عليه وسلامه.

انباء عن دار العلوم

ہ ہ ہ

ہ زار الدار كثير من الضيوف الواردين من مختلف الطبقات و الأنحاء و الأقطار فی الفترة الماضية ، و فی الثانی من سبتمبر وصل من دهلی أحد رجال الدين فی أمارة « دبی » سماحة الأستاذ الشيخ محمد علی ابن الشيخ سلطان العلماء عبد الرحمن مدير المعهد الاسلامی و أستاذ العلوم الاسلامية هناك . و اجتمع فی مكتب صاحب الفضيلة حضرة المدير بكبار العلماء فی الدار و بعض أصحاب الفضيلة أعضاء مجلس الشوری الشيخ محمد منظور النعمانی و الشيخ القاضی زين العابدين و الشيخ الغازی حامد الأنصاری ، و قد تجول الضيف المحترم فی بنايات الدار و اطلع علی النظام التعليمی و الاداری فيها بالتفاصيل اللازمة كما تحدث فی كثير من الموضوعات الدينية و أظهر غاية سروره و اعجابه باعمال الدار، و بعد ان قضی بضع ساعات ممتعة فی الدار غادرها الی دهلی قبيل العصر .

ہ قام صاحب الفضيلة مولانا الشيخ محمد طيب مدير الدار فی العاشر

من أغسطس برحلة ثقافية الى أفريقا الشرقية و منها الى القاهرة و منها الى المملكة العربية السعودية فادى فيها مناسك العمرة ، ثم عاد عن طريق باكستان الى ديوبند بالسلامة و قد القى فى رحلته هذه مواعظ دينية فى كثير من الحفلات الدينية .و اللقاءات الشخصية و كان سفره نافعا كسائر أسفاره فى مجال الدعوة و الارشاد ، و توطيد العلاقات بين دار العلوم و المعاهد الدينية و الشخصيات الاسلامية .

• حفلة تابين

فور وصول نبأ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر الى الدار فى صباح ٢٩ سبتمبر الماضى اعلن التعطيل فى جميع أقسام الدار الادارية و التعليمية و أوقف الامتحان السنوى الذى قد بدأ فى ذلك الوقت ليوم واحد و اقيمت حفلة عامة عزائية بعد ختمة الكلمة الطيبة لأيصال الثواب و الدعاء للمغفرة ، شارك فيها الاساتذة و المدرسون و الطلبة و الموظفون و أظهر سماحة الأستاذ مولانا الشيخ فخر الحسن نائب رئيس هيئة التدريس اسفه و حزنه على ما الم بالأمة الاسلامية عامة و الأمة العربية خاصة من كارثة اليمة و خسارة فارحة بوفاة البطل الجليل و الزعيم الكبير جمال عبد الناصر الذى لا تزال خدماته فى شتى المجالات صفحة مشرقة فى تاريخ البطولات و الامجاد .

و أخيراً دعا الجميع المولى القدير أن يشمل الفقيد بغفرانه ويلهم ذويه من أسرته و حكومته و شعبه الصبر و السلوان .

احتفال النادى الأدبى

لطلبة اللغة العربية بدار العلوم

• • •

عقدت حفلة عامة سنوية للنادى الادبى فى الخامس عشر من شعبان الماضى فى قاعة المحاضرات الواسعة على نطاق كبير تحت رئاسة سيادة الأستاذ الكبير الشيخ سعيد احمد الاكبر آبادى عضو مجلس الشورى للدار و رئيس القسم الاسلامى بجامعة على گڈه ، و قد كان برنامج الاحتفال كله منوعا مركزا علميا قدمه طلبة الصف العربى و اعضاء النادى الأدبى باللغة العربية و اظهروا مقدرتهم و كفاءتهم فى اللغة العربية و حرصهم على تعلمها و اتقانها نطقا و كتابة . فسر الحاضرون من الاساتذة و الطلبة و الضيوف بنشاط الطلبة فى خدمة اللغة العربية سرورا ملحوسا ، و اثنى عليهم حضرة نائب المدير سماحة الاستاذ معراج الحق كما اشاد أخيرا فى خطبة الرئاسة سيادة الاستاذ الكبير الشيخ سعيد احمد الاكبر آبادى بنشاط الطلبة فى مجال اللغة و الأدب العربى و خدمات النادى الادبى و الصف العربى و شجع الطلبة و دعاهم الى مضاعفة جهودهم فى المجال اللغوى و العلمى و الدينى ، و قد كان من جملة الضيوف الذين حضروا الاحتفال من يجدر بالذكر هوفضيلة الشيخ مولانا محمد منظور النعمانى

عضـــو مجـــلس الشورى للدار و المشرف على تحرير مجلة الفرقان الآردوية ، و قد سر فضيلته بعقيـدرة الطلبة فى اللغة العربية و أظهر طمانينته و اعجابه بخدمات الصف العربى فى الدار .

و أخيرا اختتم الاحتفال بكلمة دعائية لفضيلة الشيخ مولانا المفتى نظام الدين المحترم فى الساعة الواحدة ليلا فى جو من الثناء و الاعجاب و التقدير . فلله الحمد على ذلك .

• الأمتحان السنوى

بدأ الامتحان السنوى شفويا فى اقسام الدار التعليمية بما فيها الكلية الطبية من السادس و العشرين (رجب) و تحريريا من الثالث من شعبان و دام الى السابع عشر متواصلا . بنظام ثابت و انتهى بالصورة المرضية ، و ستعلن نتائج الامتحان فى العام الدراسى القادم الذى يبتدى من شهر شوال المعظم .

• انعقدت الدورة الثانية لمجلس الشورى بدار العلوم حضر اجتماعاتها اكثر اصحاب الفضيلة الاعضاء ، و دامت الجلسات صباح مساء ثلاثة ايام و نصف و قد اتخذت فيها عدة قرارات هامة بشأن تعديل المنهج الدراسى المتبع الآن فى الدار ، و سيجرى تنفيذ القرار من العام الجديد انشاء الله تعالى .

تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم ديوبند كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير المسؤل

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

العدد الاول ـ المجلد السابع

ذو الحجة سنة ١٣٩٠هـ

فبروری سنة ١٩٧١م

الاشتراك السنوى

فى الهند و باكستان ست روبيات

فى الخارج ما يعادلها عدا اجرة البريد

محتويات هذا العدد

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٦ روبيات فى باكستان إلى العنوان التالى :

الحاج شوكت على يو ، پى سوڈا فيكٹرى ناتھ روڈ ـ لاهور

ملحوظة : يرسل إيصاله إلينا بعد تحويل المبلغ على البريد

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

* * *

حمدا و صلوة :

ان الضمير إستعداد فى النفس لادراك الطيب و الخبيث من الأفعال و الأقوال و الأفكار و التميز بينها ، و هو كذا قوة فى نفس الإنسان تراقب اعماله و اقواله و سلوكه ، بدقة ، و تحافظ على شرفه و كرم ذاته و نبل اهدافه ·

و قد انعم الله على الانسان بهذه القوة العجيبة التى لا تحيط بحقيقتها حواسنا و يستعصى عليها ادراكها ، و لكنها مع خفاء حقيقتها معلومـــة بشكل و بقدر ما بداهة . و هذه منحة الهية خص بها الانسان دون سائر المخلوقات . فبها يتميز الانسان من الحيوان ، و لولاه لكان الانسان شيئا غير ما عهدناه .

فالضمير آلة فى الهيكل الانسانى تعين له اتجاهه فى السير ، و تريه الخط المستقيم و الصراط السوى فى سلوكه العام و الخاص ، و تكشف له انحرافه و اعوجاجه ، و تنبهه على خطأ يرتكبه أو يحاول ارتكابه فى افعاله و تصرفاته ، وبسلامتها تستقيم الافعال و الاقوال و تسموا الاخلاق و تدنو المقاصد ، و بفسادها يهوى الانسان الى المعاطب و المهالك .

* * *

اذا مات ضمير الانسان أو نام فيغفل عن اغراضه النبيلة ، و يذهب مذاهب غير مواتية لما جبل عليه و يتجه اتجاهات تؤدى به الى هدم معنويته و شخصيته فيتجرد عن قيمه الذاتية و الملية و يصبح مخلوقا تأبى الانسانية ان تعطيه اسما من اسمائها لفقده جوهرة الانسانية الغالية . و هذا الانسان الذى مات ضميره أو نام أو بيع فى سوق الاجانب يتسابق الى كل ما لذ و طاب غير مميز بين النافع و الضار ، و الفاسد و الصالح و الحق و الباطل .

* * *

ان تربية الضمير مهمة تحتاج الى تعليمات يوحى بها الخالق عز و جل و يبعث بها بواسطة انبيائه و رسله ، فانه هو الذى اودع جسد الانسان هذه الآلة الدقيقة و هو الذى يعرف دقائق صنعه و مواضع

خلاله و اسباب عطبه ، فلن يمكن احياء الضمير الميت أو علاج سقيمه او تنشيط فاتره أو ايقاظ نائمه الا بطرق املاها علينا الخالق عز وجل و لذلك تهتم الشرائع السماوية قبل كل شئ بتطهير الضمائر و تربيتها تربية مثالية يترفع بها الانسان من الحضيض الى ذرى الشرف و العظمة الانسانية الحقـــة .

● ● ●

الاسلام دين الاديان و خلاصتها ، جاء فى اكمل صورة و باوسع نظام و باعظم كتاب يفتح للانسانية آفاقا جديدة من النور من وراء ظلمات بعضها فوق بعض . و قد نادى افراد الانسانية متمثلا فى قول الله تعالى : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منهـا زوجهـا و بث منهما رجالا كثيرا و نساءاً ، و اتقوا الله الذى تساءلون به و الارحام ان الله كان عليكم رقيبا »

فليس الاتقاء لا نتيجة طهارة الضمير و يقظته و ليس الضمير الحى اليقظ الا مظهرا من مظاهر التقوى . فان اصحاب الضمائر الميتة هم الذين يتناسون الحق أو ينسون و يندفعون وراء الباطل . فلا يهتدون الى طرق الحق و الهداية ما دام ضميرهم ميتا ، و لا يثبتون على الحق ما لم يكن ضميرهم فى منتهى النزاهة و اليقظة .

فالاسلام فى جميع تعليماته و توجيهاته و احكامه و قوانينه يعير تربية الضمير اهمية بالغة أولية ، فلا يامر مثلا باداء الزكوة من وجبت

عليه الا بعد ان يربی فيه عاطفة الانفاق فی سبيل الله ، و لا ينهی المغتاب عن الغيبة او الزانی عن الزنا الا بعد ان يغرس فی نفسه كره ذلك و يربی فيه عاطفة النفور من السيئات ، فتنشأ فی النفس قوة دافعة الی الحق و الخير ، رادعة عن الشر و الباطل بما فيه من مراتب و درجات و احوال .

● ● ●

فالذی اشرأبت نفسه بروح التعليمات الاسلامية ، و اصبح ضميره حيا قويا ، يقظا نشيطا بعد أن تغذی بالافكار الدينية و العواطف السامية الروحية الملهمة من الله عز و جل لا يخون صاحبه فيما اذا اعتراه مايباين فطرته و يضاد شخصيته الفردية و الاجتماعية ، فيصونه من كل خلل يتطرق الی نفسه من ابواب الشر و الباطل ، و يحافظ علی شرفه و يحرسه حراسة دقيقة فی افعاله و أقواله و أفكاره ، فلا يسير الا سيرا مستقيما مضمونا بالوصول الی الغاية الشريفة و الهدف النبيل .

● ● ●

أن نزاهة الضمير مظهر من مظاهرالتقوی و التدين الذين بهما تخضع النفس للطاعات و يتجه نحو السلوك الحسن و تترفع عن العصيان و ارتكاب الفواحش و المنكرات ، و صاحب الضمير الحی النزيه هو الذی يكون رجلا مثاليا فی تصرفاته و اطوار حياته ، فانه لا يتباعد عن الاثم

و الجريمة ـ مهما كان نوعها ـ مخافة عقاب سريع من القوة الحاكمة ، و انما يتخلف عنها خوفا من الله الذى لا تخفى عليه خافية وهو رقيب عليه كل آن ـــ و ان أمن من لوم الناس اياه أو مؤاخذة انسان اقوى منه ـــ لأن القوة الرادعة ساهرة فى نفسه على تصرفاته . تراقبه بدقة و تحفظه بامانة ، فلا تدعه يجرء على ارتكاب ما نهى عنه .

و اما الذى يكون ضميره ميتا ، ان امن من اطلاع غيره عـــلى اثمـــه فيرتكبه غير مكترث بان ما ياتيه اثم و جريمـة فانه مامون فى اعتقاده من لوم انسان مثله او مؤاخذة انسان اقوى منه .

● ● ●

ان المسلمين الذين قدموا للعالم قدوة حسنة و رفعوا شأنهم و شأن امتهم و دينهم و بلادهم . و تبوؤا مكان الصدارة بين امم العالم ، و ساروا فى الارض قادة و هداة ، كانوا اصحاب الضمائر الحية اليقظة الطاهرة كانت فيهم حمية دينية و غيرة ملية ، لم تأذن لهم ضمائرهم بان يتخلوا أو يتنازلوا عن ذرة واحدة مما تتكامل به شخصيتهم الاسلامية و اما مسلمو اليوم فارخص شئ فى سوقهم هو الضمير ، فاكثريتهم مـــن أصحاب الضمائر الميتة أو المبيعة فى سوق الاجانب بارخص الاثمـان و ربمـا بلا ثمن . فمـاذا نرجو من هؤلاء ؟ ؟ ؟

فهل من مصلح لهولاء ؟ ، هل من مصلح يحى الضمائر الميتة ؟ هل من رجل يوقظ الضمائر النائمة ، هل من رجل يستعيد ضمائرهم المبيعة ؟

تقدموا ايها المصلحون و ابدؤا اصلاحكم بما بدأ به الاسلام و رسول الاسلام صلوات الله عليه و استنيروا بقول الله تعالى :

و يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما ؟

(وحيد الزمان الكيرانوى)

من افادات درسية لفضيلة الشيخ سماحة الاستاذ مولانا السيد
فخر الدين احمد المحترم رئيس هيئة التدريس في دار العلوم
بديوبند و رئيس جمعية العلماء في الهند
تعريب : محمد منظور عالم الهكاوى

« حدثنا سليمان بن حرب و ابو النعمان قالا حدثنا حماد بن زيد عن
ايوب عن عمرو بن دينار عن جابر قال كان معاذ يصلى مع النبي ﷺ
ثم يأتي قومه فيصلى بهم ؛ رواه البخارى »

هذه المسئلة من دقائق احكام الشريعة ، التي اضطربت فيها آراء
الفحول من العلماء و ذلت فيها اقدام العظماء ، و قبل ان ابدأ في تحقيق
المسئلة و اشرع في تحقيق الادلة اريد ان اوضح حقيقة الفرض و النفل

فاعلموا : ان الفرض مركب من جزئين — ذات الشی من حيث هی هی و وصف الفرضية ، فان انعدم واحد منهما لا يتحقق هناك معنى الفرض مثلا اذاصلى احد ركعتی فرض الفجر و لم ينو وصف الفرضية بان نوى نفس الصلوة فحسب فانها تودی منه نافلة لا فرضا . . . . و اما النفل فهو بسيط فی معناه — ای ذات الصلوة لا بشرط الشی فلا يشترط فيه نية وصف النافلة . فان صلى احد ركعتين نافلة و لم ينو وصف النافلة تودی نافلة بلا مرية ، فعلم من جميع ذلك ان الفرض احيانا يصير نفلا اذا لم يؤد بنية اسقاط الفرضية عن الذمة . فيكون فرضا صوريا و نفلا حقيقيا

—: تفصيل المذاهب :—

اورد البخاری رح هذا الحديث فی صحيحه لاثبات اقتداء المفترض بالمتنفل أی اذا كان الامام متنفلا فی صلاته يجوز الاقتداء به للمفترض ام لا ؟ فی هذه المسئلة مذاهب عديدة للائمة الهداة رحمهم الله ٠

(١) ذهب الامام الشافعی رح و اصحابه الى جوازه و اليه مال الامام الهمام محمد بن اسماعيل البخاری رح ٠

(٢) و قال الامام الاعظم ابو حنيفة النعمان رح و اصحابه كلهم بعدم جوازه ؛

(٣) و تبع الامام الاعظم امام دار الهجرة مالك بن انس رض فی عدم الجواز فی رواية مشهورة عنه .

(٤) هكذا حال الامام احمد بن حنبل فانه ايضا صرح بعدم الجواز

فی المشهور عنه ۔ تمسك الشافعية بحديث معاذ بن جبل المذكور ۔

و قبل ان اكشف الغطاء عن حقيقة المسألة ارى ان امهد عـــدة مقدمات يسهل بها فهم المسئلة على وجه ايسر ۔

كان معاذ رض من قبيلة بنى سلمة و عينه النبی ﷺ اماما لهم ، و كان ممن يقتدى بمعاذ رض عبد الله بن جابر ايضا ، و كل يوم كان معاذ و قومه ياتون المسجد النبوى ليصلوا المغرب خلف النبي ﷺ ثم يرجعون و يرمون النبل و السهم فى طريقهم الى ديارهم بحيث يعرف موضع سقوط النبل و يصلون العشاء بعد ذلك خلف معاذ بن جبل رض كما صرح به الطحاوى رض فى كتابه شرح معانى الآثار و اورد فيه احاديث كثيرة فوق الاحصاء ؛ تنشأ منها احتمالات عديدة تضعف اعتدال المذكور .

(الاول) يمكن ان تكون صلوة معاذ بن حبل رض تطوعا خلف النبي ﷺ و بالقوم فرضا بحيث انه صلى مع النبي ﷺ و لا يريد بصلوته اسقاط الفرضية . و انما كان يدخل معه لتحصيل البركة . و الدليل على ذلك (۱) ان النبي ﷺ جعل معاذا اماما لقومه فكيف يتصور منه ان يخالف امر النبي ﷺ ؟ و لا يؤم القوم (۲) . ان معاذا صلى هناك متبركا و ماكان هنالك نية وصف الفرضية فاديت نفس الصلوة لاالفريضة فان الفريضة متالفة من نية وصف الفريضة و ذات الصلوة من حيث هى هى ﴿ كما مهدته فى المقدمات ﴾ اذن هى نفل حكمى فى صورة الفريضة فكيف يصح الاستدلال بها على المرام ؟

(الثانى) لايمكن الاستدلال بهذا الحديث حتى يتحقق ان النبي ﷺ

لما علم بذلك أقر معاذا عليه و لم ينكر عليه ذلك مع انه قد ثبت أن النبي ﷺ لما علم بذلك انكر عليه بقوله : اما ان تصلى معى و اما ان تخفف على قومك اخرجه احمد مرسلا و كذلك الطحاوى فى معانى الآثار بسند صحيح لا غبار عليه و بسند قوى لا سقم فيه ، فى هذا دليل على ان النبي ﷺ خيره بين أمرين اما الصلوة معه ﷺ و اما الصلوة بقومه و لم يأذن بان يجمع بينهما كما هو ظاهر كلام النبي ﷺ .

(الثالث) و لو سلم ان صلوة معاذ كانت مع رسول الله ﷺ فريضة فمع ذلك يمكن ان تكون حين مشروعية تكرار الفريضة الواحدة و فيه اخرج الطحاوى رض روايات عديدة فى شرح معانى الآثار . و الامام احمد بن حنبل فى مسنده مرسلا و رواتها كلهم ثقات عدا خالد بن ايمن و هو خالد بن عبيد فى مسند احمد فانه نسب فى الاول الى أبيه و فى الثانى الى جده ، فصار خالد بن ايمن بن عبيد ، فعبيد جده فنسب عند احمد إلى جده و عند الطحاوى إلى أبيه أيمن و عبيد كان الزوج الاول لام ايمن ثم نكحت بعد ذلك باسامة فهو اذن من رجال المسند ، و الرواية المذكورة عند الطحاوى فى صلوة الخوف — قال النبي ﷺ لأهل قباء : لا تصلوا صلوة فى يوم مرتين ، و هذا دليل على ان الفريضة كانت تصلى فى زمن مرتين ، فيحتمل ان تكون صلوة معاذ ايضا فى ذلك الوقت . فلم يثبت من صلوة معاذ مع قومه بعد صلوته مع النبي ﷺ انه كان متنفلا و القوم مفترضون .

و مال الحافظ فى فتحه الى تصحيح هذه الرواية فقد ذكر عن

سعيد بن المسيب صدقه .

(الرابع) يمكن أن تكون صلاة معاذ بقومه فى اليوم الثانى على نهج صلوته مع النبى ﷺ فى اليوم الأول فيصدق عليه أنه صلى بقومه الصلوة التى صلاها مع النبى ﷺ على سبيل التوسع فى التشبيهات لأنه كان يراعى فى صلوته بقومه جميع ما كان يرى من النبى ﷺ فى الصلوة معه من تاخير الصلوة و تطويل القراءة و غير ذلك فكانه صلى مع قومه صلوة النبى ﷺ .

و قد قام الحافظ بن حجر من الشافعية رداً على تلك الاحتمالات التى ذكرت آنفا فقال :— و ما لى لا ادعى أن صلوة معاذ بالقوم كانت فريضة فانه جاء عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن جابر « هى له تطوع و لهم فريضة » كما أخرجها الحافظ عبد الرزاق و الشافعى و الطحاوى . فهذا نص فى الباب — ان صلوته مع قومه كانت تطوعا و القوم مفترضون خلفه . . . الاسف فوق الاسف : كيف نسلم هـذه الزيادة ؟ فانها غير محفوظة فشيخ الاسلام ابو البركات ابن تيمية الحرانى نقل عن الامام احمد بن حنبل رضـ : « اخشى أن لا تكون محفوظة » و قال ابن الجوزى : لا تصح هذه الزيادة .

« لئن صحت فهى ظن من جابر لا غير » و كذالك ابن قدامة (الحنبلى) ايضا ذهب الى عدم تصحيح تلك الزيادة . فقد اخرج الطحاوى هذه الرواية عن سفيان بن عيينة و لم يذكر فيها هذه الزيادة مع أن سفيان اوثق و سياقه احسن من سياق ابن جريج ، و كذلك

اخرج البخاری هذه الروایة مراراً فلم یذکر هـذه الزیادة مرة واحدة ایضا .، و کذا فی الأدب المفرد عن سلیم بن حیان بغیر هذه الزیادة و اخرج مسلم من طریق شعبة ، و منصور بن ذاذان ، و ایوب السختیانی هذه الروایة عن عمرو بن دینار و اتفقوا کلهم علی ترک هذه الزیادة فلم یورد واحد منهم فی روایته تلك الزیادة مع انهـا کانت اوفق لمذهبهم . فلو کانت الزیادة صحیحة لکان هؤلاء الجهابذة اقول الناس بهـا مع ان الشافعی من اکبر تلامذة سفیان بن عیینة . فثبت أن ابن جریج عن ابن دینار منفرد بهذه الزیادة . فلیس هذا من قبیل زیادة الثقة . و لا تکون الا شاذة فلا تقبل ـ هذا .

قال الحافظ : کیف لا تقبل ؟ فانها زیادة ثقة و مثل هـذه تقبل متی ما لا تخالف روایة الأوثق .

و ما تأید به الحافظ فهو واهن جدا لأنه قال : لیس عمرو بن دینار منفرداً بهذه الزیادة بل تابعه ابراهیم بن یحی الاسلمی کما صرح به الشافعی .

نقول : العجب کل العجب من الحافظ انه جبل الحدیث فکیف قال مثل هذا المقال ؟

فان الامام النسائی و البخاری و الدار قطنی کلهم قالوا فی ابراهیم : « انه متروك » و ترکه ابن المبارك ایضا . و قال یحی بن معین رض و یحی بن سعید القطان : ان ابراهیم کذاب . و ذکر ذلك الذهبی فی میزان الاعتدال .

ولو سلمت هذه المتابعة السخيفة كرها مع ما فيها من العلل القادحة فى الاستدلال و الاسباب الصادمة للاحتجاج فسأل : هل معاذ رض قال : انى اصلى خلف النبى ﷺ فرضا و اصلى بالقوم نفلا او اخبر جابر رض ان معاذا رض اخبرنى انى اصلى مع النبى ﷺ فرضيا و اصلى بالقوم نفلا او شكى احد الى رسول الله ﷺ :ـ ان معاذا رض يصلى معك فرضا و يصلى بنا نفلا و يطول الصلاة ؟ فاذا لم يتحقق شئ ما من هذه الأمور فى هذا الباب فلا محالة اما ان يكون ظنا من جابر أو من عمرو بن دينار أو من ابن جريج . و الظن لا يفيد اليقين . . . و هناك شئ آخر و هو ان التطوع ليس له معنى واحد فقط ؟

بل التطوع يطلق على عدة معان (١) الزيادة المطلقة (٢) الغنيمة الباردة (٣) التبرع (٤) صلوة النفل . فمن يمنعنا من أن نحمل التطوع على معنى التبرع لأن حملنا التطوع على معنى التبرع لمكان الاشتراك فى هذه المعانى ، فصلوة معاذ رض خلف النبى ﷺ ثم مع القوم كانت تبرعا من معاذ رض على قومه اذا كان قد فرغ عن اداء الفريضة خلف النبى ﷺ و لكنه اراد ان يمن على قومه لما حصل من الخير و السعادة خلف النبى ﷺ فاذا كان الامر كذلك فلا يكون قول جابر . هى له تطوع و لهم فريضة ، بمعنى النفل ، فذهبت حجة من احتج بصلاة معاذ : ان المفترض صحت صلاته خلف المتنفل من طريق تلك الزيادة ايضا . . .

قال الحافظ مجيبا عن استدلال الطحاوى بقوله : لما اطلع النبى ﷺ على صنيع معاذ بقومه قال : اما ان تصلى معى واما ان تخفف ، رواه الطحاوى

فثبت انه عليه السلام علم ذلك و انكر عليه ثم قال ذلك القول . و معنى الحديث عند الحافظ ـ اما أن تصلى معى فقط اذا لم تخفف على قومك و اما أن تصلى معى و مع القوم تخفف . بهذه تصح المعادلة بين التخفيفين ـ انه لا معادلة بين صلوته مع النبى ﷺ و التخفيف على قومه . . نقول : لا حاجة الى هذه التكلفات البعيدة فان فى الحديث معادلة بين الصلوة مع النبى ﷺ و بين الصلوة مع القوم خصوصا بالنظر الى قوله عليه السلام ـ أفتان يا معاذ قاله ثلاثا . و مراد قوله عليه السلام اما أن تصلى معى فقط و لا تصلى مع القوم و إما أن تصلى مع القوم و لا تصلى معى و خفف عليهم . لأن الصلوة مع القوم كناية عن الامامة و فى الامامة قال النبى ﷺ ، من ام قوما فليخفف ، و التخفيف من لوازم الامامة فخرج التخفيف من البين و صارت المعادلة بين الصلاتين ، فقوبل الشئ بضده ، صارت الجملة الصلوة مع النبى ﷺ و الصلوة مع القوم ، و بعبادة احرى قوبل الشئ بلازمه فان اما أن تخفف لازم للصلوة مع القوم . فنشأت المعادلة الصحيحة على وجه انيق . و ايده الحافظ ابن تيمية رض ايضا و عدا ذلك عندنا حجة قاطعة برهان ساطع على عدم الجواز و هو قوله عليه السلام : « الامام ضامن ، و الضابطة أن الشئ يتضمن ما تحته (ما دونه) أو ما يساويه و لكن لا يتضمن ما فوقه فان كانت صلوة المأموم فريضة و صلوة الامام نافلة فكيف يصدق هذا الحديث ؟ فان النافلة دون الفريضة . و الله تعالى اعلم بالصواب ؟

التحكيم فى الاسلام

سماحة الاستاذ (المستشار) على على منصور

التحكيم ، وسيلة قديمة عند العرب لفض المنازعات بطريقة سليمة ، فالمنازعات التى بين افراد القبيلة كان يحكم فيها شيخها ، و المنازعات التى بين قبيلة و قبيلة كان يحكم فيها اجنبى عنهما كشيخ قبيلة اخرى او هيئة مشتركة يختارها الطرفان المتنازعان و هو مثيل لما يحدث اليوم من التحكيم بين دولتين اذ كانت القبيلة وحدة دولية اذ ذاك ، و من امثلته قبل بعثة الرسول ﷺ . و قبل ظهور الاسلام

١ — المنافرة التى وقعت بين علقمة و عامر بن الطفيل من بنى عامر سنة ٦٣٠م حيث تنازعا على مشيخة القبيلة فاحتكما الى شيخ قبيلة اخرى . فتباريا خلال عام كامل فى اللعب بالسيف ، و فى إقامة ندوات الفخار و مطارحة الشعر بحضور الحكم ، و كان كل منهما شاعرا فحلا و شجاعا مغوارا . و لم يستطيع الحكم ان يفضل احدهما على الآخر فحكم باستحقاق كل منهما للرئاسة فقبلا الحكم و اشتركا معا فى مشيخة القبيلة

متحدين و لم يوثر عنهما اى خلاف

٢ — التحكيم الذى حصل بين حاتم الطائى و بين زيد الخيل فى بداية القرن السابع للميلاد (١) و قد ذكر السيد سيديو هذين المثلين ،

٣ — تحكيم الرسول ﷺ قبل بعثته فى وضع الحجر الأسود

يمكن ان ندرك مدى خطورة النزاع الذى قام بين القبائل فى مكة عند اعادة بناء الكعبة حول من ينال شرف وضع الحجر الاسود فى مكانه ، متى علمنا أن الكعبة هى بيت الله الحرام و هى مثابة عباد الله من حجاج بيته و زواره و هى مهوى أفئدتهم منذ اذن ابراهيم عليه السلام فى الناس بالحج بعد أن بناها (٢) و لها من القداسة فى نفوس العرب ما حمل بعض المؤرخين على القول بان الوثنية التى غطت على الحنيفية ملة ابراهيم كانت اثرا من آثار الافراط فى تقديس الكعبة و ذلك ان الظاعن منهم كان حين يخرج من سفر يحمل معه قطعة من الحجارة التى حول الكعبة حتى اذا ما القى عصى الترحال ، وضع هــذا الحجر و طاف حوله متمثلا الطوف حول الكعبة ، فلما تطاول عليهم العهد و فتر عنهم الوحى و غشيتهم جهالة الجاهلية عبدوا هذه الاحجار لذاتها و اتخذوا منها تماثيل و اصناما حسبوها آلهة و كانت خدمة الكعبة من سدانة الى سقاية الى رفادة الى غير ذلك شرفا تتقاتل عليه القبائل فلما توهن بناؤها قبيل بعثة الرسول الاعظم ﷺ اجتمعت قبائل قريش لاعادة بنائها و تواصوا بينهم الا يدخلوا فى بنائها الا مالا طيبا ، بحيث لا يكون منه مهر بغى و لا بيع ربا و لا مظلمة احد من الناس

و لاشيا اصابوه غصبا و لا قطعوا فيه رحما و لا انتهكوا فيه ذمة و كانت القبائل تجزأت الكعبة فتعهدت كل منها بناء و احد من حوائطها الاربعة فكان شق الباب لبنى عبد مناف و زهره ، و كان ما بين الركن الاسود و الركن اليمانى لبنى مخزوم ، و كان الشق المقابل لشق الباب لبنى جمح ، و كان شق حجر اسماعيل لبنى عبد الدار و بنى اسد بن العزى من قصى ، و اهتم الجميع لهذ الامر ايما اهتمام حتى ان اشرا فهم كانوا يحملون الحجارة اثناء الهدم بانفسهم و شاركهم محمد ﷺ فى ذلك فى شق الباب . فلما ارتفع البناء الجديد الى قامة الرجل ، و آن الأوان أن يوضع الحجر الأسود فى موضعه الأصلى عند ملتقى الجانب اليمانى ، ادعت كل قبيلة على جانب منهما أن موضع الحجر الأسود فى شقها فهى التى تتولى وضعه و نازعتهما فى ذلك بقية القبائل و اشتد الجدل بينها جميعا حتى توقف البناء ثلاثة ايام و استلت السيوف من قربها ، و لمعت صحاف الحرب و كادوا يحكمون السيف بينهم و من تكون له الغلبة ينال شرف وضع الحجر فى مكانه ، فاقترح عليهم حصيف أن يحكموا بينهم اول داخل عليهم من باب السلام و هو احد الابواب التى حول الكعبة فتراضى الجميع على ذلك ، و اذا باول داخل محمد بن عبد الله فقالوا هذا محمد ﷺ و هو الامين الذى لم نعرف عنه ريبة ، رضينا بحكمه ، فلما سمع منهم القصص و عرف موضوع النزاع أتى ببردة و طرحها أرضا و وضع الحجر فى وسطها ثم قال :

ليأخذ كبير كل قبيلة بطرف من أطراف هـذا الثوب و حملوه

جيعا الى ما يحاذى موضع الحجر من البناء ثم تناول عليه السلام الحجر فأرساه فى مكانه ، و بهذا التحكيم انحسم الخلاف على هذا الامر الجلل(١)

هذا النوع من التحكيم يسميه فقهاء القانون الدولى العام الآن بالتحكيم الاختيارى ، و لايكون الابعدأن يجد النزاع بين دولتين و ترغبان فى التحكيم بشأنه ، كل منهما مختارة غير مجبرة ،

اما التحكيم الاجبارى او الالزامى فى لغة القانون الدولى الحديثه فعلى انواع : اهمها ان تتفق دولتان او اكثر بمقتضى معاهدة على ان كل نزاع يجد بينهما و لا يمكن حله بالمعاوضة او الوساطة او التوفيق ، يعرض على التحكيم و قد تتضمن المعاهدة كيفية اختيار المحكمين و اجراءت التحكيم ، و هذا النوع الذى لم يستقر عليه الراى الا أخيرا ، و لا يزال يستثنى منه بعض انواع النزاع . فقد سبق به الاسلام منذ عهد الرسول ﷺ ، و كان عاما مطلقا شاملا لجميع المنازعات ، و نمثل لهذا النوع من التحكيم الاجبارى بالتحكيم التالى :

٤ — تحكيم النبى ﷺ فى كل ما يجد من نزاع بين المسلمين كافة و بين اليهود كافة فى معاهدة مكتوبة :

و ذلك أن النبى ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة و آخى بين المهاجرين و الانصار و أقام مسجده و نظم أمور المؤمنين تحت امرته بدأ ينظم ما بين هذه الامة الاسلامية و بين غيرها من الأمم المجاورة . و بدأ باليهود الذين كانوا حول المدينة ، و ذلك لما كان بينهم و بين بقية أهل المدينة ممن أسلموا و هم الانصار من احتكاك ـ ـ ـ ـ قد يؤدى

الى منازعات ، و كان الفريق الاول فى المعاهدة المهاجرون و الانصار كامة و دولة ، و الفريق الثانى اليهود كامة و دولة ، و قد اقرتهم المعاهدة على دينهم و اموالهم لا يجيرون على الاسلام —: بشروط الا يحاربوا المسلمين و لا يعينوا أحدا عليهم ، و شرط كل طرف لنفسه كما اشترط عليها بل تضمنت المعاهدة السياسية الداخلية و الخارجية لدولة الاسلام فكانها القانون العام بشقيه الداخلي و الخارجى ، و الذى يعيننا من نصوصها ما كان خاصا بالاتفاق مقدما على التحكيم فى كل نزاع يطرأ بين المسلمين و اليهود ، و اختيار النبي ﷺ لحكم بين الطرفين على ان يقضى بما امرالله من حق و عدل ، و بما يراه رسول‌الله فقد ورد فى الكتاب اى فى العهد اى المعاهدة ما ياتى ﴿ و انه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الىٰ الله و الى الرسول ﴾ و لما كانت هذه اول معاهدة مكتوبة فى الاسلام بين الامة الاسلامية و بين غيرها من الامم اليهودية و النصرانية فنرى الاتيان على نصها كاملا اذ على نهجها سارت المعاهدات التى عقدها خلفاء الرسول ﷺ من بعده و قواد جيوش المسلمين ، و هى دالة على عدم صحة ما يذهب اليه بعض الفقهاء مسلمين و غير مسلمين من أن الاسلام لا يعرف صلة تربط دولته او دوله بالدول الأخرى الا على اساس الحرب و انه يقسم العالم الى دار اسلام و دار حرب فقط ، و اليكم نص العهد و الميثاق (بسم الله الرحمن الرحيم ـ هذا كتاب محمد النبي بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب و من تبعهم فلحق بهم و جاهد معهم ،

انهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم «على استقامتهم . اى على امرهم الذى كانوا عليه » يتعاقلون بينهم و هم يفدون عانيهم بالمعروف و القسط بين المؤمنين ، و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، و كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين .

ثم ذكر كل بطن من بطون الانصار و اهل كل دار : بنى الحارث و بنى ساعدة و بنى جشم و بنى النجار و بنى عمرو و بنى عوف و بنى النبيت و هم الطرف الأول فى المعاهدة . فأظهر دراية فنية عصرية فى وضع صيغ المعاهدات — ثم جاء الى موضوع المعاهدة فقال — « و ان المؤمنين لا يتركون مفرحا « المثقل بالدين و العيال » بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء او عقل . و لا يحالف مومن مولى مومن دونه ، و ان المومنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة ظلم « طبيعته » او اثم او عدوان او فساد بين المؤمنين ، و أن أيديهم عليه جميعا و لو كان ولد احدهم و أن ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم . و انى المومنين بعضهم مولى بعض دون الناس ، و انه من تبعنا من يهود فان له النصر و الاسوة . « المساواة فى المعاملة » غير مظلومين و لا متناصر عليهم ، وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مومن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء و عدل بينهم ، و ان كل غازية غزت منا يعقب بعضها بعضا و ان المؤمنين يبيئ بعضهم عن بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله « يقال أبأت فلانا بفلان اذا قتلته » يريد ان المومنين بعضهم اولياء بعض فيما

ينال دماءهم ، و ان المومنين المتقين على أحسن هدى و أقدمه ، و انه لا يجير مشرك مالا لقريش و لا نفسا و لا يحول دونه على مؤمن ، و انه من اعتبط « اى قتل بلا جناية و لا جريدة توجب قتله » مومنا قتلا عن بنيه فانه قود به الا أن يرضى ولى المقتول ، و أن المومنين عليه كافة ، و لا يحل لهم الا قيام عليه ، و انه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة ، و آمن بالله و اليوم الآخر أن ينصر محدثا (جانيا) و لا يوويه ، و أنه من نصره أو آواه فانه عليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة و لا يوخذ منه صرف و لا عدل ، و انكم مهما اختلفتم فيه من شئ فان مرده الى الله و الى محمد ﷺ هذا هو القانون الداخلى للمسلمين أما القانون الخارجى و المعاهدة الخاصة بتنظيم صلة امة المسلمين بامة اليهود فقال فيه (و ان اليهود ينفقون مع المومنين ما داموا محاربين ، و ان يهود بنى عوف امة مع المومنين ، لليهود دينهم . . . و للمسلمين دينهم و مواليهم و انفسهم الا من ظلم أو اثم فان لا يوتغ (يهلك و يفسد) الا نفسه و اهل بيته ، و ان ليهود بنى نجار و يهود بنى الحارث و يهود بنى ساعدة و يهود بنى جشم و يهود بنى ثعلبة جفنة و لبنى الشيطية مثل ما ليهود بنى عوف ، و ان موالى بنى ثعلبة كانفسهم ، و ان بطانة يهود كانفسهم ، و انه لا يتحجر على ثأر جرح (و لا يلتئم جرح على ثأر) و ان من فتك فبنفسه و اهل بيته الا من ظلم و ان الله أبر على هذا ، و ان على اليهود نفقتهم و على المسلمين نفقتهم و ان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة ، و ان بينهم النصح و النصيحة

و البر دون الاثم ، و انه لم يأثم امرؤ بحليفه ، و ان النصر للمظلوم ، و ان اليهود ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين و ان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة . و أن الجار كالنفس غير مضار و لا آثم و انه لا تجار حرمة الا باذن أهلها ، و ان ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله و الى محمد رسول الله ﷺ ، و ان الله على اتقى ما فى هذه الصحيفة و ابره .

و انه لا تجار قريش و لا من نصرها . و ان بينهم النصر على من دهم يثرب و اذا دعوا الى صلح يصالحونه و يلبسونه فانهم يصالحونه و يلبسونه وانهم اذا دعوا إلى مثل ذلك فان لهم على المومنين الا من حارب فى الدين . على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم . و ان ليهود الأوس مواليهم و أنفسهم مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، و أن البر دون الاثم لا يكسب كاسب الا على نفسه و أن الله على اصدق ما فى هذه الصحيفة و ابره و انه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم . و أن من خرج آمن و من قعد بالمدينة آمن الا من ظلم و اثم و ان الله جار لمن بر و اتقى)

ان هذه المعاهدة السياسية قد جاءت فى الواقع ميثاقا جمع السياسية الداخلية و الخارجية للاسلام اى جاءت قانونا عاما بشقيه الداخلى و الخارجى و تفوقت على كل ميثاق و كل قانون و كل سياسة انشائية سمت حتى اليوم ، و كونت باطلاق نصوصها عصبة من الامم الاسلامية و الأمم المسيحية و اليهودية . لم يصل إلى تحقيقها الرسل و الأنبياء السابقون

و لا الساسة و الفقهاء اللاحقون ، و ضمنت للاقليات حقوقها و التمتع باداء شعارها و واجبات دينها . و حققت نظرية الحرب المشروعة و حددت التدخل فى غير حالة الحرب المنصوص عليها فى المادة ١٦ من ميثاق عصبة الأمم و اشترطت له الاستنصار و اذن أهل الحرمة - ولقد جاءت هذه المعاهدة انموذجا سارت على أسسه و مبادئه السامية بقية المعاهدات التى عقدها النبى ﷺ و الخلفاء الراشدون و من تلق الخلافة بعدهم .

٥ — تحكيم النبى محمد ﷺ فيما بين المؤمنين كافة و بين نصارى نجران كافة :

قدم وفد نجران على الرسول بالمدينة ، و على راسهم شرحبيل بن وداعة الهمدانى . و كانوا يمثلون ثلاث و سبعين قرية و مائة و عشرين الف مقاتل على ما ذكره ابن اسحاق فى سيرة ابن هشام و سألوه ماتقول فى عيسى فاستمهلهم حتى نزل الوحى بالآيات (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابنائنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و انفسنا و انفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (١) فابوا أن يقروا بذلك فلما دعاهم للمباهلة و الملاعنة ابوا .

و قال شرجيل انى رأيت خيرا من ملاعنتك قال ، . و ما هو .

(١) سورة آل عمران (الآية ٥٩ - ٦١)

قال احكمك اليوم و الليلة فمهما حكمت فهو جائز . و أراد الرسول ﷺ ان يستوثق من وكالة شرحبيل عن أهل نجران ، فسأل باقى اعضاء الوفد فقالوا ما علمنا فى نجران من يخالف امر شرحبيل ، و نحن وفدهم لديك و شرحبيل رئيسنا . فكانه حكم الرسول فيما بين نصارى نجران كامة ، و فيما بين المسلمين كامة . و كتب رسول الله ﷺ كتابا تضمن الحكم الى اسقف اهل نجران و قد جاء فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي الى الأسقف ابى الحرث و اساقفة نجران و كهنتهم و رهبانهم و أهل بيتهم و رقيعتهم و ملتهم و سواطتهم ، و على كل ما تحت . . . ايديهم من قليل و كثير جوار الله و رسوله ، لا يغير اسقف من اسقفيته و لا راهب من رهبانيته و لا كاهن من كهانته و لا يغير حق من حقوقهم و لا سلطانهم و لا مما كانوا عليه ، على ذلك جوار الله و رسوله ابدا ما نصحوا و صلحوا عليهم غير متقبلين بظالم و لا ظالمين و روى البيهقى باسناد صحيح إلى ابن مسعود مثل ما سلف ذكره .

و لو تأملت نصوص القرار أو الحكم أو العهد سمه ما شئت لوجدته بين وحدتين دولتين بين أمة من المؤ منين بالمدينة و بين أمة النصارى بنجران ، و أنه ضمن لهم حربة العقيدة و بالغ فى التعبير عن ذلك بمترادفات بغية توكيد هذا المعنى و أنه ابقى على سلطانهم و دولتهم و قد يدل سياق القول ايضا على أن هذا العهد دائم غير موقوت بمدة لقوله « على ذلك بجوار الله و رسوله ابداً » ما داموا ناصحين مصلحين غير منحاذمين لظالم و لا متلبسين لظلم ، و لعل فى هذين العهدين عهد النبي

لليهود و عهده للنصاوى بجران اقطع دليل على أن الاسلام لم يقم بحد السيف و ها هو لا يفرض شريعته على اصحاب الاديان السماوية الأخرى بل يدعهم و ما يدينون و كتاب الله فى ذلك بين « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة و جادلهم بالتى هى أحسن (١) افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٢) لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى (٣)

٦ — تحكيم سعد بن معاذ بين النبى محمد ﷺ و المسلمين و بين يهود و بنى قريظة يقتضينا المقام أن نمهد لهذا التحكيم بموجز يربط بينه و بين المعاهدة التى عقدها المؤمنون بالمدينة بامرة الرسول ﷺ و بين يهود المدينة و ما حولها كامة أو دولة أو عـلى الاقل فى لغة القانون الدولى الحديث كوحدة أو شخص دولى ـ و كان اليهود المعاهدون ثلاث طوائف أو قبائل بنى قينقاع و بنى النضير و بنى قريظة و قد نقضوا العهد طائفة بعد الاخرى فبعد أن انتهى الرسول من غزوة بدر و نصر الله فيها المؤمنين نصرا مؤزرا اظهر بنو قينقاع البغى و الحسد و شرقوا بواقعة بدر ، و يضيف الاستاذ الشيخ على قراعة (٤) أن امرأة من العرب قدمت بجلب فباعته فى سوق الصاغة فى بنى قينقاع و جلست من اجل ذلك إلى صائغ منهم ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها . فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها فصاحت فأنجدها مسلم و تقاتل هو و الصائغ اليهودى فقتلا . فغضب المسلمون

(١) سورة النحل (الاية رقم ١٢٥) (٢) سورة يونس (الاية ٩٩)

(٣) سورة البقرة (الاية ٢٥٦) (٤) راجع كتاب الحروب الاسلاميه و العلاقة الدولية لفضيلة الشيخ على قراعة ص ١٤٣ سنة ١٩٥٥ او سنة ١٣٧٤ ﻫ طبعة دار مصر .

و وقع الشر بينهم و بين اليهود و توقعوا ان يحاربهم المسلمون فنبذوا العهد و هددو الرسول ﷺ و صحبه ، و قالوا يامحمد لا يغرنك ما نلت من قريش و انك ان لقيتنا لذقت منا كيف تكون الحرب ، فسارت اليهم جنودالله يتقدمهم عبـد الله و رسوله ، يوم السبت للنصف من شوال عـلى رأس عشرين شهرا مـن مهـاجرته و حاصرتهم خمس عشرة ليلة حصارا انهكهم فاستسلموا و ارسلوا من يخبر المسلمين بذلك ، و نزلوا على حكم النبي فامر بهم فكتفوا كاسرى حرب و كانوا نحواً لستمائة مقاتل ، وكانت دورهم فى طرف المدينة و لـكن عبد الله بن ابى بن سلول احـد سادتهم و زعمـائهم و كان قد اسلم من قبل عـلى نفاق ـ كلم الرسول فى شأنهم الح عليه و تشفع فيهم فاطاق الرسول سراحهم على ان يخرجوا من المدينة و لا يجاوروه فيها . فخرجوا إلى اذرعات الشام و تركوا أموالهم فلم يلبثوا كثيراً حتى هلك معظمهم .

أما يهود بنى نضير فقد نقضوا العهد و خفروا الذمة بعـد غزوة أحد بستة أشهر . و ذلك أن الرسول خرج اليهم فى ظاهر المدينة فى نفر من أصحابه و طلب منهم المساهمة فى دية الكلابيين من بنى عامر الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى (١) فقالوا نفعل يا ابا القـاسم اجلس هاهنا حتى ناتيك بالدية و خلا بعضهم الى بعض و تامروا على قتل الرسول ﷺ و صعد أحـدهم بحجر رحا الى اعـلى دار ليلقيها عـلى راسه ، و نزل الوحى مـن السماء فانبأ جبريل الرسول ﷺ بخبرهم فانصرف لتوه . و لحقه اصحابه و مكث اياما ينتظر الدية فلم يؤدوها ،

و قال قائل منهم لقد اخبر بما هممتهم به ، و لما نبذو العهد على مامر ذكره، بعث اليهم الرسول ان اخرجوا من المدينة و لا تساكنونى بجوار ها ، و قد امهلتكم عشرا ، فقد نقضتم العهد بما بيتم من غدر لى ، فتشاوروا مع راس النفاق عبد الله بن ابى وقر قرارهم على الحرب ، فتجهزوا و تحصنوا داخل حصونهم و ارسل رئيسهم حى بن اخطب الى الرسول ﷺ قائلا انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدألك ، فسار اليهم جيش الرسول ﷺ و حاصر هم حتى اجهد هم الحصار فارسلوا من يقول له : « نحن نخرج من المدينة » فانزلهم على ان يخرجوا منها بنفوسهم و ذراريهم و ان يحملوا من متاعهم و اموالهم ما تستطيع الا بل حمله عدا اسلحتهم فلا ياخذون منها شيئا ، وجلاء بنى النضير نزلت سورة الحشر

و أما يهود بنى قريظة فكانوا أشد اليهود عداوة لرسول الله ﷺ و أغلظهم كفرا ، و نقضوا عهده عند ما خرج مع المسلمين من المدينة لمنازلة جيوش الشرك من قريش و غطفان فى غزوة الخندق . و كان حى بن أخطب زعيم يهود بنى النضير بعد أن اجلوا من المدينة أخذ يطوف و معه آخرون من بنى النضير على القبائل فى الجزيرة كلها . يولبهم على قتال محمد ﷺ و أصحابه حتى يستاصلوا شافتهم ، و أجمع العرب على ذلك و جمعوا جيشا لم تر الجزيرة مثيلا له حيث بلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل . و جاؤا الى المدينة و نزلوا قبالتها و تسلل حى بن اخطب الى بنى قريظة و كانوا فى ظاهر المدينة و خلف جيش رسول الله ﷺ فقال لهم « لقد جئتكم بعز الدهر جئتكم بقريش على سادتها و غطفان

على قادتها و انتم أهل الشوكة و السلاح فهلم حتى نناجز محمداً و نفرغ منه ، فابى زعيمهم كعب بن أسد خوفا من ان يحمل بهم ما حل بيهود بنى النضير و بنى قينقاع من قبل ، و قال انى على عهد مع محمد و لم ار منه الا الصدق و الوفاء ، و ما زال به حى بن أخطب يخادعه حتى قبل نقض عهد محمد ﷺ و مفاجأته من الخلف ، بشرط أن يدخل حى بن أخطب حصن اليهود فيصيبه ما يصيبهم . فلما بلغ الرسول ذلك أرسل سعد بن معاذ و سعد بن عبادة الى قريظة يستطلعان الخبر ، فلما اتوا بنى قريظة قالوا لا عهد بيننا و بين محمد . فعادوا و اخبروا النبى ﷺ بنقض قريظة للعهد فاشتد الأمر على المسلمين و اتاهم العدو من فوقهم و من أسفل منهم و زاغت الابصار و لكن الله أوقع الخلف بين الاحزاب و أرسل عليهم ريحا عاصفة كفأت القدور و اقتلعت الخيام و شتت الخيول و الابل فانشمروا عن المدينة و عادوا ادراجهم إلى بلادهم بغير حرب .

فلما فرغ الرسول ﷺ من غزوة الخندق و كفى الله المومنين القتال فيها ، عاد إلى المدينة معتزما قتال بنى قريظة لقاء نقضهم العهد و مخالفتهم اعداؤه و خيانتهم و محاولتهم طعن جيش المسلمين من ظهره فقال عليه الصلاة و السلام لأصحابه و هو فى طريق عودته من الخندق ، لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة ، فصدعوا بامره و وصلوا حصون بنى قريظة فى العشاء الآخرة ، و حاصروها خمسا و عشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار عرض رئيس اليهود كعب بن أسد على المحاصرين من

قومه ثلاث خصال ، اما أن يسلموا و يدخلوا مع محمد فى دينه ، و اما ان يقتلوا ذراريهم و يخرجوا إلى المسلمين بالسيوف مصلتة يناجزون حتى يظفروا أو يقتلوا عن آخرهم و اما أن يهجموا على جيش المسلمين المحاصر يوم السبت حيث هم آمنون أن يقاتلوا فيه ، فابوا عليه ·

ثم سالوا الرسول ﷺ أن يبعث اليهم ابا لبابة بن المنذر يستشيرونه فارسله اليهم ، و كان من بنى جلدتهم قبل اسلامه ، و بعد لأى نزلوا على حكم رسول الله و قبلوا أن يحكم فيهم بما يرى ، اى انهم استسلموا ، فقام جماعة من الأوس يطلبون الى رسول الله التخفيف فى الحكم ، لأنهم كانوا قبل الاسلام من شيعتهم ·

فقال الا ترجون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا نعم ، و انتهى الامر إلى تحكيم سعد بن معاذ الصحابى الانصارى من الأوس أصلا . فقدم سعد من المدينة . و كان قد رجع اليها لبعض شأنه - و لقيه الإنصار من الأوس و قالوا أن هولاء القوم « يهود بنى قريظة » قد نزلوا على حكمك فقال أنافذ حكمى عليهم قالوا نعم . قال و على من هاهنا .

و اعرض بوجهه و أشار إلى حيث النبى اجلاله و تعظيما ، فقال النبى ﷺ نعم و على ، فحكم بما الهم الله من أن تقتل الرجال و تسبى الذرية و تقسم الأموال ·

أفرأيت كيف أن الحكم أراد أن يستوثق من رضا الطرفين سلفا بحكمه و تعهدهما بتنفيذه و هو أهم ما يقتضيه التحكيم .

التحكيم بين على و معاوية :

لما وقع بين جيش علي بن ابي طالب و معاوية ابي سفيان ما وقع من حرب استعرت نارها ، و اشتد أوارها ، طلب معاوية و جنوده (و هم أهل الشام) تحكيم القرآن و رفعوا المصاحف ، و كان ذلك ليعصموا أنفسهم من سيوف أهل العراق حيث كانت أمارات الغلبة و و دلائل النصر لاحت في جانبهم و كانت الحرب قد اكلت الفريقين و لكنها كانت في أهل الشام أشد نكاية و اعظم وقعا فكتب معاوية إلى علي يقول : « اما بعد فان الأمر قد طال بيننا و بينك . و كل واحد منا يرى أنه على الحق و قد قتل منا و منكم خلق كثير و أخشى أن يكون ما بقي أشد مما مضى و انا سوف تسأل عن هذه المواطن و لا يحاسب غيري و غيرك . و قد دعوتك إلى امر لنا و لك فيه حياة و صلاح للامة و حقن للدماء و ذلك بان تحكم بيننا حكمين مرضيين أحدهما من اصحابي و الآخر من أصحابك . فيحكمان بيننا بكتاب الله و سنة رسوله »

فكتب اليه علي يقول :

« اما بعد فانا نجيب القرآن الى حكمه و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا »

فاختار معاوية و اصحابه عمرو بن العاص ليكون حكما من قبلهم . و اختار اصحاب علي ابا موسى الاشعري عبد الله بن قيس . فخالفهم علي و خيرهم بين الاشتر النخعي و عبد الله بن عباس فلم يرضوا فاضطر إلى ترك رأيه لرأيهم ثم تهادن الطرفان و دونوا كتابا للهدنة و للموادعة حتى ينتهي الحكمان الى قرار .

اللغة العربية و مكانتها فى العالم

لصاحب السماحة الاستاذ الشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادى
من علماء دارالعلوم رئيس القسم الاسلامى بجامعة علی‌كره . الهند(۱)

الحمد لله و كفى و سلام على عباده الذين اصطفى .

فى بدء الأمر أشكركم شكراً جزيلا على أنكم تفضلتم باختياركم اياى رئيسا لهذه الحفلة السنية السنوية لناديكم الذى يهتم باللغة العربية اهتماما بالغا ، و يعتنى بنشرها اعتناءاً وافيا .

و لا ريب أن اللغة العربية فى منتهى الأهمية لنا نحن معشر المسلمين فى بلاد الهند . و لها اسباب شتى . فاولا ان هذه اللغة هى لغة القرآن الكريم و هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و هو دستور السماء و قانون الانسانية الخالد . فيه خبر عن ما قبلكم

(۱) هذه الكلمة القيمة القاها الشيخ الاكبر آبادى فى حفلة سنوية للنادى الادبى لطلبة دار العلوم بديوبند فى ١٥ رجب سنة ٩٠ ه فى قاعة المحاضرات للدار .

و حكم ما بينكم و بناء ما بعد كم ، و هو الحكم العدل ، ليس بالهزل ، و هو الذكر الحكيم و الصراط المستقيم ، فقد اهتدى من تمسك بذيله و اقتدى ، و ضل من نبذه وراء ظهره و غوى ،

ثانياً — ان العربية هى لغة الرسالة الاسلامية التى ختم الله بها الرسالات و التى بعث بها سيدنا و مولانا محمدا رسول الله ﷺ شاهداً و مبشراً و نذيرا و داعيا إلى الله باذنه و سراجا منيرا ،

فاللغة العربية هى لغة الحديث و العلوم و الفنون المتعلقة به ،

ثالثا — و بصفة ان القران و الحديث هما منبعان حقيقيان انبشقت و تـدفقت منهما عيون العلوم الاسلامية و الفنون الرائجة عند المسلمين المنتقلة من اليونانيين و ممن عدا هم . فاللغة العربية قد صارت من ارقى لغات الامم و العالم علما و أدبا و ثقافة و فناً . و لا جل هذا كان طبيعيا ان تكون واسعة جدا غنية بالمفردات و التراكيب و فنون البراعة و البلاغة حافلة بالمترادفات و الامثال و التشبيهات و الاوصاف الدقيقة الجميلة المؤثرة فى النفس المثيرة للعواطف و الوجدان ، و هو لم يتسير لغيرها من اللغات فى القارات الخمس التى يتكون منها العالم و من عجيب شأن اللغة العربية انها بحرضخم لا ساحل له و ان مفرداتها و تراكيبها و مترادفاتها تبلغ الملايين فى حين ان اللغات الآخرى لا يزيد اوسعها و اكثرها انتشارا فى العالم على ثمانين الف كلمة ، و قد دون بها المؤرخون و العلماء و الفلاسفة و الادباء من المسلمين و غير هم من العرب و العجم قديما و حديثا فى الشرق و الغرب مئات آلاف المصنفات التى تذخر بها

المكتبات العربية و الاجنبية فى كل بقاع العالم المتحضر ، و هو دليل قاطع على قوة هذه اللغة و عظمتها و غزارة مادتها ، و هذا هو سر انجذاب الناس بها و اقبالهم على تعلمها من امريكا غربا الى اليابان و اندونيسيا شرقا ، و كل من يتذوق اللغة العربية يطرب لما فيها من سلالة و موسيقية و حيوية و جمال ، و يعجب ، كيف أن هذه اللغة القديمة و الحديثة قادرة على التطور و النمو و الحركة لمواجهة كل ما يتجدد من مطالب الحياة و ما ليستحدث عن العلوم و الفنون و المخترعات و الصناعات فتلك هى ميزة رائعة خص الله بها لغة القرآن و لغة النبى عليه الصلاة و السلام ، و قد عرف المستشرقون الفرنسا و الالمان و امريكا و انجلترا و البرتقال و الاسبان و روسيا قيمة اللغة العربية و فضلها و اهميتها و شمولها لكل المعانى و الالفاظ و الاخيلة و الافكار

فصرفوا هممهم و بذلوا اعمارهم لدرسها و تعليمها و حققوا و رتبوا آلاف المخطوطات النادرة الثمينة فى مختلف العلوم الاسلامية و الفوا كتبا تحقيقية و المكتبات الشرقية و الغربية ملآنة اليوم بثمار جهودهم و مساعيهم مع انهم قد ضلوا و اضلوا فى حين من الاحيان عند البحث عن بعض المسائل الدينية او التاريخية .

و اقبل مسلموا الهند ـ بما عرف فيهم من الروحانية و قوة العاطفة و صفاء النفس لا جل المساعى و الجهود التى بذلها العلماء البارعون و المشائخ العظام فى سبيل نشر الدين و الحفظ عليه ـ على تعلم الدين القيم ـ بلغته التى جاء بها الى شبه القارة الهندية شمالا و جنوبا و لعل هذا هو

سر بقاء هذه اللغة حية فى ربوع الهند رغم عداوة الاستعمار و يد المستعمرين و اليوم دارالعلوم فى الديوبند و ندوة العلماء بلكنوء و مظاهر العلوم بسهارنفور و غيرها من المدارس الاسلامية المنبثة فى اقطار الهند اكبر دليل على حب مسلمى الهند لهذه اللغة و شدة تمسكهم بدينهم ·

و من الواجب على المسلمين المحبين لدينهم و شريعة رسولهم ان يكونوا على علم بلغة هذه الشريعة و لسان هذ الدين الفصيح منه و العامى خصوصا اذا عرف ان اللغة العامية قريبة جدا من اصول اللغة الفصيحة و يمكن ارجاعها اليها بسهولة و يسر ، و بذلك يمكن معرفة الفصيح و العامى معاً ،

واللغة العامية سهلة الحصول ، يسيرة الاخذ و هى اليوم ذريعة التكلم و المحادثة فيما بين العرب .

و قد اشتهر فيما بين الناس ان اللغة العربية هى صعبة الحصول و لا تتأتى الابعد مشقة و عناء شديد طيل سنوات عديدة . و ما هذا الاظن، و الظن لا يغنى من الحق شئيا . فان خبراء التعلم فى الشرق و الغرب فى عصرنا هذا قد اخترعوا طرقا و قواعد يمكن بها الأخذ بالعربية فى مدة قصيرة جدا من غير تعب و مشقة ، و انا جربتها بنفسى و وجدتها موصلة الى المطلوب بسرعة . فيجب ان نخلع الطريقة القديقة المعمول بها فى المدارس لتعليم اللغة العربية و نسلك طريقا جديدا يستعمله اهل اللسان فى بلادهم و ها هو ذا :

ليبدأ هذا التعليم بمعرفة الحروف الابجدية العربية و هى مطابقة للحروف الاردوية فيما عدا حرفين او ثلاثة ، و نفس الكتابة العربية

فى الكتابة الاردوية مع اختلاف ضئيل يدرك بالمقارنة بين الحروف الابجدية ،

و يتدرج الدارس الى معرفة بعض معانى المفردات و جموعها و استعمالها فى جمل بسيطة سهلة ، ثم يعرف بعض الأفعال الماضى منها و المضارع و الأمر و المصدر و يوضح ذلك بالاردوية عند اللزوم ، ثم يدرب على استعمال هذه الأفعال فى جمل قصيرة و يوضح له فى هذه الاثناء حروف الجر مقارنا بمثيلاتها فى اللغة الاردوية و شيأ فشيا يعرف الدارس اسماء الاشارة و الموصول و الضمائر ثم تستعمل فى جمل لمعرفة التراكيب مع المقارنة باللغة الاردوية عند اللزوم و ذلك لتفهيم المعنى و ايضاحه ثم يدرب الدارس على قراءة هذه الجمل صحيحة و بعد ذلك يتدرج إلى كتابة الموضوعات القصيرة و قرأتها فى صورة املاء ثم انشاء و قرأة بعض الكتب المبسطة و محاكاة ما ورد بها و تلخيصه ، و هكذا يستطيع الدارس ان يفهم هذه اللغة فى صورة سهلة ثم يعلم بعض القواعد النحوية دون اسهاب مع الاختصار و الايجاز و بقدر الضرورة - ثم يتدرج من السهل الى الصعب حتى يتمكن من قراءة الحديث و الفقه و الشعر والادب و التاريخ و الفلسفة و غير ذلك .

و بجنب هذه العلوم من الواجب عليه أن يقرأ مؤلفات فحول الادباء والمترسلين فى عصرنا .فهولاء اسوة و قدوة فى صناعة الانشاء والتحرير باللغة العربية ولهم نظر واسع و فكر ثاقب فى جميع شؤن اللغة و أدبها . و لهم كتب طويلة الصيت كثير النفع و دقيقة المباحث فمنهم الاستاذ احمد امين ، الدكتور

طه حسين ، عباس محمود العقاد ، الدكتور ذكى مبارك ، نجيب محفوظ ، سلامة موسى ، محمد حسنين هيكل ، شوقى ضيف ، مصطفى صادق الرافعى ، محمد فريد الوجدى ابو جديد ، المازنى ، توفيق الحكيم ، يوسف السباعى ، على الجارم ، الدكتور سهير القلماوى الدكتور عائشة عبد الرحمن بنت الشاطى ، الدكتور احمد ذكى ـ عبد الرزاق نوفل مصطفى لطفى المنفلوطى ، الدكتور احمد لطفى ، عمر الدسوقى وغير هم ·

فالادب العربى فى الوقت الحاضر قد وصل إلى درجة كبيرة من التنوع و التطور و الازدهار ، فاتسعت مباحثه و يشتمل انواعاشتى من الفكر و النقد . و الوانا بهيجة من الخيال . و صورا دقيقة من التعبير عن نوازع الانسان و خلجات نفسه و عن آماله و آمانيه و مايحتمل فى صدره وعقله من مخاوف و آلام ، و ما يتجاذ به عن عوامل الشر و الخير و القسوة و اللين و البهجة و الحزن كما ظهرت فيه مدينة الغرب بما فيها من الصنائع و الحرف المزدهرة و الحياة الزاخرة بشتى العلوم و الفنون و ما تميزت به من الحاد و اسراف و سرعة زائدة لتحصيل المكاسب و الماديات . و لما كان الادب مرآة حياة الأمة فقد انعكس فى الادب العربى فى العصر الحاضر ماتعانيه الانسانية من صراع و ما يهدر حياتها و مستقبلها · هذا من وجهة نظر خاصة بالادب · و فى جانب آخر من العلوم الاسلامية · فنحن نرى ان اللغة العربية قد تزدهر اليوم بالآف من الكتب القديمة التى كانت غير مطبوعة فحققت و رتبت على المنهج الغربى الحديث و طبعت باشد اهتمام بحسن الطباعة ، و آلاف من الكتب التى صنفها فطاحل

العلماء المحققين كالشيخ ابى زهره ، الشيخ محمود شلتوت ، الاستاذ الكوثرى ، الشيخ احمد شاكر و محمد شاكر ، و الاستاذ مصطفى الزرقاء ، و الدكتور جواد على ، الاستاذ كرد على الدكتور صلاح الدين المنجد و الدكتور بهجة البيطار ، الاستاذ محمد عبد القادر عوده ، الاستاذ عبد الحليم محمود و كثيرون غيرهم ،

فهولاء اليوم اساطين العلم و التحقيق فى المباحث الدينية الاسلامية و التاريخية و غيرها و لهم مجد عظيم و مرتبة شامخة فى حل المعضلات من المسائل الفقهية و القانونية الاسلامية و الدفاع عن الاسلام ازاء صولات من الغرب فعلينا بمطالعة هذه الذخيرة الوافرة العظيمة قدرا و منزلة من وجهة الدين و الثقافة و العلم ، و يؤسفنى جدا ما ارى اليوم من ان اساتذة المدارس العربية فى الهند . فضلا عن الطلبة فيها ، مالهم اطلاع على هذه الكتب و المصنفات عموما . و يستنتج منه شيان : الاول انه لا توجد رابطة علمية و ثيقة بين علماء الهند و علماء العرب الحاضر . و الثانى ان مجال افكارنا و نطاق انظارنا فى المباحث الاسلامية غير فسيح ، و هذا خلاف ما يقتضيه الاسلام و الدين منا للذب عن الدين القيم ضد الافكار الجديدة و الاراء الحديثة التى تهب عواصفها من جانب المدنية المادية الافرنجية او الغربية . فيا للاسلام و المسلمين و بالرزية و نكبة الدين و قلة ممارستنا بالعربية و عدم تمكننا من التكلم و الكتابة بها ايضا سبب عن اسباب هذه الخيبة و الخسران . فادهشنى ما رأيت فى اثناء تجولى فى البلاد العربية والاسلامية من مراكش

إلى اندونيشيا و من القاهرة الى نائجيريا من ان علماء هذه البلاد ما كانوا سمعوا اسماء اكابرنا الائمة فى الدين و العلم كالشيخ الهمام محمد قاسم النانوتوى، و مولانا رشيد احمد الكنكوهى . و مولانا المفتى عزيز الرحمن الديوبندى و مولانا محمد إعزاز على رحمهم الله و غيرهم، دون استاذنا الكبير العلامة محمد انور شاه الكشميرى الذى هو كان معروفا عند بعض العلماء فى البلاد العربية . فهؤلاء العلماء المتدينون البارعون قبلوا جبهتى وعانقونى عناق الحبيب لما علموا اننى من ادنى تلامذة الشيخ الكشميرى و سألونى عن أشياء كثيرة من حياته و سيرته و مصنفاته .

و يسرنى ان أتحدث الآن عن ناديكم هذا وشؤنه و طبيعى أن أتذكر فى الوقت نفسه الايام الخالية السعيدة التى قضيتها فى ساحة دارالعلوم الديوبندية متعلما و مستسقيا من منابع العلم و الدين · ان دارالعلوم ما كان يعوز فى ذلك الوقت وجود الشعراء المجيدين و الكاتبين المحسنين بالعربية فيما بين الطلبة . و كان لى زميل اسمه محمد غوث المدراسى ، هو كان يصدر مجلة شهرية بالعربية و كنا نقرض الاشعار و القصائد بالعربية و نستصلحها من الاستاذ العلام و الشيخ القمقام مولانا محمد اعزاز على نور الله ضريحه ثم نتناشدها فيما بيننا مجتمعين فى نودره او فى اى مكان يناسب .

ولى ذكريات من مثل هذه الاجتماعات و الاحتفالات بعضها مطربة مبهجة و بعضها مضحكة معجبة . لا ارى ان اذكرها ههنا ـ و لكن هذه التقدمات فى الشعر او الكتابة بالعربية من جهتنا معشر الطلبة كانت

متشتة و متفرقة غير مرتبطة تحت نظام خاص يشجع الطلبة على التقدم فى هذه الميادين و يهذبهم على ما يقتضيه نظام التعليم و يفرح كل من يحب دارالعلوم الديوبندية و اهلها بان الاحوال قد تحولت و الظروف قد تغيرت منذ بضعة اعـــوام ، و قررت الهيئة الادارية لدار العلوم باقامة صف خاص للعربية جزءاً هاما لبرنامج المدرسة التعليمى .

فان هذه الشجرة التى كانت غرست قبل سنوات عديدة قد اثمرت و اورقت فى مدة قليلة من حيث اننا نجتنى ثمارها و نتمتع بظلالها من غيرمن و لا كد فاليوم طلبتنا يتكلمون و يتحادثون فيما بينهم بالعربية الفصحى السليمة و يكتبون مقالاتهم بها . و عندنا مجلة عربية تصدر اربع مرات فى سنة و هى الرابطة بيننا و بين العرب .

و يسرنى ان اقول فى ختام الحديث ان كل ما نرى اليوم عن نشاط كبير للعربية يرجع فضله الى صديقى اللبيب الاديب الاستاذ وحيد الزمان الكيرانوى هو فتى مترعرع ، ليس بشيخ متسمسع هش بش ، مجد فى عمله و مخلص فى نيته و طينته ، وهو لم يأل جهده فى رفع مستوى العربية و تنشيط آدابها . و وقف حياته و قواه لخدمة العلم و الدين جهرا و سرا و هو من يتأسى به اقرانه فى لاكباب على العمل ، فله الشكر و المنة و اخيرا اشكركم شكرا جزيلا مرة اخرى . لدعوتكم اياى للحضور فى حفلتكم هذه - و ادعو الله سبحانه و تعالى لكم جميعا ان تعيشوا بالخير و العافية و بالصلاح و التقوى - و اخر دعونا ان الحمد لله رب العالمين .

الدرويش و الحجاج

ظهر فى بغداد « درويش » زعم انه مستجاب الدعوة . .
فاستدعاه الحجاج و قال له : ادع لى بالخير . فقال الدرويش
بعد ان رفع وجهه الى السماء : اللهم اقبض روحه . فصرخ
الحجاج فى وجهه غاضبا : ماذا ؟ ؟ فقال الدرويش : هذا
الدعاء خير لك و للسلمين كافة .

• • •

نظريات المـاديين فى الكون و نظامه

للاستاذ الشيخ صالح بن الغالب القعيطى

★ ★ ★

الكون عند الماديين عبارة عن مادة و حركة و نواميس فيعتقدون ان الوجود نشأ و انتظم بسبب وجود نواميس طبيعية لا تتغير و هى عبارة عن القواعد الثابتة التى تخضع لها جميع الكائنات و التى من مقتضاها ان الحوادث المتشابهة تحصل دائما فى احوال متشابهة فمن جملة النواميس عندهم ناموس الانتخاب الطبيعى و معناه ان الطبيعة بنفسهـا مندفعة للرقى لدائم و مسوقة لان تنتخب الجيد الصالح من الكائنات و تبيد الفاسد منها ، و معنى قولهم هذا هو انهم يعتقدون ان الابداع الوجودى حدث بواسطة الانتخاب الطبيعى و من مقتضاه ان لا يبقى الا الاصلح للبقاء فيقولون ان المادة لما كانت قديمة هى و نواميسها فهى دائمة الحركة و التشكل بمقتضى

النواميس ، فاذا فرضنا حدوث نوع من الحيوان فكل اشخاص ذلك الحيوان لا تكون على درجة واحدة من النماء و القوة فالاقوى و الانمى من افراد هذا النوع يسبقون الضعاف الى مظان الغذاء و ينازعونهم البقاء فيزداد الاقوياء قوة على قوتهم و يزداد الضعاف ضعافا على ضعفهم فيلد الاقوياء افرادا اقوياء يكتسبون مع الزمان صفات جديدة ترسخ فيهم فتصير احوالا و يلد الضعاف ذرية ضعيفة ينحط عن اصلها درجات ثم ينتهي الأمر بتلاشي الضعاف و بقاء الاقوياء . و قالوا ان الطبيعة بنظامها التام خرجت من العماء و ان وجود النواميس الطبيعة كافية لتعليل الكون فقال الفلكيون منهم يكفينا قانون الجاذبية في تعليل التكون و قال الاخرون منهم يكفينا قانون المادة و القوة و نواميس الطبيعة عن الاعتقاد بقوة تدبر العالم و لا تقع تحت الحس و قالوا ليس الأنسان الاجسم ذو تركيب عضوي و لكل عضو منه و ظيفة خاصة . و قالوا ان الفكر الذي يحمله الانسان بين جوانحه غير شاعر به له في الفزيولوجيا مرد يرجع اليه .

و من اكبر الادلة التي يقيمها الماديون على قدم المادة هو قولهم انه لايمكن خلق شئ من لا شئ اي من العدم و لازوال شئ إلى لاشئ . و قالوا ان الطبيعة بنظامها التام خرجت من جوف العماء الصرف و قد تكلمنا على وجود الشئ من العدم و شبهاتهم الاخرى(١) والآن نتكلم على قولهم ان الطبيعة خرجت من العماء و ان النواميس كافية لتعليل الكون فنقول

---

(١) قد نشرنا في الاعداد السابقة عدة بحوث عن وجود الخالق و الاستدلال عليه بالكائنات و سنأتي لبعض البحوث في الاعداد القادمة ـ انشاء الله تعالى ـ التحرير

ان هذا القول قول هراء لا يثبت امام النقد العلمي فكيف ينتج العمياء نظاما تاما في الكون و كيف يصدر هذا النظام البديع الذي تراه في الكائنات من غير قصد و كيف تصدر الحياة من اللاحياة ، فانك ترى نظاما تاما في الطبيعة و نسبة تامة تضبط تركيب المادة . و ترى في ملكوت السموات و الارض نظاما متقنا يدهش العقل بل يعجز الانسان عن ادراك حقيقته . و لم يدرك الانسان إلى الآن سر الحياة ، قال الله تعالى في مسئلة الروح ﴿ و ما او تيتم من العلم الا قليلا ﴾ . فهل يكفي قانون الجاذبية او النواميس الطبيعة في تعليل الكون و هل يجوز لنا ان نعلل نظام الكون بالجاذبية و النواميس الطبيعة مع انها عمياء صماء استطاعت ان تكون هذا التكوين البديع ، و هل يتصور ان شيئا محروما من العقل و الادراك ينتج كائنات متمتعة بعقل و ادراك و كيف تتوصل هذه المادة الصماء المجردة عن الشعور الى خلق العقل و الحواس في الجنس البشري و هل النواميس المجردة عن الحياة و الادراك تستطيع ان تهب الحياة لسواها فان فاقد الشئ لا يعطيه كما هو بديهي ، فليس للماديين على هذه المسائل اجوبة مقنعة ابدا . فالعقيدة بابدية المادة و ازليتها و تمتعها بخصائص لاحد لها ، هي عقيدة لا تثبت بالدلائل العقلية او البراهين الحسية او الدلائل التجريبية و لا عبرة بقوله انه يرى المادة بعينه و يلمسها بيديه لا نه مضطر بالقول بوجود مادة غير ملموسة كالاثير ، كما ستعرف ذلك في البحث عن المادة و فوق ذلك يعز وللمادة صفات لم ير ملازمة تلك الصفات لها . و لم ير القوى الا ملازمة للمادة و لم يعرف حقيقتها ،

وانما هي افتراضات لاثبات مذهبهم ، فالماديون قائمون على اصل ليس لهم دليل حسي و لا دلائل تثبت امام النقد العلمي مع ادعائهم بانهم لا يقبلون الا ما ثبت بالحس . قال الفيلسوف روبينه ، يريد الفلاسفة الحسيون أن يبعدوا كل خيال أو توهم و أن لا يعتمدوا الا على المشاهدة المحسوسة و أن يحذفوا من أقوالهم كل الافتراضات التي لا يمكن تحقيقها . هذه أصول الفلسفة الحسية ، فهل الماديون منها في شيء ؟ هل منها الحكم بقدم المادة و ابديتها و بعدم وجود عالم ارفع منها ؟ و هل منها الاعتماد على الافتراضات العلمية و بناء المذهب المادي عليها .

اصغ إلي لأتلو عليك ما يقوله العلم الحسي عن لوجود و ما فيه و عما ندركه منه بحواسنا القاصرة . ثم احكم بعد ذلك ان كان يحسن بنا اعتمادا على هذه الحواس المضلة ان نزهى بما نعلمه من هذه القشور المسماة بالعلم الطبيعي و ان نبني عليها مذهبا إلحاديا ندافع عنه بحماسة اهل القرون الوسطى و ان نصد عن كل بحث جديد يؤتينا بحقيقة مجهولة مناقضة لهذه المقررات السطحية بحجة أنها قررت ان المادة قديمة و انه ليس وراءها مرمى .

(يتبع)

الفاضل ابوبكر الغازى بورى . المدرس بمركز التعليم الأسلامى - بغازيبور

عدنا عبيدا ادلاء (فكريا) و لو تحررت اجسامنا و اراضينا ، و صرنا عرضة للاستذلال و الاستخذاء . ففقدنا مكانتنا السامى و تاريخنا اللامع الزاهى ، بعد ما سدنا العالم ، و انرنا الكون بالاشرقات الاسلامية و لمعات الامجاد و ادرنا دفعة القيادة و الزعامة ، و التوجيه و الارشاد حقبا طوالا و امدا بعيدا . آيات تلك الايام المنقرضة لا تزل باقية على مر الدهور و القرون عدنا نتكفف و نتسول ، نتجول و نستجدى بعد ان اغنينا العالم بالثروات المادية و الروحية ، و اسبغنا عليه من الخير و الايادى ما لا يأتى عليه حصرو لا عد . .

عدنا نعيش عاثرين ، ساقطين . فاشلين . مغلوبين ، منهزمين . متأخرين

فى مجالات الحياة ، عدنا عالة على الغير ، و بدأنا نشعر فى داخل انفسنا بالهوان و النقص و بالذل و الضعف ، انبهرت اعيننا امام المضاهر الخلابة و الظواهر الجوفاء البريقة ، لا ترتفع اعناقنا و رؤسنا امام الدول المتحضرة المعاصرة و لا تشمخ انوفنا امام رقياتها الهائلة المدهشة — و كنا قبل ايام قلائل نحن الذين تربعوا على عروش الحكم و السيادة ، و ساقوا العالم خير مساق ـ و كان الناس يهابوننا و جباههم تنقاد لنا ، و كانت لنا نحن الامة الاسلامية كلمة نافذة مسموعة مطاعة ، — ، عدنا فقراء ، و صرنا عدماء فى الثقافة و العلوم و الصناعة و الحرف ، بعد ما كنا مراجع الأقوام فى كل ضرب من الحاجات ، كانت بايدينا مفاتيح العلوم ، و كنا نحن الذين اتوا بالغرائب و العجائب ، و المدهشات والمحيرات . و الخوارق و المعجزات فى ميدان العلم و الأدب و الصناعة و التجارة و الفنون و الثقافة . و الأكتشافات و البحوث — انعكس الوضع الآن و تحولت الحال . تبدل الفكر و تغير الأسلوب . و هبت الرياح على غير المجرى الذى كانت تهب عليه .

تعيش الأمة الأسلامية فى كل بقعة من بقاع العالم فى موقف حرج عصيب ، و فى ظروف قاسية عاتية ، و فى احوال استعصت معالجتها على القادة المسلمين ، يقضى المسلمون ايامهم الحاضرة ايما كانوا متشردى الذهن والبال فى بلبلة و اضطهادات . و فى قاسيات وضاريات حائرين تائهين .

هم لم يهتدوا حتى الآن الى العوامل التى ادت بهم الى هذه الحالة السيئة و الموقف الشنيع و السقوط و التدهور و الانحطاط و الانهيار ـ

الى هذا الفشل الزريع فى ميدان الحياة ، و الى هذا التخاذل و التساقط فى كل منحى من مناحيها ۔

و مادروا ماهى الوجوه التى جعلتهم فى حضيض و هوان . فى ضعف و خور ، و جلب عليهم هذا الداء الخبيث الذى نخر كيانهم و زعزع صرحهم ، و اصاب فى عضدهم ، و من اين جاء هذا البلاء التطاير الشر و هذا الفساد الجائح المكتسح ، كنا امة قوية ذات امجاد و تاريخ ، متماسكة اللبنات شديدة الاعضد ، تصمد امام العواصف و الزوابع ، و تشق طريقها بين العقبات و العراقيل ، بين الهضبات و الطرق الوعرة . تصول و تجول ، تهاجم و تدافع ، مجاهدة فى سبيل الله بمالها و نفسها مغارة من غير اكتراث بالمصاعب و المشقات التى تصادفها فى سبيل اعلاء كلمة الله كانت غايتها النهائية الحصول على رضوان الله و كسب السعادة الدنيوية و الاخروية ، و الفلاح فى الدارين ، تتلو و تقرأ قول الله الكريم ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ،

تسمو بالروح الدينية و تعلو بالعواطف الاسلامية الجياشة ، تستهدف الخير للناس و للدين . يدفعها الايمان ، و يحفزها القرآن تؤ من بان خيرها فى الاعتصام بالكتاب و السنة . و الاقتفاء للآثار النبوية ، و التمسك بالشريعة الالهية . و تطبيقها فى الامور الكونية . و تنفيذها فى كل مجال من مجالات الحياة ، كان يحدوها ايمانها الى الرجوع الى الله فى كل لحظة و استشارة تعاليمه فى كل امر . كانت ترى بوارا و مهلكة فى الحيد عن الطريق الذى اوضحه نبينا عليه افضل الصلوت و السلام ، و كانت تعتقل

ان الانسان لايستكمل عزته و كرامته ، و لاينال السعادة فى دنياه و اخراه ، الا اذا سار على ذلك المنهج الذى هداه اليه الكتاب و السنة و الشريعة الالهية ، و سلك فى حياته بحسب الطبعية التى خلقه الله تعالى عليها ، فما من مولود الافطره الله تعالى على فطرة الاسلام ، و لاتسعد حياته الا اذا حقق الغاية التى خلقه الله من اجلها ، و هى العبادة الله و الخضوع له و الانقياد لاوامره ، قال تعالى ، و ماخلقت الجن و الانس إلا ليعبدون (١) ،

كنا أمة ساعية لأن تكون كلمة الله هى العليا ، و علم الاسلام هو الخافق على الاكوان و أن يخرج خلق الله من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن ، و من الاصنام الى الاسلام ، كانت غايتنا القصوى أن يطهر المجتمع الانسانى و الاسلامى من الاخلاق الرذيلة ، و العقائد الفاسدة الخبيثة ، التى لا تتمشى مع فطرة الاسلام . و ان تصفو البيئات من الخرافات الجاهلية ، و العوائد العتيقة . و أن يكون المسلمون مخلصين لاسلامهم . و خاضعين للانظمة التى انبثقت من ينابيع الكتاب و الاسوة النبوية . يتحمسون لها و يؤمنون بها ايمانا قويا كاملا ، من غير انحياد و انتكاص ، يرتسخون فى عقائدهم من غير ميبع وذوبان . ولانبتغى امام المناهج المفترعة لمخترعة . كنا لا نتقبل اى نظام غير الاسلام و لا نبتغى بديلا عنه . و كنا نغير و نشق الغارة على المبادى و الاصول و الافكار و المعتقدات التى لاتمت بصلة بالاسلام . فكانت قوة الامة لاسلامية بدينها .

(١) الذاريات

و فتحها و انتصاراتها ، فی خضم الحياة و محيط المعارك باعتمادها ، عـلى ذات الله ، و ثقتها بنفسها . و كانت شعائرها و افكارهـا اسلامية محضة خالصة من كل نوع من القذارة والالحاد و الانحراف و الانحياد ،

كان هذا تاريخنا نحن المسلمين ، تاريخ الامة الاسلامية التی كانت بيدهـا لواء الاسلام ، و ليس هنـا من يجادل فی ذلك فاوراق كتب التاريخ شاهدة امينة . و صفحاتها ممتلئة بما قلت ،

اعملت تفكيری طويلا فی البحث عن العوامل التی سببت لنـا هـذا التخاذل و الفشل .والانحطاط و التدهور ، فهدانی تفكيری الدقيق الطويل الى ثلثة أمور ، و ماعدا ذلك اسبـاب كثيرة فی بادئ النظر الا انهـا ترجع كلها الى هذه الثلثة ،

(۱) قد ضعف إيماننا بديننا ، و تجردنا من الايمان الحقيق الاصيل ، و حرمنا من الاشعاعة الأيمانية الحقيقة ، و ابتعدنا عن التعاليم الأسلامية الصافية ، و خلعنا من اعناقنا قلادة الأنقياد لها ، فعصينا ربنا ، و انحرفنا عن المهج الألهی القويم ، و تجردنا عن الأخلاق الكريمة ، النبيلة الأسلامية ، و فشت فينا اخلاق فاسدة قذرة . من حب المال و الطمع و الحرص . و التكالب على حطام الدنيا و التساقط على فتاتها ، و البعد من القيم السامية . و التباغض و التضاغن ، و عرينا من دافع التضافر و التبساند ، و الأخلاص و الأصلاح و قام بين ابناء لأسلام شجارشديد ، و نزاع بغيض ، مجتمعاتنا خالية متجردة من ذكر الله ، و بناتنا طائشة منحرفة ، بيوتنا تسودها الجهالة و الحضارة الغربية ، و افكار ناقد تسلطت عليهـا

الشيوعية و الماركسية ، قلوبنا خالية من تقوى الله ، و انجر الشعب المسلم اينما كان وراء أهوائه و شهواته ، يعمل حسب مرضاته و مقتضيات نفسه و طبعيته و انخلى من المعانى السامية . و الثقافة الاسلامية .

و التاريخ الاسلامى الزاهى اللامع يدلنا على أن المسلمين حينما بلغوا هذا الحد من الفساد الخلق ، و الانحطاط الأدبى فبعث الله عليهم عذابا يتلون به ، و نحنا يصابون بها . فان المسلمين لم يرتفعوا أبدا و لم تعل كلمتهم الا بدينهم و بالقوة الروحانية ، و بالايمان ، الحقيقى الناضج ، و الاعتماد على أنفسهم و الوثوق بذواتهم ، و أما الانحراف من تعاليمهم القيمة ، و التشاغل بتحقيق المطالبة الجدية و التوغل فى لذائذ الحياة ، و متعتها الفانية الحقيرة ، والتشامخ على الاحكام اللالهية فهى امور تجلب عليهم الشر و الفساد ، و لا تزيدهم الا انحطاطا و تدهورا ، كما ترشدنا الى ذلك هذه الآيات من القرآن الحكيم « و من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » (١) وقال تعالى ،

« ان الذين يحادون الله و رسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم » (٢) و قال تعالى « ليجزى الذين اساؤا بما عملوا و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى » (٣) و قال تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بانفسهم » (٤) و قال تعالى : و انتم لأعلون ان كنتم مؤمنين ، و قال تعالى « ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كان لم يسمعها كان فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم » (٥) ،

(١) طه (٢) مجادلة (٣) النجم (٤) رعد (٥) جاثية

و قال تعالى الذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم » (۱)
و كما ترشدنا الى ذلك الأحاديث النبويه : قال عليه الصلوة و السلام ،
ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيروا فلم يغيروا
الا أن يوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب (۲) ، و قال عليه السلام
حب الدنيا رأس كل خطيئة (۳) ، و قال النبى ﷺ « ما ظهر الغلول
فى قوم الا ألقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب و لافشا الزنا فى قوم الا كثر
فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال و الميزان الا قطع عنهم الرزق ،
و لا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ، و لا ختر قوم بالعهد الا
سلط عليهم العدو (٤) ، و غير ذلك من الآيات القرآنية و الأحاديث
النبوية . فانها تبين ان الاخلاق الدنيئة و المعاصى و الانحراف من
الاسلام هى من مجلبة الفساد و الشر و الانحطاط و الفشل ·

(۲) عتمد المسلمون على غيرهم ، و فقدوا الثقة بانفسهم ، و فى
غالب الأحيان يكون اعتمادهم على من يكمن العداء له ، و يأتى عليه
بالمضار و الخسائر ان هذا العدو الماكر الذى يعتمدون عليه ، لا يتفكر
الا فى نفعه الذاتى و مصالحه الشخصية ، قبل ان يتفكر فى نفعهم . و اما
ما يصل اليهم فى بعض الأحيان من المعونات المالية و العسكرية منه فلا
لأنه يريدلهم الخير و السعادة ، بل انما نفسه و لنفع ذاته · لينتهز فرصة
مواتية له . و لتحول مجرى الأمور الى جهته و لأن يقلل من حرية
تحركاتهم و تصرفاتهم ، و لأن يرسخ قدمه فى العالم الأسلامى تهيا له

---

(۱) جاثية (۲) ابو داؤد ، و ترمذى . (۳) ابو داؤد (٤) مالك

المراقبة لكل حركة و نشاط ، و لأن يعيش الشعب المسلم تحت مراقبته الشديدة ، فان التصالح بين المسلم و الكافر ، لايمكن و الكفر و الأسلام لايتفقان ابدا . و لايهدأ ما بينهما من صراع شديد ، فالكفر سواء كان فى مظهر الشيوعية او الماركسية ، او البلشفية ، او الاباحية ، او الغربية ، فهو ملة واحدة ، ان هذه المذاهب و الأفكار و الوجهات و النظريات لا تتفق مع الاسلام فى شئ . و من الأسف ، ان المسلمين خاضعون لها فى نفس الوقت خضوعا تاما ، مادين ايديهم الى امريكا و مرة الى روسيا . و مما لا مجال فيه لانكار أو جدال أنه ما من قوم فقد اعتماده على نفسه و الوثوق بذاته ، هان و خار ، لا يسبق فى مجالات الحياة و لا يكسب الخير و السعادة فانه يكون عالة على غيره فى حياته كلها ، يعيش دائما فى نكبة و خسران و هذا من سنة الله و سنة الكون ، و كما يدل عليه تاريخ الأمم و تاريخ الأقوام ، (٣) تركنا التفكير الواعى فى خلق السموات و الأرض و التأمل فى عجائب الكون ما استفدنا من حوادث الأيام و تجارب الحياة . ما استخدمنا ما رزقنا الله من العقل و الذكاء ، فى الاستفادة من الوقائع و الحوادث ، و الاعتبار بها ، و ما استخدمنا كذلك المواهب الفكرية . و الكفاءة العلمية . و القوة العقلية فى الاكتشافات و الأبحاث . و فى الاطلاع على ما خلقه الله فى طيات الأرض و جوف الكون و ما اشتمل عليه هذا العالم . من مصادر الثروات و الزخائر و الكنوز ، و الملائمات و السائلات.

ان الدول المتحضرة المتثوية التى تسيطرت على العالم الاسلامى

واللتى تروج عملتها فى كل بلد اسلامى : و التى افتقرت اليها الدول المسلمة ، انما هى بذلت جهدا جبارا فى الاكتشافات و الكشوف العلمية و كرست جهودها فى توسيع التجربة على الكون . انها ما توانت فى انفاق العقل و الفكر للبلوغ إلى ما فى هذا الكون من آيات الله الكبرى ، حتى تيسر لها أن يكون بيدها العلوم و الصناعة و أن تكون لها القيادة و الزعامة ، و عكس ذلك كليا حال المسلمين فى العالم ، الذين كان بيدهم العلوم . و كل نوع من الصناعة و الفن فى الزمن الغابر ، فانهم اضحوا الآن فقراء فى كل شئ إلى غيرهم أنهم لم يقدروا هده الثروة العظيمة ، التى آتاهم الله اياها ، و جعلوا مقصد حياتهم الانغماس فى الشهوات و الملاعب الهدامة و الملاهى المخزية . لم يستعملوا عقولهم و هواهيهم فى الغامش حياتهم و اعادة السعادة الى الامة المسلمة التى صارت عرضة للبؤس و الشقاء ، انهم لم يعتبروا بالكون و ما فيه من عجائب صنع الله ، و الله دعاهم فى كتابه الى النظر الى ما فى الليل و النهار ، و ما فى البر و البحر ، فقال تعالى ،

ان فى خلق السموات و الارض و اختلاف الليل و النهار و الفلك اللتى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، و ما انزل الله من السماء من ماء فاحيابه الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الارض لآيات لقوم يعقلون ، (١) و قال تعالى . ، هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب من كل

(١) بقرة

الثمرات ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، و سخر لكم الليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، (١) و غير ذلك من الآيات القرآنية تدعو المومن الى التفكير فى خلق الله ، فما دام المسلمون لايصحون من غفوتهم و غفلتهم و لايرجعون من اهمالهم و لايصلحون انفسهم و لايتمسكون باهداب الكتاب و الشريعة و لايعملون بتعاليم الاسلام ، لايرجى لهم السعادة و الفلاح و السبق و التقدم ، و ماداموا لايهتمون بهذه النقاط الثلاثة الهامة و لايعتنون بها اعتناء بالغا لايكون لهم مكان رفيع بين الامم و الاقوام المعاصرة ، و الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ؟

محمد ابوبكر الغازى بورى

(١) نحـل

الله اكبر

● ● ●

وأنتم يابنى الانسان غركم ماعندكم من قوى فى الفكر مهداة
و قد نسيتم مبادئ خلقكم نطفا اشد ضعفا و ادنى من دويدات
فخلتم انكم تغنون عنه وما دريتم انه رب السماوات
فالله اكبر ما اصفى مكارمه و ما ابر تغاضيه عن العاتى

السعادة ارتقاء الروح

● ● ●

ظنوا السعادة فى التأنق و التظرف و التفاخر
و اقامة الدور الشواهق و العلالى و المقاصر
و هو افتتان بالقشور و وقفة حول الظواهر
اما السعادة فهى فى ان تفتق الحجب السواتر
و تنال من معناك ما حرمته همات قواصر

كن بالله معتقدا

● ● ●

لا تشك ضائقة يوما الى احد كى لا تغم صديقا او تسر عدا
ما دام عسر و لا يسر على احد كل يزول فكن بالله معتقدا

اخبار عن دار العلوم

* * *

قرر مجلس الشورى للدار فی دورته السنوية الثانية المنعقدة فی شهر شعبان الماضی ادخال تعديلات هامة علی المناهج الدراسية للدار و وافق علی خطة جديدة للدراسة . و قد جری تطبيق المنهج الدراسی الجديد من شهر شوال (العام الدراسی الجاری) و سيتم بعض تعديلات اخری و وضع نظام جديد للالتحاق و تقسيم المراحل الدراسية ، فی العام الجاری انشاء الله . و ستنشر المناهج الدراسية بعد ان يكتمل وضعها و تتشكل بشكل نهائی كامل

° ° °

ابتدأت اجراءات الالتحاق بالأقسام التعليمية كلها للعام الجديد من ١١ شوال و ابتدأت الدروس فيها من ٥ ذيقعدة سنة ٩٠ هجـ .

° ° °

بدأ النادی الأدبی لطلبة دار العلوم نشاطه الأدبی و اللغوی كالمعتاد و قد شكلت هيئة اداريه لشهرين موقتا . و سيجری انتخاب و تعيين المسئولين للعام الجاری فی شهر محرم الحرام .

° ° °

عقد النادى الأدبى حفلته الافتتاحية فى القاعة الفوقانية فى ٢٣ ذيقعدة سنة ٩٠هجـ للتعريف باغراض النادى و اهدافه ، و قد حضرها عدد كبير من الطلبة و تشوقوا الى الا نتساب الى النادى و الاشتراك فيه كاعضاء و اصدقاء للتمرن على اللغة العربية خطابة و انشاء .

° ° °

انعقدت فى شهر شوال جلسة عادية للمجالس الادارية التابع لمجلس الشورى لمراقبة الاعمال فى الأقسام التعليمية و الادارية و الفصل فى القضايا الهامة و الطارئة او المفوضة اليها من قبل مجلس الشورى ؟

طبعت بالمطبعة الكوثر

سرائمير - اعظم گڈھ

قام بالطبع و النشر وحيد الزمان الكيرانوى من دار العلوم بديوبند

تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد ... رئيس الجامعة

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم بديو بند كل ثلاثة اشهر

رئيس التحرير المسؤل

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوى

فى الهند و باكستان ست روبيات

فى الخارج ما يعادلها عدا اجرة البريد
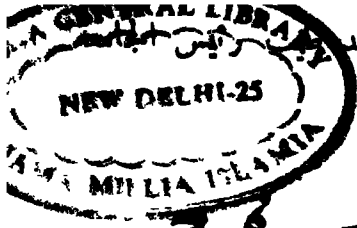
العدد الثانى - المجلد السابع

ربيع الاول سنة ١٣٩١ھ

مايو سنة ١٩٧١ م

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٦ روبيات فى باكستان إلى العنوان التالى :

الحاج شوكت على يو . پى سوڈا فيكٹرى ناتهہ روڈ ـ لاهور

ملحوظة : يرسل إيصاله إلينا بعد تحويل المبلغ على البريد

الوفاء عماد النظام الاجتماعى

بقلم فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

(يا ايها الناس اوفوا بالعقود)

١ ـ العقد او العهد : كل اتفاق بين طرفين على امر جائز ، و قد يكون العهد من طرف واحد ، وذلك حاصل فى شئون الدنيا و الدين ، اذ تجرى بين بعض الناس و بعضهم مبادلات مالية فى التعامل ، و عقود متنوعة مشروطة او غير مشروطة فى البيع ، و الاجارة ، و الشركات ، و الزواج و نحوها من شئون الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ، كما تجرى بينهم كذلك معاهدات دولية فى التجارة و السياسة و الحروب و الجوار مما تمليه الحاجة ، و يتطلب الامر فيه مؤازرة و تناصرا لتيسير الصعوبات ، و ادراك المقاصد .

٢ ـ و هناك عهود بين الله و عبـاده تعتبر عقودا منوطة بذمة الانسان .

(ا) بعضها تشريعات من جانب الله سبحانه و تعالى بين الله فيها حلاله و حرامه ، و حدد فيهـا حدوده التى امر الناس بالوقوف عندها ، ونهاهم من تجاوزها ، بل نهاهم احيانا عن القرب منها : مبالغة فى صيانتها و عدم انتهاكها ، و خلق فيهم عقولا لاتفطن و تميز الخبيث من الطيب ، و الزمهم ان يفقهوا بهـا ، و ان يتخيروا لانفسهم و يطيعوه فيما دعاهم اليه ،

فكانت هذه التشريعات . و مايقترن بهـا من دعوة العقول الى تلقيها بالقبول ، و ماتهيأت له العقول من ادراك و تمييز و قبول ـ بمثابة العهد او العقد بين الله و الناس ،

(ب) و بعض هذه العهود (بين الله و الناس) من ناحية الانسان نفسه ، كان يتعهد المرء بعمل طاعة من الطاعات فيما يسمى نذرا ، او يعاهد غيره على المشاركة فى عمل مبرور : كبناء مسجد او مقاتلة عدو لله و لدينه ، او مساعدة محتاج فى حاجة هامة ، او نحو ذلك ممـا يعد طاعة دينية . و هذه ايضا عقود ، او عقود منوطة بذمة الانسان كا الزم نفسه : فحديثنا الآن ذو جانبين : احدهما عقود دنيوية تكون بين بعض الناس و البعض : و ثانيهما عهود دينية و هو ما بين الله

و عباده سواء : أكان من ناحية التشريع الديني ، ام كان من ناحية الزام المرء نفسه بعمل صالح ،

٣ و مادام الدين لمصلحة الناس : و مادام التعاقد المشروع لدنياهم مستمدا من جانب الدين و تشريعاته : فلاحرج ان نعتبر الحديث عن العقود و العهود ـ مهما تنوعت ـ سياقا واحدا ليس فيه جانب و جانب ، اذ الدين لاصلاح الدنيا ، و الدنيا لتمام الدين ، و القيام بالتزاماته ،

و على اى نحو كان توجيه الحديث : فالله تعالى يلقى علينا امره بالوفاء بالعقود في قوله سبحانه « ياايها الناس امنوا اوفوا بالعقود » اى انجزوها على وجه الكمال ،

و هذا امر شامل لكل مابيننا من عقود مشروعة ، و لكل مانلتزمه لله من عمل مبرور ، و لاتخرج عنه التشريعات المدنية الوضعية التى لاتحل حراما و لاتحرم مباحا . فالدين يقرها ، و يعتبرها من مسئولية المسلم بوجه عام ، و يطالب الناس بطاعة اولى الامر فيها ، ليستقيم حال الناس فى دنياهم ،

٤ ـ و معروف ان التعاقد او التعهد لم يقصد منه غير تحقيق مصلحة مستساغة شرعا ، او عرفا ، و ان التخلف عن الوفاء بهذا الالتزام يهدم ثقة بعض الناس ببعضهم ، و يهون عليهم التلاعب فى تعاملهم ، و يعرض مشروعاتهم الحيوية للفشل و يشيع الفوضى بينهم ، .

هذا و تجارب الناس فيما وقع بينهم ، و ماطرأ على تعاملهم من آثار طيبة للوفاء ، و آثار كريهة للخديعة و الغدر : كل ذلك يساعد على

ادراك حكمة « يريد الله بكم اليسر و لايريد بكم العسر »

و فى الحق : ان اضطراب المعاملات ، و تشعب الخصومات ، و زعزعة الامن ، و اكثرماينتاب الاسر من تصدع ، و ما ينقص النظام الفردى و الجماعى و ماتزدحم به دور القضاء ، و ماتسفك الدماء بسببه ، و ماتنشب من اجله الحروب : كل ذلك فى واقع الحال او فى اغلب الاحوال ناجم عن التنصل من الوفاء ، و التلاعب بالعقود ، و الخيس بالعهود ، طواعية للانانية ، او غرورا بالنفس ، او استخفافا بالعاقبة ، او تحللا من النظام . و جنوحا الى الفوضى ، و تهافتا على المظالم و التهام الحقوق ،

٥ - و لم يستقم شأن الناس - فيما جرت به الحياة يوما - على الغدر وعدم الوفاء . و ان التاريخ ليحدثنا عن آثار ذلك فيما وقع بين افراد او دول ، و فى تفاسير القرآن ، و كتب الادب و التاريخ قصص واسعة ، و امثلة كثيرة ، لما احدثه اهدار الناس للوفاء بعقودهم و معاهداتهم ، و فى حياتنا الحاضرة اوضح الشواهد لما نقوله عن الغدر بالعقود ،

و لما كان الناس لايتنبهون دائما الى تجاربهم ، و لايتعظون بما جرى على غيرهم كان للقرآن توجيهات اكيدة ، و اوامر شديدة ، بالحث على الوفاء حتى مع الخصوم و الاعداء المحاربين ، ذلك لان الوفاء - فى ذاته . و فضلا عن منافعه - خلق كريم ، و شعار للمروءة و النبل ، اذ هو صدى للضمير الحى ، و مرآة للنفس الابية ، و تلك شمائل يوحى بها الايمان ، و لاتستقر الا حيث يستقر الايمان فى قلب خاص من شوائب

النفاق ، و برئ من خدع الضلالة ، و الاعيب الضالين . و ان تكن هناك امثلة للوفاء من غير مومن فهى نادرة ، و هى ناجحة عن طباع سلمت من العوج ، و لكنها من غير تدين ، فتكون كثوب الرياء لاتلبث ان تشف عما تحتها ، او هى كالثلج تحت وهج الشمش لايعيش طويلا ،

٦ - و من اجل ذلك ترى خطاب الله لعباده المومنين اكيدا ، فى مقام الدعوة الى الوفاء بقوله سبحانه « يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » و فى هذا اشعار فى قوة النطق الصريح بان اهل الوفاء هم المومنون ، و ان المومنين حقا جدير بهم الا يفوتهم الوفاء بماتعاقدوا عليه ، اذ المفروض ان المومن بربه مومن بتعاليمه ، و مومن بمبدئه ، و بشخصيته ، و انه مستجيب لكل ماهو من مقتضيات الايمان : فجاء الخطاب مطابقا لتلك الصفات : و اما خطاب غير المومن و التعميم فى دعوته الى الوفاء فغير ذى جدوى .

٧ - و طبيعى ان الوفاء المطلوب لايتعدى العقود المستساغة التى أذن بها الشرع نصا ، و التى تتمشى مع ما يحدث من مصالح الناس دون مناهضة المدين ، و لاامتزاج بالاباطيل .. و على ذلك يكون التعاقد - على محرم - او التعهد بمحظور ، او التعرض لما يتنافى مع المصلحة التى توائم توجيهات الاسلام - خارجا عن السياق الذى نحن بصدده ، و ليس الوفاء به من مقاصد الامر الذى نحن بسبيله ، بل هو من المنهيات ، و فى حيزها و الحظر اولى به ،

لذلك ترى القرآن الكريم يردد الامر باالوفاء فى صيغ عدة ، مكتفيا باالاجمال ، و معتمدا على ان الوفاء باالامور الحلال هو المقصود ، و ان

تخصيصه بذلك أمر مفروغ منه ، اذ لاحاجة الى استثناء المحظورات ، فانها بمعزل عن الطلب ، و عن الترغيب فيها ، و ذلك بدهى ، فانظر مثلا الى الآية التى معنا : و الأمر فيها « اوفوا باالعقود » و اى عقود هذه ؟ هى العقود التى تتلق بها مصالح الناس ، و ليس فيهـا منافاة لمقصد الشريعة ،

ثم يفصل بعضها فى ذكر ما اباح و ماحرم : من بهيمة الأنعام ، و صيد الحرم للحرم و غير المحرم ، و تحريم المنخنقة ونحوها ،

و فى آية اخرى يقول سبحانه : « و اوفوا باالعهد ان العهد كان مسئولا » و اى عهد هذا ؟ هو مايكون بين الناس من عقود ، و مايكون بينهم و بين الله من عهود ، فان كلها منوط باالذمة ،

و يقول « و اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، و قد جعلتم الله عليكم كفيلا » .

و يمتدح المومنين فيذكرهم بقوله : « و الموفون بعهدهم اذا عاهدوا » و يقول : « و اوفوا بعهدى اوف بعهدكم »

و هكذا ترى الكتاب العزيز حاثا فى مواطن كثيرة على الوفاء ، و و زاجرا : صراحة او ضمنا عن الخديعة ، و المكر ، و الغدر ،

فاالوفاء جميل ، و الله يحب كل خلق جميل ، و هو من الكمال ، و الله يحب الكمال ، و قدوصف نفسه تعالى بانه لا يخلف الميعاد ، و انه لايخلف وعده ، و ليس احب الى النفس المؤمنة من التخلق باخلاق الله ، و قد حفلت الكتب بذكر الموفين بعهدهم و لوكان فى الوفاء حتفهم ، فكانت ذكرياتهم الخالدة . و قد امتدح الله رسوله ابراهيم بصفات : منهـا

الوفاء بالعهد فى التضحية بولده اسماعيل « و ناديناه ان یاابراهیم قدصدقت الرؤیا » و لمتدح اسماعيل فى وفائه بعهده لابيه « یا ابت افعل بما تومر » و قال الله فيه : « و اذكر فى الكتاب اسماعيل . انه كان صادق الوعد »

و الخلف نقيصة خلقية فى ذاته ، و فى نظر الاسلام بداهة ، و ربما دعت هذه النقيصة الى سوء الظن بالاسلام نفسه عند من يقيسون الاسلام بمقياس اعمالنا . و يعتبرون اعمال المسلم و خلقه صورة لدينه . تفسيرا لتعاليمه -

و من كان كذلك ، او سببا فى شئ من ذلك فهو كما اسلفت حجة على الدين فى نظر الاعداء ، و هو مطعن على المسلمين -

و اجل هذا تنصل النبى - ﷺ - ممن يكون فى هذا الموقف و على تلك الشاكلة ، فقال : من أعطى الدنية من نفسه فليس منا » : يعنى من ظهر بمظهر الخسة . و كشف عن حطة فى خلقه ، فهـــو فى غير عداد المسلمين -

و من دعوات الصالحين التى يحكيها عنهم القرآن الكريم (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا ، لا تجعل عملنا حجة على الدين ، و هذا ينطبق على كل متحلل من خلق الاسلام ، و نابذ لمحامده ، و فيهـا مافيها من مياسم المجد ، و كمالات الانسانية ، و أمارات النبل التى تغتبط بها النفس الزاكية ، و تعتز بها الجباه العالية ، و الاسلام دائما يطلب الى اهله ان يكونوا مثلا كريمة ، فان الاسلام يعلو دائمـا ، و لايعلى عليه ،

فليكن الوفاء من مبادئنا و لوكان مع من لا تحب ، فان الحق حق

و ان لشاح عنه اناس ، و هو شريعة الله : و ان الباطل باطل و ان انضوى اليه كثيرون ، و هو فتنة الشيطان ، و مفسدة الحياة و مهزلة التاريخ .

و النبي ﷺ يقول (ان ديننا لا يصلح فيه الغدر) .

الاستاذ ابو الوفا مصطفى المراغى

* * *

احمدالله الذى لا اله الا هو، و اصلى و اسلم على خاتم رسله

الانسان مدنى بالطبع ، انه بطبيعته محتاج ان يعيش فى جماعة يتعاونون و اياهم على تهيئة وسائل العيش ، و اسباب الحياة ، فهو محتاج ان يستخدم الناس و يزرع لهم و يستصنعهم و يصنع لهم ، و يعلمهم و يتعلم منهم و هو محتاج ان يخالطهم و يعاشرهم و يساكنهم و يرافقهم فى السفر و يستدنى منهم فى الاقامة.

و حاجة كل فرد من الجماعة الى سائرها مما لايشتبه فيه و كلما كثرت مطالب الشخص فى معيشته ازدادت به الحاجة الى الايدى العاملة فتمتد الحاجة و على اثرها الصلة من الاهل الى العشيرة ثم الى الامة الى النوع باسره.

و من يتامل فى لقمة الخبز التى ياكلها او قدح الشاى الذى يشربه او القلم الذى يكتب به او الورق الذى يكتب فيه يجد انه قد احتاج الى عشرات من الايدى التى تعاونت فى اعدادها قبل ان تصل اليه .

و لايستطيع ذكاء الانسان و حذقه مهما بلغا من مراتب الكمال ان يغنياه عن الاستعانة بغيره لان استعانة الانسان بغيره - كما يقول العلامة الماوردى - لازمة له لطبعه و خلقه قائمة فى جوهره ، و الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان ، لان من الحيوان مايستقبل بنفسه عن جنسه و الانسان مطبوع على الافتقار الى جنسه .

الانسان ذو شهوات و غرائز و ميول و اهواء يحب الاستشار و السيطرة . و يحب النصر و الظفر . و يحب التمتع بما تشتهيه نفسه ، و يحب ان يملك مايقدر عليه ، و له شهوات للجنس و الطعام و اللهو و المرح . و له غير ذلك من الشهوات الانسانية و الحيوانية التى يشتد عرامها . و يستعر أوارها ، فتندفع فى طريق الاصطدام و الاصطراع مع رغبات الآخرين ، و لان الانسان مدنى بالطبع و يحتاج ان يعيش فى جماعة ، و لانه ذو رغبات و شهوات قد تتدافع مع رغبات الاخرين و شهواتهم ، احتاجت الجماعات الى قواعد و قوانين تنظم علاقة الفرد بجماعة و تحدد علاقة الجماعة بأفرادها . تحدد علاقة الفرد بجماعة فترسم له مدى مايمارسه من نشاط فى تحقيق رغباته و اراداته حتى لايكون وصوله الى اهدافه و غاياته على حساب حربات الآخرين و رغباتهم . و ترسم علاقة الجماعة بأفرادها فتصورها على انها علاقة اشراف و توجيه للصالح العام فى

نطاق حريات الأفراد و نشاطهم و رعاية مالهم من غرائز و ميول حتى لاتنقلب الجماعة الى رياسة مستبدة و دكتاتورية طاغية تسلب الافراد حرياتهم و رغباتهم و تسيرهم فى فلكها بعصا التسلط و الارهاب ـ

و الانسان له وجوه متعددة من النشاط و وجوه متعددة من العلاقات نحو ربه و نحو نفسه و نحو غيره ، و نلمح عليه فى كثير من هذه التصرفات أثر الغرائز المتسلطة و الفرديه المستبدة فهو فى حاجة الى الموازين التى توزن بها تصرفاته و تصونها من الانحرافات الضالة و تجعلها موائمة لتصرفات الآخرين . و كلما تقدمت الحضارة «الانسان و نما نشاطه ازدادت حاجاته الى القوانين التى تساير ذلك النشاط و تلك الحضارة ـ

فالجماعات الانسانية أيا كانت تلك الجماعات فى حاجة الى نظم و قوانين تنتظم بها امورها و تستقيم بها شئونها ان لم تكن من وحى السماء كانت من استنباط العلماء و الحكماء و فى هذا يقول الماوردى :

« و لذلك لم يخل الله تعالى خلقه منذ فطرهم عقلاء من تكليف شرع و اعتقاد دين ينقادون لحكمه ولا تختلف بهم الآراء و يستسلمون لامره فلا تتصرف بهم الاهواء » ـ

و للا نسان بجماعته علاقات شتى ، له علاقات سياسية و اجتماعية و اقتصادية و قومية و انسانية ، فهو فى حاجة الى الشرائع التى تنتظم تلك العلاقات جميعها . و تعطى حاجته فى سائر اوجه نشاطه ، فهو فى حاجة الى القوانين السياسية و القوانين الاقتصادية و القوانين العسكرية و القوانين المدنية و غير ذلك من القوانين التقليدية المعروفة ، كما انه فى حاجة الى

قوانين اخرى متجددة يقتضيها تقدم الانسان فى الميادين الحضارية ، و لقد كانت الشرائع السماوية على امتداد التاريخ انواعها من تلك القوانين التى تسد حاجات الجماعات فى عصورها المختلفة ، و قد اختلفت موضوعاتها تبعا لاحوال الجماعات و حاجاتها : فمنها مااتسم بطابع القسوة و العنف ، و منها ما انسعت دائرته و غزرت مادته و منها ماكان فى دائرة محدودة حسب مقتضيات الاحوال .

و الشريعة التى تثقل فى ميزان التقدير هى الشريعة التى تسلم تعاليمها بحاجات الانسان كلها و تغطى بالتقنين جميع علاقاته بغيره لذلك كانت الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع لانها ألمت بتعاليمها وغطت بقوانينها كل مايحتاج اليه الانسان فى حاجاته و فى علاقته بغيره . و جاءت باصول القوانين التى تحكم تلك العلاقات و تنظمها ، و القوانين المختلفة التى اشرنا اليها و التى تمارسها الجماعات فى حاضرها أما مشتقة منها او يمكن ان ترجع اليها . و فى روح الشريعة الاسلامية و اصولها من المرونة ما يسد حاجات الجماعات فى تطورها و ترقيها فى مستقبلها .

و من هذه القوانين قوانين جزائية تدين الشخص ببعض تصرفاته و تفرض عليه ما يناسب هذه التصرفات من عقاب مادى ، و منها قوانين اخلاقية لا تدين الشخص على بعض تصرفاته بعقاب مادى و لكنها تدينه خلقيا امام جماعته و تكل جزاءه الى الله ثوابا من فضله و عقابا بعدله ، و التصرفات الاخيرة يمكن ان تسمى السلوك الاجتماعى الخلقى .

السلوك الاجتماعى الخلقى هو العمل او التصرف الذى يمارسه الفرد

نحو الآخرين فی جماعته كتهنئة غيره بحلول عيد من الاعياد او بنجاح فی الامتحان او فی عمل او تعيين فی وظيفة او تهنئة بربح فی تجارة او زفاف علی عرس او سؤال عن مريض و نحو ذلك من التصرفات التی يتصل فيها الانسان بافراد فی جماعته ـ

و تختلف قواعد السلوك الاجتماعی فی الجماعات اختلافا يبلغ حد التناقض احيانا ، فالتحية فی بعض الجماعات تكون بالمصافحة باليد و فی بعضها الآخر تكون بالانحناء و الايماء ، و فی جماعة ثالثة باحتكاك الانوف ، و تحيات العامة غير تحيات الخاصة ، وتحية الصباح غير تحية المساء ، و تحية المرأة غير تحية الرجل ، و تحيتها فی بعض الامم بتقبيل يدها او وجهها ، و مظاهر الحزن و الحداد فی بعض الامم لبس السواد ، و فی امم اخری لبس البياض . و كما يختلف السلوك الاجتماعی باختلاف الامم يختلف باختلاف العصور ، فالمرأة التی ترفعها بعض الشعوب الغربية فوق مكانتها و تسمو بها فوق منزلة الرجل حتی يذل لها الرجل فی الحديث و يرق لها فی المعاملة ، و يفسح لها فی الأمكنة ، هی المرأه التی كان يضعها سلفهم دون منزلة الحيوان ، و يعتقدون ان روحها روح شيطان و كانوا يضعون علی فمها قفلا تغدو به و تروح اتقاء لثرثرتها و فضول كلامها ، كما كانوا يصطنعون فی الحفاظ علی عفافها اعنف الاساليب ، و كانت العفة النسائية فضيلة من الفضائل و اصبح ينظر اليها فی بعض الشعوب بعين السخرية ، و كانت مخالطة الخطيبين قبل الزواج ـ عملا مستهجنا منكرا فاصبحت فی كثير من الامم سمة الجماعات الراقية ·

و يعتبر السلوك الاجتماعی میزان الرقی فی الامم غیر ان من العسیر الاجماع علی سلوك اجتماعی خاص یتخذ میزانا لذلك الرقی ، ففی وسع كل جماعة ان تدعی ان سلوكها الاجتماعی هو النموذج الاعلی و المثل الكامل ، الا ان هناك فضائل عامة تقع موقع الاجماع من الجماعات یمكن ان تتخذ مقیاسا لتقدمها و رقیها ، فالصدق و الامانة و الوفاء و التسامح و الصفح و الایثار و التعاون و السخاء و الاحساس بآلام الآخرین و المبادرة الی اسعاف المنكوبین فضائل یمكن ان تتخذ مقیاسا للسلوك الاجتماعی الرفیع فاذا سادت تلك الفضائل جماعة أمكن أن یقال ان تلك الجماعة علی حظ من الرقی فی سلوكها الاجتماعی -

و لقدعنی الاسلام بالسلوك الاجتماعی كعلاقة لها اثرها فی حیاة الجماعة كما عنی بغیرها من العلاقات و لم‌یتركها لنوازع الفكر البشری ینسخ منها الیوم ماقرره بالامس و ینسخ منها غدا مایقرره الیوم ، و تصطنع منها امة غیر ماتصطنعه الاخری فتختلف باختلاف الجماعات -

و لقد لاحظ الاسلام فی قواعده ان تكون مسایرة للفطرة و موضع اتفاق من العقول السلیمة ، و محققة لخیر الجماعة ، و یمكن ان نجمل تلك العلاقات الآن الی ان یاتی مكانها من التفصیل ، فی انه یجب ان تكون علاقة الفرد ببنی جنسه الاقرباء منهم و البعداء علاقة اخوة و ان یعیش معهم فی محبة و سلام ولا یستأثر دونهم بخیر و لایستطیل علیهم بقوة و ینزلهم من نفسه منزلة الاعضاء من جسمه ، ماینال احدهم من خیر او شر فهو عائد الیه فیرعی حقوقهم و یحفظ اموالهم و یصون اعراضهم

يدفع عنهم الشر و يتعاون و اياهم على البر -

ان بعض الشرائع تناولت بعض قواعد السلوك الاجتماعى ضمن ماتناولته من شئون الجماعات ، و لكن الشريعة الاسلامية تناولت جميع ماتحتاج اليه الجماعة فى سلوكها الاجتماعى حتى يمكن ان يؤلف من تلك القواعد قانون اجتماعى مستقل يمكن تسميته « البر و توكول » الاجتماعى الاسلامى .

و قانون السلوك الاجتماعى لاسلامى يمتاز عن قوانين السلوك الاجتماعية الاخرى بمزايا :

اولاها : انه قانون ثابت لايخضع للنسخ و التغيير لانه يستند الى الدين و يستمد منه و للدين فى نفوس الجماعة قداسته و تقديره ، و له ثباته و استقراره ، و لهذا المعنى فهو واجب التطبيق و الرعاية لايتهاون فيه الا من ضعف دينه ، ورق ايمانه ورقة الايمان ابشع مايوصم به المسلم و هذه ميزة اخرى . و من مزاياه انه يوحد بين مشاعر المسلمين و سلوكهم فلا يكون لشعب اسلامى سلوك اجتماعى يخالف سلوك شعب آخر و توحيد القلوب و المشاعر اهم الاهداف التى تنشدها الشريعة الاسلامية -

و السلوك الاجتماعى يرتبط بالاخلاق اشد الارتباط فسلوك المرء اثر من اثار اخلاقه ، فالبذل اثر من اثار السماحة و التعاون اثر من اثار حب الخير و الفداء اثر من آثار الشجاعه و اغاثة اللهيف اثر من اثار الرحمة و غض البصر اثر من اثار العفة و هكذا تبعث الاخلاق الفاضلة

على السلوك الفاضل كما تبعث الاخلاق السيئة على السلوك المنحرف فالارتباط بينهما كارتباط النتائج بمقدماتها . و لهذا تعنى الشرائع بمسائل الاخلاق كما تعنى بمسائل السلوك و تحتل بمادتها مكانا فسيحا و فى الحديث الشريف « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » و ربما زاحمت قواعد الاخلاق غيرها من القواعد فى بعض التشريعات ويقترن الأمر بالتكاليف فى كثير من آيات القرآن بالامر بالفضائل الخلقية ، كالبر و التعاون و المودة و الامانة و امثالها و فى القرآن الكريم :

« يايها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون » و فى القرآن الكريم من وصية لقمان لابنه :

« يابنى اقم الصلوة و امر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور ، و لاتصعر خدك للناس و لاتمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور ، و اقصد فى مشيك و اغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير »

و ساذكر فى هذه الرسالة بعض انواع السلوك الاجتماعى مما يقع فى حياتنا اليومية و له اثره فى ربط الجماعات و توفير روح المودة بينها مما عنى به الاسلام و لاتختص به طائفة دون اخرى و يمكن بالمقارنة بينه و بين احدث الوان التقاليد الاجتماعية ان يظهر فضل الاسلام و سبقه فى الميدان الاخلاقى الاجتماعى -

نفي الشعر من القرآن

لابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني

★ ★ ★

قد علمنا ان الله تعالى نفى الشعر عن القرآن و عن النبي ﷺ ، فقال : (و ما علمناه الشعر و ما ينبغي له . ان هو الا ذكر و قرآن مبين) (١)
و قال في ذم الشعراء : (و الشعراء يتبعهم الغاوون . الم ترأنهم في كل واد يهيمون) (٢) - الى آخر ماوصفهم به في هذه الآيات - و قال : (و ماهو بقول شاعر) (٣) -

و هذا يدل على ان ماحكاه عن الكفار - من قولهم : انه شاعر ، وان هذا شعر - لا بد من أن يكون محمولا على أنهم نسبوه (الى أنه

(١) سورة يس ٦٩ (٢) سورة الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٥ (٣) سورة الحاقة ٤١

يشعر بما لايشعر به غيره من الصنعة اللطيفة فى نظم الكلام ، لاانهم نسبوه) فى القرآن الى ان الذى أتاهم به هو من قبيل الشعر الذى يتعارفونه على الاعاريض المحصورة المالوفة .

او يكون محمولا على ما كان يطلق الفلاسفة على حكمائهم و أهل الفطنة منهم فى وصفهم إياهم بالشعر ، لدقة نظرهم فى وجوه الكلام و طرق لهم فى المنطق ، و ان كان ذلك الباب خارجا عما هو عند العرب شعر على الحقيقة ·

او يكون محمولا على انه أطلقه (١) بعض الضعفاء منهم فى معرفة أوزان الشعر ، و هذا ابعد الاحتمالات .

فان حمل على الوجهين الأولين كان ما أطلقوه صحيحا ، و ذلك أن الشاعر يفطن لما لا يفطن له غيره ، و إذا قدر على صنعة الشعر كان على ما دونه — فى رأيهم و عندهم — أقدر ، فنسبوه إلى ذلك لهذا السبب ·

فان زعم زاعم أنه قد وجد فى القرآن شعراً كثيراً . فمن ذلك ما يزعموا أنه بيت تام أو أبيات تامة ، و منه ما يزعمون أنه مصراع ، اقول القائل :

قد قلت لما حاولوا سلوتى (هيهات هيهات لما توعدون) (٢)

و مما يزعمون أنه بيت ، قوله : و جفان كالجواب و قدور راسيات (٣) قالوا : هو من الرمل ، من البحر الذى قيل فيه :

(١) : « أطلق عن بعض » (٢) سورة المؤمنون ٣٦ (٣) سورة سبأ ١٣

ساكن الريح نطو ف المزن منحل العزالى (١)

و قوله : (من تزكى فانما يتزكى لنفسه (٢) كقول الشاعر من بحر الخفيف :

كل يوم بشمسه و غد مثل امسه

و كقوله عز و جل : (و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب) (٣) ، قالوا هو من المتقارب :

و كقوله : (و دانية عليهم ظلالها و ذللت قطوفها تذليلا (٤) .

و يشبعون حركة الميم ، فيزعمون أنه من الرجز .

و ذكر عن أبي نواس أنه ضمن ذلك شعراً ، و هو قوله (٥) :

و فتية فى مجلس و جوههم ريحانهم قد عدموا التثقيلا

دانيــة عــليهم ظلالهــا و ذللت قطوفهـا تذليلا

و قوله عز وجل : (و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين) (٦) · زعموا أنه من الوافر ، كقول الشاعر (٧)

لنا غنم نسوقهـا غزار كأن قرون جلتهـا عصى (٨)

و كقوله عزوجل : (أرأيت الذى يكذب بالدين · فذلك الذى

---

(١) يصف يوما مطيرا و النطوف . القطور , و ليلة نطوف : قاطرة تمطر حتى الصباح المزن : السحاب و العزالى و بكسر اللام : جمع عزلاء ، و هى مصب الماء من الرواية و القربة فى أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء . يقال للسحابة اذا انهمرت بالمطر : قد حلت عواليها ، على تشبيه اتساع المطر و اندفاقه باالذى يخرج من فم المزادة . (٢) سورة فاطر ١٨ (٣) سورة الطلاق ٢ ، ٣ (٤) سورة الانسان ١٤ (٥) اخبار أبي نواس ٥٣/٥ (٦) سورة التوبة ١٤ (٧) امرؤ القيس كما فى اللسان ١٢ . ٣٢ و الديوان ص ١٩٢ (٨) نسوقها : نسوقها , غزار : كثيرة . جلتها : جمع جليل ، و هى الغنم الـكبيرة المسنة .

يدع اليتيم) (١) ضمنه أبو نواس فى شعره ففصل ، و قال : « فذلك الذى »
و شعره :

وقرا ءملنا ليصدع قلبى   و الهوى يصدع الفؤاد السقيما (٢)
أريت الذى يكذب بالد ي   ن فذلك الذى يدع اليتيما

و هذا من الخفيف كقول الشاعر :

و فؤادى كعهده بسليمى   بهوى لم يحل و لم يتغير

و كما ضمنه فى شعره من قوله :

سبحان (من) سخر هذا لنا   (حقا) و ما كنا له مقرنين (٣)

فزاد فيه حتى انتظم له الشعر ·

و كما يقولونه فى قوله عز و جل : (و العاديات ضبحاً . فالموريات قدحا) (٤)

و نحو ذلك فى القرآن كثير . كقوله : (والذاريات ذرواً ، فالحاملات وقرا . فالجاريات يسراً) (٥) و هو عندهم شعر من بحر البسيط ·

و الجواب عن هذه الدعوى التى ادعوها ، من وجوه :

اولها : أن الفصحاء منهم حين أورد عليهم القرآن ، لو كانوا يعتقدونه شعراً ، و لم يروه خارجا عن اساليب كلامهم — : لبادروا إلى

---

(١) سورة الماعون ١٤ (٢) أخبار أبى نواس ٥٣/٢ و قد ذكرهما المؤلف فى كتاب التمهيد ص ١٢٨ و لم ينسبهما (٣) أخبار أبى نواس ٥٥،٢ و فى ١ : « لنا هذا » . قال تعالى فى سورة الزخرف ١٣ : (سبحان الذى سخر لنا هذا و ما لنا له مقرنين)

(٤) سورة العاديات ١—٢ . (٥) سورة الذاريات ١—٣

معارضته ، لأن الشعر مسخر لهم مسهل عليهم ، و لهم فيه ما علمت من التصرف العجيب ، و الاقتدار اللطيف - فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك ، و لاعولوا عليه - علم أنهم لم يعتقدوا فيه شيأ مما يقدره الضعفاء فى الصنعة ، و المرمدون فى هذا الشان . و ان استدراك من يجئ الآن على فصحاء قريش و شعراء العرب قاطبة فى ذلك الزمان و بلغائهم و خطبائهم ، و زعمه أنه قد ظفر بشعر فى القرآن (و قد) ذهب أولئك النفر عنه وخفى عليهم مع شدة حاجتهم (١) (عندهم) الى الطعن فى القرآن و الغض منه و التوصيل إلى تكذيبه بكل ماقدروا عليه - فلن يجوز أن يخفى على أولئك . و ان يجهلوه ، و يعرفه من جاء الآن ، هو بالجهل حقيق !

إذا كان كذلك ، علم ان الذى أجاب به العلماء عن هذا السوال سديد ، و هو أنهم قالوا : إن البيت الواحد و ماكان على وزنه لايكون شعراً ، و أقل الشعر بيتان فصاعدا . و الى ذلك ذهب اكثر اهل صناعة العربية من اهل لاسلام .

و قالوا ايضا : ان ما كان على وزن بيتين ، الا انه يختلف وزنهما او قافيتهما (٢) فليس بشعر -

ثم منهم من قال : ان الرجز ليس بشعر اصلا ، لا سيما اذا كان مشطورا او منهوكا . و كذلك ماكان يقاربه (٣) فى قلة الاجزاء . و على هذا يسقط السوال -

ثم يقولون : ان الشعر انما يطلق ، متى قصد القاصد اليه - على

(١) ب : « حاجته عندهم » (٢) س : « يختلف رويهما و قافيتهما » (٣) س : « يقارنه »

الطريق الذى يتعمد و يسلك ، و لا يصح ان يتفق مثله الا من الشعراء ، دون مايستوى فيه العامى و الجاهل . و العالم بالشعر و اللسان و تصرفه و ما يتفق من كل واحد ، فليس يكتسب اسم الشعر و لا صاحبه اسم شاعر . لأنه لو صح أن يسمى كل من اعترض فى كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر ، أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض — : كان الناس كلهم شعراء لان كل متكلم لا ينفك من أن يعرض فى جملة كلام كثير يقوله ، ما قد يتزن بوزن الشعر و ينتظم انتظامه

ألا ترى أن العامى قد يقول لصاحبه : « أغلق الباب و ائتنى بالطعام » ، و يقول الرجل لأصحابه « أكرموا من لقيتم من تميم » ؟ و متى تتبع الأنسان هذا (النحو) عرف أنه يكثر فى تضاعيف الكلام مثله و اكثر منه (١)

و هذا القدر الذى يصح فيه التوارد . ليس يعده أهل الصناعـة سرقة إذا لم تعلم فيه حقيقة الأخذ . كقول امرئ القيس :

(١) قال الجاحظ فى البيان و التبيين ١ — ٢٨٨ :

« و يدخل على من طعن فى قوله (تبت يدا ابى لهب) و زعم انه شعر لانه فى تقدير مستفعلن مفاعلن . . فيقال له : اعلم انك لو اعترضت احاديث الناس و خطبهم و رسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيرا ، و مستفعلن مفاعلن . و ليس احد فى الارض يجعل ذلك المقدار شعرا . و لو ان رجلا من الباعة صاح . من يشترى باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولات ! و كيف يكون هذا شعرا و صاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ و مثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام . و اذا جاء المقدار الذى يعلم انه من نتاج الشعر و المعرفة بالاوزان و القصد اليها . كان ذلك شعرا . و سمعت غلاما لصديق لى ، و كان قد سقى بطنه ، و هو يقول لغلمان مولاه : اذهبوا إلى الطبيب و قولوا : قد اكتوى و هذا الكلام يخرج وزنه على خروج فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن مفاعلن ـ مرتين . و قد علمت ان هذا الغلام لم يخطر على باله قط ان يقول بيت شعر أبدا ، و مثل هذا كثير ، و لو تتبعه فى كلام حاشيتك و غلمانك لوجدته ،

وقوفا بها صحبى على مطيهم　　　يقولون لا تهلك اسى و تجمل (١)

و كقول طرفة :

وقوفا بها صحبى على مطيهم　　　يقولون لا تهلك أسى و تجلد (٢)

و مثل هذا كثير .

فاذا صح مثل ذلك فى بعض البيت و لم يمتنع التوارد فيه ، فكذلك لا يمتنع وقوعه فى الكلام المنثور اتفاقا غير مقصود اليه . فاذا اتفق لم يكن ذلك شعراً .

و كذلك يمتنع التوارد على بيتين ، و كذلك يمتنع فى الكلام المنثور وقوع البيتين و نحوهما .

فثبت بهذا ان ما وقع هذا الموقع لم يعد شعرا ، و انما يعد شعراً ما اذا قصده صاحبه : تاتى له و لم يمتنع عليه .

فاذ كان هو مع قصده لا يتأتى له ، و إنما يعرض فى كلامه عن غير قصد اليه — لم يصح أن يقال : إنه شعر ، و لا إن صاحبه شاعر . و لا يصح ان يقال : إن هذا يوجب أن مثل هذا لو اتفق من شاعر فيجب أن يكون شعرا . لأنه لو قصده لكان يتأتى له (٣)

و انما لم يصح ذلك ، لأن ما ليس بشعر فلا يجوز أن يكون شعرا من احد ، و ما كان شعرا من احد من الناس كان شعرا من كل أحد (٤) .

---

(١) ديوانه ص ١٢٥ (٢) ديوانه ص٢١ (٣)س . ومنه ،(٤) م . ومن واحد .كل احد من الناس،

ألا ترى أن السوقى (١) قد يقول: «اسقنى الماء يا غلام سريعا» و قد يتفق ذلك من الساهى و من لا يقصد النظم ·

فاما الشعر (٢) إذا بلغ الحد الذى بينا، فلا يصح أن يقع إلا من قاصد اليه ·

و اما الرجز فانه يعرض فى كلام العوام كثيرا، فاذا كان بيتا واحدا فليس ذلك بشعر.

و قد قيل: إن أقل ما يكون منه شعراً أربعة أبيات، بعد أن تتفق قوافيها، و لم يتفق ذلك فى القرآن بحال: فاما دون أربعة أبيات منه أو ما يجرى مجراه فى قلة الكلمات، فليس بشعر.

و ما اتفق فى ذلك من القرآن مختلف الروى. و يقولون: إنه متى اختلف الروى خرج عن أن يكون شعرا ·

و هذه الطرق التى سلكوها فى الجواب، معتمدة أو اكثرها.

و لو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوف إلى معارضته، لأن طريق الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد، و أهله يتقاربون فيه، أو يضربون فيه بسهم ·

° ° ° °

فان قيل: فى القرآن كلام موزون كوزن الشعر، و ان كان غير مقفى. بل هو مزاوج متساوى الضروب. و ذلك احد (٣) أقسام كلام العرب ·

(١) م ٤ ,, ان المفحم ان اخذ السوقة ,, (٢) م : ,, فاما النظم ,, (٥) و ذلك آخر ,,

قيل : من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزاؤه فى الطول و القصر ، و السواكن و الحركات ، فان خرج عن ذلك لم يكن موزونا كقوله :

رب أخ كنت به مغتبطا   أشـــد كفى بعرا صحبته
تمسكا منى بالود و لا   أحسبه بزهد فى ذى أمل(١)
تمسكا منى بالود و لا   أحسبه يغير العهد و لا
يحول عنه - - - أبدا   فخـاب فيـــه أمـــلى

» و قد علمنا أن القرآن ليس من هذا القبيل ، بل هذا قبيل غير ممدوح ، و لا مقصود من جملة الفصيح ، و ربما كان عندهم مستنكرا بل اكثره على ذلك ·

و كذلك (٢) ليس فى القرآن من الموزون الذى وصفناه أولا ، و هو الذى شرطنا فيه التعادل و التساوى فى الاجزاء ، غير الاختلاف الواقع فى التقفية . و يبين (٣) ذلك أن القرآن خارج من الوزن الذى بينا ، و تتم فائدته بالخروج منه . و أما الكلام الموزون فان فائدته تتم بوزنه ·

(١) « احسبنى ازهد » (٢) م : « و ليس » (٣) م : « و بين »

نفحة من ادب اندلس

★ ★ ★

يقول ابن جفاجة الاندلسى واصفا متنزها :

« ذهبت فى لمة من الاخوان ، نستبق الى الراحة ركضا ، و نطوى للتفرج ارضا ، فلا ندفع الا الى غدير نمير ، قد استدارت منه فى كل قراره سماء ، سحائبها غماء . و انساب فى كل تلعة حباب ، جلده حباب ، فترددنا بتلك الاباطح نتهادى تهادى اغصانها . و تتضاحك تضاحك اقحوانها و للنسيم اثناء ذلك المنظر الوسيم تراسل مشى . على بساط وشى ، فاذا مر بغدير نسجه درعا . و احكمه صنعا ، و ان عثر بجدول شطب منه نصلا . و اخلصه صقلا . فلا ترى الا بطاحا مملوءة سلاحا ، كانما انهزمت هنالك كتائب . فالقت بما لبسته من درع مصقول . و سيف مسلول ، فاحتللنا قبة خضراء ممدودة أشطان الاغصان ، سندسية رواق و ما زلنا نلتحف منها ببرد ظل ظليل ، و نشتمل عليه برداء نسيم عليل و نجيل النظر فى نهر صقيل ، صافى لجين الماء كانه مجرة سماء ، مؤتلق جوهر الحباب ، كانه من ثغور الاحباب ، و قد حضرنا مسمع يجرى مع النفوس لطافة ، فهو يعلم غرضها و هواها ، و يغنى لها مقترحها و مناها ، فسيح لسان النقر ، كانه كاتب حساب ، تمشق يمناه و تعقد يسراه . يحرك حين يشدو ساكنات و يبعث الطبائع للسكون »

الاديب ابن زيدون

بقلم الدكتور شوقى ضيف

تلخيص محمد فاروق ، ط ق ا د

* * *

النشاة و المربى

ولد احمد بن عبد الله بن زيدون سنة ٣٩٤ ١٠٠٣م فى بيت من بيوت اعيانها و فقهائها فابوه فقيه من سلالة بنى مخزوم القرشيين . و جده لأمه صاحب الاحكام الوزير ابوبكر محمد بن محمد بن ابراهيم ، و كلمة صاحب الاحكام تعنى انه اشتغل بالفقه و القضاء .

فهو من بيت حسب ونسب و كان ابوه ثريا صاحب اموال و ضياع ، ويقول المورخون عنه انه توفى باليسيرة ، بالقرب من غرناطة ، و فى توجهه اليها لتفقد بعض ضياعه و حمل إلى قرطبة فدفن فيها .

و كان من رؤساء الدولة الاموية فى قرطبة ، و يقول ابن الاثير :

كان احد وجوه اصحاب ابن ذكوان و شيع الخليفة سليمان ، و شورر قرطبة .

و اهتم هذا الفقيه العظيم بابنه منذ نعومة اظفاره ، فاحضر له الادباء و المثقفين ، و وصله بالعلماء و الفقهاء و الادباء من اصحابه ، و كان هو نفسه اول اساتذته ، اذ كان متفننا فى ضروب العلم و صنوف الادب ، جم الرواية و المعرفة باللغة و الآداب . على ان تلمذته له لم تطل فقد توفى و ابنه فى الحادية عشرة من عمره سنة ٤٠٥ ، ١٠١٤ م . و بعد ذلك لزم ابن زيدون صديق ابيه إلى العباس بن ذكوان و افاد من علمه و فقهه ، فقد كان عالم قرطبة الاول فى عصره و امتدت حياته بعد ابيه الى سنة ٤١٤ للهجرة ..

و من اساتذته االمهمين ابوبكر مسلم بن احمد . و كان نحويا أديباً متقدما فى علم العربية و اللغه و رواية الشعر و كتب الادب لتلاميذه كالاب الشفيق و الاخ الشفيق مجتهدا فى تبصيرهم ـ متلطفا فى ذلك . فاعجب به ابن زيدون و عكف على دروسه و محاضراته و كان ينهل من معارف العلماء و الادباء و الفقهاء و ثقافاتهم فى جامعة القرطبة الكبيرة . و يأخذ من آدابهم و علومهم ما يشحذ به فكره و يصقل به لسانه و فى ذلك يقول مفاخرا .

بجذنى علم توالت فنونه ... كما يتوالى فى النظام سخاب

فهو يقول : ان العلم صقله بفنونه المختلفة المتسقة كما يتسق سخاب و تنتظم جواهره و لآليه ، و فى اشعاره و رسائله لسع كثيرة فى هذاالعلم .

و كان ابن زيدون فخما ضخما ، قد ارتفعت قامته فى السماء و امتد جسمه فى الفضاء ، و كان وجهه جميلا مشرقا متلالئا فيه عينان صغيرتان غائرتان بعض الشئ و لكنهما على ذلك فى حركة متصلة لا تكادان تستقران ، و هما متوقدتان دائما ينبعث منهما شئ كانه الضوء المشرق على هذا الوجه المشرق ، فاذا لحظنا شيئا او أحالتا النظر اليه فكانما تقذفانه بالشرر او تسلطانه عليه شواظا دقيقا قويا من النار و كان ابن زيدون فوق هذا كله ذكيا حاد الذكاء نافذ البصيرة يتعمق ما يعرض له من الامر دون ان يحس الناس منه تعمقا لشئ .

يسأله الناس فيجيبهم لساعة جواب من فكر و قدر و أطال التفكير والتقدير فيعجبون منه ويعجبون به . وكان بعد هذا كله سريع المشى ثقيل الحركة وقورا فى كل ما يصدر عنه . و كان صوته يلائم هذا كله من أمره فكان صوتا ضخما عقيقا يسمعه السامع فيخيل اليه انه يخرج من غار بعيد القاع انما كان هذا الرجل يبهرهم و يسحرهم و يملا نفوسهم اكبارا و اعظاما .

و كان ابن زيدون فتى قويا شابا شديد النشاط كثير الحركة لبقا فى كل ما يصدر عن جسمه رائعا فى كل ما يصدر عن عينيه القويتين البراقتين كل شئ فى هذا الفتى كان يصور رجلا شديد الطموح بعيد الأمل واسع الارجاء .

ليس لدينا اخبار واضحة عن ابن زيدون فى اثناء الفتنة التى انتهت بسقوط الامويين و قيام نظام الجمهورى فى قرطبة و على رأسه ابوالحزم بن جهور . و كل ما يمكن ان يقال فى هذا الصدد هو ضرب من الحدس و التخمين ، و يغلب على الظن انه لم يقف مكتوف اليدين ازاء الحوادث

التي شعرت بها بلدته ، و فى شعره ما يدل انه فى حاشية ابى الحزم حين يوطنه للامر و لكن لا ندرى أكان موظفا كبيرا ام كان شاعرا يقلد صاحبه قصائده و درره الثمينة .

و اكبر الظن اننا لا نعدو الحقيقة اذ قلنا ان ابن زيدون هو اهم شاعر وجدانى ظهر فى الاندلس فهو استاذ هذا الفن هناك ، اذ كان اول من اعتصره فؤاده شعرا عذبا فيه جوى و حرقة وهوى و لوعة و تبعه اصحاب الموشحات و الازجال يصوغون هديه و يحتذون بمثاله و قد عبر اجمل تعبير عن اعجابه به فقوله : ابن زيدون عبقرى زمانه . قصر المحسنون عن احسانه ·

أخذ الروم فى الجزيرة عنه . و مشوا فى خياله و افتنانه و كان قد اخذ يتفجر ينبوع الشعر على لسانه فاعجب به أستاذه .

يقع ابن زيدون فى الذروة بين شعراء الاندلس من ملكات التعبير الادبى و ما صاحبها من إبداع فنى و قد اشار به كل من تحدثوا عنه او ترجموا له من السابقين و خاصة ابن بسام و فى الذخيره اذ يقول : له شعر ليس للسحر بيانه و لا للنجوم الزهر اقترانه ·

و قد تعاقب الكتاب و المورخون يثنون عــلى جمال ديباجته و رونق أساليبه فالجميع مشدوه لروعة نظمه و شدة أسره -

و ليس فى موسيقاه وألحانه اى شائبة . انمـا فيها الخفة و الرشاقة و لذلك كانوا يشبهون بالبحترى بل كانوا يسمونه بحترى المغرب لسلاسة شعره و انسيابه ، كانه الماء العذب السلسبيل .

و ليس من شك فى ان هذا يدل على انه طبع فنه بالطوابع العربية

الاصلية ... فقد أخذ نفسه على مايظهر بثقافة واسعة للشعر الذى سبقه من العصر الجاهلى الى عصره ·

و كان يشعر شعورا قويا بان الشعر ينبغى ان لاينفصل قديمه عن حديثه فنزع الى جداوله المختلفة ينهل منها و يعب ، محتذيا بامثلة سابقيه غير خارج و لا ثائر على قواعدهم و قوالبهم الفنية الموسومة .

فقد كان نشيطا الى العبد حدود النشاط فى مختلف ضروب الثقافة ، و اظهر امتيازا و ذكاء نادرا فى كل ماالف .

و كتب رسالتين : رسالة هزلية و رسالة جدية ·

و قد بلغ فيهما من تمثيل حقائق و معارف ·

اما الرسالة الهزلية فهى رسالة طريفة من حيث الاسلوب الذى اتبعه فيها اذ اجرى على لسان معشرقته تهكما و استهزاء لعزيمته ، و بلغ فيها و قره ابن زيدون هذه الرسالة و اعجب بها . لحاول ان يصنع على مثالها هذه الرسالة الهزلية ، و هو يستهلها به بذم ابن عبدوس منافسه اذ يقول : ايها المصاب بعقله ، الموزط لجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر فى ذيل اغتراره ، الاعمى عن شمس نهاده . الساقط سقوط الذباب على الشراب المتهافت تهافت الفواش فى الشهاب الخ ·

حتى خيلت لعشيقته انه جمع كل الفضائل من جمال و قوة ـ و سلطان و حسن منادمة و شجاعة و وفاء و كرم و دهاء و ذكاء و بيان و عقل و فلسفة و كلام و مقالة فهو المثل الاعلى فى الاخلاق و هو المثل الاعلى فى الثقافة فى كل لون من الوان الاخلاق و كل ضرب من ضروب الثقافة فذكر شخصا يمثله من ملوك الاعاجم و سادة العرب و

فلاسفة اليونان و اصحاب الكلام و الفقه و تذكر ان صاحبته رفعته فوقهم مكانا عليا و كل ذلك يجرى مجرى التهكم مما يستطيع القارئ ان يرجع اليه ·

اما رسالته الجدية ، كتبها و هو فى السجن يستعطف بها ابا الحزم جهور-، كى يطلق وثاقه ، و يعيد اليه حريته المسلوبة و هى لا تقل جمالا و لا ابداعا عن سابقتها بل لسكانها قصيدة نظمها ففيها انفعال حاد و فيها عاطفة ملتهبة و فيها اضطراب ، و قلق شديد قلق البلبل الحبيس فى غياهب السجن و ظلماته ·

و هو يفتتحها باستعطاف ابى الحزم و استنزال صوب رحمته و عطفه ، متادبا فى خطابه ، مثنيا عليه ، مادحا له ، متعللا بالآمال فى العفو عنه مستطردا الى وصف ذنبه ، و انه لايبلغ شيئا بجانب الذنوب الكبيرة المعروفة عند فقهاء الاسلام و مورخيه و كانه يريد ان يستصفر خطيئته و يغفرها له فلا ذنب الا نميمة نفثها كاشح و وشاية بثها كاذب .

و لابن زيدون ديوان كبير نشره الاستاذان كامل كيلانى و عبد الرحمن خليفة ، و هو يجرى على النمط المعروف لدواوين الشعر العربى ، من حيث الايجاز فى تقديم القصائد ، و عدم ذكر الظروف المختلفة التى نظمت فيها ، و لاريب فى ان هذا يقيم شبكة من الصعوبات فى دراسة الشاعر و شعره ، و من يرجع الى ديوانه يستطيع ان يلاحظ فى وضوح ان الموضوعات الاساسية التى تتوزع شعره هى الغزل والمديح و يدخل فيه ضرب من الاستعطاف و يقع الغزل فى اعلى الصفحات من حيث التاريخ و الزمن الذى كان الشاعر ينظم فيه شعره .

ابن زيدون : بقلم الدكتور شوقى ضيف

زهرات من رياض الشعر والادب

* * *

اتجمع مالا لا تقدم بعضه	لنفسك ذخرا ان ذا لسقوط
اترضى لمن بعد الممات جهالة	و تتركه حيا و انت بتبط
نصيبك مما صرت تجمع دائبا	قربان من قبطية و حنوط
كانك قد جهزت تهدى الى البلى	لنفسك فى ايدى الرجال اطيط
و عاينت هو لا لا يعاين مثله	و قدرة رب بالعباد تحيط
وصرت الى دار هى الدار لا التى	اقت بها حيا و انت نشيط
تعل به الاقدام و يحك تستوى	وصيد كرام سادة نبط
امامك يا ندمان دار سعادة	يدوم البقا فيها و دار شقاء
خلقت لاحدى الغايتين فلا تنم	و كن بين خوف منهما و رجاء
وفى الناس شر لو بدا ما تعاشروا	و لكن كساه الله ثوب غطاء

هل الكائنات من نتائج الاتفاق

(محادثة بين سقراط و ارستوديم)

قال سقراط لارستوديم ، قل لی ایوجد رجال تعجب لمهارتهم و جمال صنائعهم فقال له نعم حقيقة

سقراط — احبرنی عن اسمائهم ·

ارستوديم — اعجب فی الشعر . القصصی هومیرو و فی المیراثی بسفوکیل و فی صناعة التصاوير بزوكسيس و فی صناعة التماثيل ببولـكتيت ·

سقراط — ای الصناع فی نظرك اولی بالاعجاب الذی يخلق صورا بلا عقل و لا حراك لها ام الذی يبدع كائنات ذات عقل و حياة ·

ارستوديم — و حق جوبيتر ان اولاهما بالاعجاب هو الذی يبدع الكائنات المتمتعة بعقل و حياة اذا لم تكن هذه الكائنات من نتائج الاتفاق ·

سقراط — و لكن ای الكائنات اولی ان تعتبرها من نتائج الاتفاق او من نتائج الادراك التی غايتها ظاهرة ام التی منافعها مشكوك فيها .

ارستوديم — من العدل ان اقول ان الكائنات ذات النفع هي اولى بان تنسب الى عمل الادراك ·

سقراط — الا ترى ان الذى فطر الناس قد اعطاهم ما لديهم من الاعضاء لغايات و مقاصد خاصة فاعطاهم الاعين للنظر و الآذان للسمع و ماذا كانت تجدينا الروائح ان لم تكن لنا انوف و هل كنا نشعر بمرارة المر و حلاوة الحلو ان لم تكن لنا السنة تميز بين هذه الطعوم ثم الا ترى من دلائل التبصر و الحيطة ان تكون الاعين لرقتها و سهولة تاثرها قد مدت باجفان تقفل و تفتح بالارادة و تنسدل علـى العينين وقت النعاس و قد حليت اطرافها باشبه شئ بالغربال من الرمش ليحميها شر الرياح و ان الحواجب قد وضعت لتمنع تساقط العرق اليها و ان الآذان خلقت قابلة لتمييز جميع الاصوات بدون ان تمتلى قط الى أن قال كل هذه الاعمال التى تدل على تبصر و احتياط الى اى شئ تعزوها الى الاتفاق ام الى الادرك ·

ارستوديم — لا و حق جوبيتر ان هذه الاعمال اذا نظر اليها الانسان تدل على انه قد صنعها صانع يحب الكائنات الحية ·

سقراط — و ماذا تقول فى الميل المودع فى النفوس للتناسل و فى الحنان المخلوق فى قلوب الامهات للهيمنة على فلذات اكبادهن و فى الخوف الموجود فى تلك الكائنات من العطب

ارستوديم — ان كل هذا يدل على انه اختراع كائن قرر خلق الحيوانات ·

سقراط — اتعقل انك وحدك قد تحليت بعقل و ادراك و انت كما تعلم لا تقارن بشئ من الوجود و ان هذه المخلوقات كلها المتمتعة بادراك مثلك لا تحتاج لعقل يرتب علاقتها و يقيم امرها على قاعدة النظام ۰

ارستوديم — انا انكر ذلك و حق جوبيتر فانى لا ارى ذلك الصانع كما ارى الصانع من الناس ۰

سقراط — انك لا ترى كذلك روحك التى تتسلط على اعضائك فهل تستطيع ان تقول ان جميع افعالك صادرة بلا عقل و ادراك بل بالاتفاق فكانت نتيجة هذه المجادلة اعتراف ارستوديم بوجود الصانع اھ (تعريب الدكتور محمد فريد وجدى)

استدل الحكيم افلاطون على وجود الخالق بالبرهان الذى يدعى بالسببى فقال فى كتابه المسمى يتميه (من البديهى ان كان حادث له سبب احدثه و لايعقل و حدوث شئ بلا سبب و من المعلوم بالضرورة ان العالم حادث لانه مشاهد و محسوس و مادى و كل هذه الصفات محسوسة فيه و لما كان كل ما هو محسوس ممكن ادراكه بواسطة الحواس فهو حادث و مصنوع فيكون الوجود و هو اجمل الاشياء الحادثة له سبب احدثه هو اكمل الاسباب كلها .

(رأى الفيلسوف ديكارت فى الله) استخلص ديكارت من نفسه و تفكيره وجود الله و اتى ببراهين ثلاثة على وجوده فقال :

(۱) انا موجود و لست كاملا فانا لم اوجد ذاتى فاذاً الله موجدى فهو موجود .

(٢) ان ذاتى مدركة لكمال فالذات الكاملة هى التى اوحت الى بوجودها فالله اذا موجود بكماله لاننى لوكنت السبب فى وجودى لماتصورت فى نقصا و لاعطيت ذاتى الكمال مع الوجود .

(٣) الوجود ملازم للكمال و تصور الكمال يتضمن الوجود الحاضر الذى هو فى الكمال فاذاً الذات الكاملة موجودة ·

و قد كتب العلامة الدكتور فريد وجدي فقال : يقول ديكارت ان عندى شعور بوجود ذات كاملة لايفترق فى الوضوح عن شعورى بان مجموع زوايا اى مثلث تساوى زاويتين قائمتين اذن فالله موجود ،

قال العلامة فريد وجدى : لما وصل ديكارت الى هذا الحد اراد ان يبرهن ان الشعور بوجود تلك الذات الكاملة لم يأته من التفكر الشخصى بل أتاه من تلك الذات الحقيقية الخارجة عنه فقال (ان لفظة الله ان لفظت بها فانما اعى بها هيولى لانهاية لها ازلية دائمة مستقلة عالمة بكل شئ و قادرة على كل شئ و انى انا و جميع العوالم الموجودة مخلوقة لها و ناتجة منها . و هذه معارف جمة كلما تاملت فيها بدقة ازددت اعتقادا بانى لم استنبط الشعور بوجود الله من ذاتى وحدها و عليه فيجب ان استنتج من ذلك ان الله وجودا مستقلا و ان شعورى بوجود هيولى غير متناهية لايمكن ان يكون اصله فى ذاتى انا ذالك الكائن المتناهى بل غرست فى ذاتى من قبل هيولى غير متناهية فى الحقيقة ·

الآيات البينات على وجود خالق الكائنات
للسلطان صالح بن غالب القعيطى

الانسان بين قنوع و طموح

بقـــلم الاستاذ محمد الغزالى

كتب لى سائل : اليس مما يعين على القعود و الفتور ماينسب الى رسول الله من حديث « ارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس » . « الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله و ماوالاه و عالما و متعلما » . « ماقل و كفى خير مما كثر و الهى » و امثال ذلك مما يبعث على الزهد و يعوق عن الطموح و الحركة ..؟

ثم مضى السائل يقول :

ان طبيعة الدين تعلق الناس بالآخرة و تصرف هممهم عن الحياة لان

الحياة فى منطق الاتقياء فترة مهينة لا يعول على حال المرء بها و لا ضرورة لان ياخذ المرء منها الا زاد الراكب العجل !

و شيوع هذا المنطق فى امة . قضاء عليها بالتخلف حتما وسط امم تعبد الحياة و لا ترى صلاحا او فسادا الا فيها ، و لا تحس ثوابا او عقابا الا بما تنال فى مضمارها العتيد .

و استطرد الطائل فذكر خشيته من ان تقصر النهضات الدينيه فى اسعاد الامم الجانحة اليها ، بل فى حفظ كيانها من العوادر - - -

ان هذه الشبهة ليست جديدة . و احسبنى قد القيت عليها ضياء كاشفا فى كتاباتى القديمة . . . و لكن هذا التساؤل الحائر سيبقى ما بقيت افهام الناس فى الدين ظنونا جائرة يعوزها اليقين الحاسم . .

و اسارع الى الاجابة عن الفقرة الاولى فى هذا السوال . . ان الاحاديث التى ذكرت هنا صحيحة كلها -

و العيب ليس فيها و لا فى غيرها من تعاليم ! و انما العيب فى تحريف الكلم عن مواضعه .

اذ كان الرضا بالقسمه دينا فهل نحسب التطلع الى ما فوقها زيغا ؟

اليك من سير الانبياء ما يصرع هذه الشبهة و يدلك على ان الطموح لا ينافى خلال المتقين ، بل قد يكون سر صلاحهم و اصطفائهم .

الم تسمع الى سليمان و هو يطلب من الله ملكا فذالا يشبهه احد فيقول :

« رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب »

فكان من اجابة الله له «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، و و ان له عندنا لزلفى و حسن ماب » .. ان الله يقل له : قف عند ماقسم لك ..

الم تر الى ايوب و كان يغتسل عريانا فوقع عليه جراد من ذهب ، فطارت واحدة ، فجرى خلفها .. فقال الله له : ياايوب الم ا كن اغنيتك عن هذا ؟ فقال : بلى ! و لكن لاغنى لى عن بركتك ..

لقد تشبع ايوب من مال الله على هذ النطاق الواسع .

و لم يقل الله له قف عند ماقسم لك .. .

الم تنظر الى يوسف الصديق و هو خارج من السجن و كان بحبسه - و قد اتيحت له نعمة الحرية بعد اعتقال طويل - ان يحيا فى كنفها ، قانعا و ادعا ، فابى لنفسه تلك المنزلة و قال لعزيز مصر : « اجعلنى على خزائن الارض إنى حفيظ عليم » . و امتن الله على يوسف اذ تسنم هذ المنصب العالى فقال : « و كذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء و لانضيع اجر المحسنين » .

و لم يعاتب الله يوسف على هذا التطلع .

فلم يقل له : قف عند ماقسم لك .. .

هؤلاء نفر من المسلمين الكبار لم يخدش الطموح ماعرفوا به من تقوى و لانزل بمكانتهم عند الله قيد أنملة .. ان الرضا بالقسمة قد يكون من الدين ، و قد يكون من العجز الذى يزجر عنه الدين .

اذا سعى الرجل ضاربا فى طول البلاد و عرضها و استنفدقواه فى استنباط الخير و تقريب الرزق فاذا به يدركه الكلال و يداه فارغتان ،

من قدر قاهر لا من كسل غالب ، فهل ينتحر جزعا ، ام يطوى فواده على ضرب من السكينة و الركون للاحداث ؟

و اذا رأى غيره يؤتى الكثير و يواتيه النجاح و ينتقل فى مدارج الرقى ، فهل يدع سورات الضغينة تاكل قلبه لانه فشل حيث افلح غيره ام يرضى عن الآخرين و يعدل فى شعورهم نحوهم ؟ . .

و اذا ضنت موارد الحلال و درت موارد الحرام ، فهل يقال للسلم خذ ماانيح لك ، ام يقال له : استعف و تصبر ؟ ان الاسلام يوجب الرضا بالقسمة يوم يكون هذا الشعور النبيل عزاء للحروم و طمانينة للمتخلف و حصانة من الجشع ـ اما اذا قعد الرجل عن الكسب لاعالة نفسه ، و اعزاز شخصه . فرضاه بالمقسوم جريمة خلقية . . .

و اذا بطأ فى توسيع ثروته لتربية اولاده و صيانة حاضرهم و مستقبلهم فرضاهم بالمقسوم جريمة اجتماعية ، و اذا ترك كيان امته فى الميادين العامة يتداعى بالخول و الطراوة و القنوع بادنى العيش فالمرضا بالمقسوم جريمة سياسية . ان الرضا المحمود عنوان عاطفة تعمل فى نطاق محدود ، و من التزوير ان يؤخذ هذا العنوان ليكون غطاء رذائل نبذها الاسلام وعد اصحابها مرضى .

اما الدنيا التى لعنها الله و ازدراها أولو الألباب فهى دنيا الغرور و المفاسد و الاهواء . لادنيا العمل و الغرس و الكفاح ، و من من الناس يحمد هذه الدنيا ؟

لقد رأيناها تمزق الارحام بين الاخوة الاشقاء و تعزى بعضهم باغتيال

البعض و اخماد انفاسه ، استئثارا بعرض زائل .

لقد رأينا فتنتها تنسج على الإبصار غشاوات حاجبة أو خادعة جعلت الارض مذأبة تسودها الوحشة و الرهبة · فاينما يممت لاتلمح الاركض الوحوش تهيجها الغرائز الوضيعة ، فلا حق و لاخير ولا امن و لاوئام ··
ارأيت الوانها الزاهية و الحانها السابية ؟ انها تقبل عليك كالمائدة الحافلة الشهية و تنتهي بك - او تنتهي معها - مثلما ينتهي الطعام فى بطنك ·· فضلات منتنة مزعجة · قبحت هذه الدنيا . ماتغر الا العمق ، و مايتمحض لها الا المغفلون

فاذا رأى الله عزوجل أن خدعتها الكبرى أطاشت سواد الناس و اذهلتهم عن انفسهم و عن ربهم ، و عن أولاهم و آخرتهم . و بعثتهم مجانين يسعرون الحروب للباطل و يقيمون السلام للعبث ·

فما الذى يرد لهؤلاء صوابهم الا ان يقال لهم : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر فى الاموال و الاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته . ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، و فى الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان و ماالحياة الدنيا الا متاع الغرور » .

ان هذه الآية و اشباهها تعيد التوازن الى النفوس التى اختلت فيها اوضاع الحقيقة .

و جماهير البشر عند مايحتبس نشاطهم بين اكرام الثرى من عالمهم الصغير ، فلا تفكرون الا فى حدود المتاع العاجل ، يحتاجون الى بنى

يصيح فيهم . « الدنيا ملعونة ملعون من فيها الاذكر الله و ماوالاه و عالما و متعلما » . و عند مايتفاضل الناس بحظوظهم من الدنيا وحدها يقول : « اربع من كن فيه فلا عليه مافاته من الدنيا حفظ امانة و صدق حديث و حسن خليقة و عفة فى طعمة » .

فهذه السهام التى يصوبها النبيون الى الدنيا لايبغون الا أن يصيبوا بها ماعلمت من شر و اثم و عذر .

على أن أناسا نظروا الى السهم المنطلق و عموا عن الهدف الذاهب اليه فظنوا المرسلين يشتغلون بقتل الاحياء .. و قالوا : أن رسالات السماء جاءت لتخريب الارض .. و كذبوا .

ما جاءت الا لعمارتها . و جعلها جنة قبل الجنة و نتفاعا بهدى الله قبل السعادة بجواره المقيم فى ديار النعيم ..

فليس من حقيقة التقوى ان تكون محدود الامل ، ضيق الرجاء ، فان ذلك يدل على عجز فى النفس ، اكثر مما يدل على ايمان فى القلب .

بل اولى بك ان تكون بعيد الهمة واسع الطموح ، تتطلع الى آفاق لانهاية لها مادام فيك عرق ينبض . و كل مايطلب منك ازاء ذلك ان تهيأ لكل شئ وسيلته و تعد لكل امر عدته » و من طلب عظيما خاطر بعظيمته » .

و الرجل الكفء اهل لمايصل اليه من كرامة و اهل لمايطلب لنفسه من منزلة .

لقد طلب خالد بن الوليد من اخوانه ـ قادة الفرق فى معركة .

اليرموك — ان يكلو اليه امر القيادة العاملة ، و عرض ذلك فى صراحة و فى كياسة و اجيب الى طلبه ·

على ان انفساخ الأمل لا يقبل الا اذا اقترن بالاخلاص لله وحده و كان عمل الرجل اذا وضع فى المؤخرة كعمله اذا وضع فى المقدمة سواء بسواء ·

و بهذا الروح كان مسلك خالد يوم أن ترك القيادة و عاد جنديا.

ان الاسلام انما يبغض الاطماع السمجة و الحرص البارد على المظاهر الكاذبة و اصطناع الدسائس للظفر بالجلة الدنيا لا بخدمة الدين فكن طموحا و احذر الطمع .

ان الدين خير كله ، و ما تصلح الحياة الا بتعاليمه ، بيد ان علينا إقصاء المتأكلين به عن ساحته ، و تمكين اولى الايدى و الابصار وحدهم من فقهه و عرضه ·

و احسبنى فى كثير من كتبى قد اشبعت هذا الموضوع بحثا . و أود أن أقول للسائل المستريب : إن نهضة الاسلام فى عصرنا هـــذا تعتمد على أصوله مكينه من الادراك لمسدد و العاطفة الحارة ، و إن المسمين أحوج الناس فى هذه الايام الى الانعطاف لدينهم و الاستمساك به .

و ربما أخذ على الدعوة الاسلامية فى هذا العصر ما يعرر جبهتها من تقطع ، مرده — فى نظرى — احتلاط الدعاة بالادعياء ، و النائحة الثكلى بالنائحة المستأجرة ·

لكن هـــذه العلة لن تطول ، فان الحق آخر الأمر ينفرد و يخلد « والله غالب على امره و لكن اكثر الناس لا يعلمون » (معالم الحق ص ١٠١)

الشعر و علاقته بالحياة

الاستاذ فضل الرحمن هلال العثمانى

(المدرس بدار العلوم بديوبند)

١ — تعريفه :

مدلول المادة لغة : قال ابن فارس : من معانى هذه المادة العلم و العمل ، و الأصل قولهم شعرت بالشعر إذا علمته و فطنت له ، وليس شعرى اى ليس علمت ، قال سمى الشعر شعرا لأنه يفطن له غيره -

تعريفه اصطلاحا · يطلق اطلاقين (١) اطلاقا عاما (٢) اطلاقا خاصا ·

أما العام : فهو ما يطلق على كل كلام بليغ رائع التصوير

و الجمال تزينه براعة الخيال ، و منه قول حسان رض لابنه حين وصف
زنبورا لسعه و لم يكن يعرف إسمه لصغره ، كانه ملتف فى بعد حبره ، فی بردی
أما الخـاص : فهو كما قال ابن رشيق فى العدة : الشعر يقوم بعد حيرة
النية من أربعة اشياء و هى اللفظ و الوزن و المعنى و القافية ، و لا الندوی
يفوتنا عنصر الخيال فى الشعر كما نبه ابن خلدون بقوله « الشعر هو
الكلام البليغ المبنى على الاستعارة و الاوصاف المفصل باجزاء متفقة فى
الوزن و العروض » .

و لا يبعد بعد هذا أن يقال — الشعر نتاج الفكر و صناعة الخيال
و لسان الشعور و منطق الوجدان و العاطفة .

٢ — منزلة الشعر :

آراء الناس فى الشعر على ثلثة اقسام طرفان و واسطة ،

الطرف الاول

ينظر اليه نظرة ازدراء و انتقاص على أنه كذب و نفاق اعذبه
أكذبه و أنه ملهاة و غواية . فهما من قوله تعالى : « الشعراء يتبعون
الغـاؤن ·

و الطرف الاخر

ينظر اليه نظرة الاجلال و الاكبار على أنه آية فنية و تحفة فكرية
و مرآة عقلية صافية اكملت فيها عناصر الجمال من براعة التصوير و
روعة الخيال اى كان موضوعه .

أما الواسطـــة

و هو قول الحق و المذهب المعتدل الذى يسانده الواقع و يؤيده النقل و يقبله العقل ، فهو ما راعه أئمة اللغة ، إنما الشعر كلام المؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن و ما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه .

و قال ابن سيرين : الشعر كلام عقد بالقوافى ، فما حسن فى الكلام حسن فى الشعر .

و عن عائشة رض : الشعر فيه كلام حسن و قبيح ، فخذ الحسن و اترك القبيح .

٣ — أثره فى الأمـــة

" لا شك أن للشعر أثرا بينا فى اثر حياة الأمم من توجيه لخلق فاضل و دفاع عن فضيلة و دعوة لعادة كريمة و خلة حميدة .

و كم رفع الشعر اقواما و وضع آخرين ، و ليس نجاف امر ، بنى أنف الناقة ، و قد كانوا يخجلون من هذا الاسم و يحرفون نسبهم إلى أن انقذهم الحطية بقوله :

قوم هم الآنف و الادناب غيرهم ومن يسرى بانف الناقة الذنبا

وصاروا يتطاولون بهذا النسب و لا غرو بعد ذلك أن يسمح الرسول ﷺ لحسان بن ثابت رض أن ينشد الشعر فى المسجد ، بل يحثه عليه بقوله : هجهم روح القدس يؤيدك ، و يشير باثره الشديد على المشركين بقوله ، و الله لهجاءك عليم أشد من وقع الهام فى غلس الظلام "

نلخص من هذا كله أن الشعر أداة طبيعة إن استحسن إستخدامه ، كان فى السلم ديوانا للمكارم و مدعاة للفضائل و فى الحرب سلاحا

يضعضع قوى الخصم و يرهب الاعداء ، و يدل عل صحة هذا القول ما روى من الأثر « إن من البيان لسحراً . و ان من الشعر لحكمة »

٤ ـ أغراض الشعر

و للشعر أغراض متنوعة بحسب إتجاه الشاعر و قصده كلها تدور على اربعة أصناف (١) المـــدح (٢) الهجاء (٣) الحكمة (٤) اللهو ، ثم يتفرع عن كل صنف اصناف و لذكرها و تفاصيلها غير هذا الموضع .
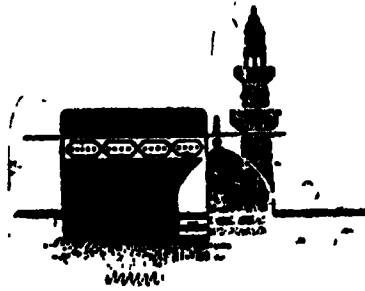
اعـــداد : عبد الرحمن الكيرانوى ط . ق . ا . د

إن المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة ؛ فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة ؛ . من لا مروءة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة . و إن الارتفاع الى المنزلة الشريفة شديد ، و الانحطاط منها هين ؛ كالحجر الثقيل : رفعه من الأرض الى العاتق عسير ، و وضعه الى الأرض هين .

إن امورا ثلثة لا يجترئ عليهن الا أهوج ، و لا يسلم منهن الا قليل و هى صحبة السلطان ، و أئتمان النساء عـــلى الأسرار ، و شرب السم بالتجربة .

إن خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة و عظيم خطر منها : عمل السلطان و تجارة البحر و مناجزة العدو .

ان الرجل الفاضل الرشيد لايرى إلا فى مكانين ، و لايليق به غيرهما : إما مع الملوك مكرما ، و إما مع النساك متعبدا ، كالفيل إنما جماله و بهاؤه فى مكانين : اما ان تراه وحشيا او مركبا للملوك ·

ان الرجل الأديب الرفيق لو شاء ان يبطل حقا او يحق باطلا لفعل : كالمصور الماهر الذى يصور فى الحيطان صورا كأنها خارجة و ليست بخارجة ، و اخرى كأنها داخلة و ليست بداخلة ·

ان الرجل ذاالعلم و المروءة يكون خامل الذكر خافض المنزلة ، فتأبى منزلته الا ان تشب و ترتفع ، كالشعلة من النار يضربها صاحبها و تأبى الا ارتفاعا ·

إن امورا ثلاثة ، العاقل جدير بالنظر فيها . و الاحتيال لها بجهده : منها النظر فيما مضى من الضر و النفع ، فيحترس من الضر الذى أصابه فيما سلف لئلايعود الى ذلك الضر ، و يلتمس النفع الذى مضى و يحتال معاودته ، و منها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع و المضار ، و الاستيثاق بما ينفع و الهرب عمايضر ، و منها النظر فى مستقبل مايرجو من قبل النفع ، و مايخاف من قبل الضر ، فيستتم ما يرجو ويتوقى مايخاف بجهده ،

و لايليق بالعاقل ان يؤنب نفسه على مافاته و ليس فى مقدوره ، فربما أتاح الله له مايهنأ به و لم يكن فى حسبانه .

و على العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه ، و لاتكون غايته إقتناؤه العلم لمعاونة غيره ، و يكون كالعين التى يشرب الناس ماءها و ليس لها فى ذلك شئ من المنفعة . وكدودة القز التى تحكم صنعته و لاتنتفع به .

اخبار عن دار العلوم بديوبند

فى ضيافة النادى الادبى

● قد اقام طلبة قسم تكميل الادب العربى بالدار و اعضاء النادى الادبى فى ۳۰ محرم حفلة تكريم لحضرات اصحاب السماحة اعضاء مجلس الشورى و صاحب الفضيلة حضرة مدير الدار و نائبه و صاحب الفضيلة حضرة رئيس المدرسين فى قاعة الصف العربى ، و قدشرح استاذ الادب و مسئول الصف العربى الاعمال و الخدمات التى تودى فى سبيل نشر اللغة الحربية بين طلبة الدار باختيار طرق مختلفة ناجحة ثم قام احد طلاب القسم و معتمد النادى محمد طيب و خطب باللغة العربية البليغة اعجب بها الحاضرون و اظهر فيها عواطف الشكر و الاحترام لحضرات الاعضاء على اعتنائهم البالغ باللغة العربية و اهتمامهم العظيم بقسم الادب و الصف العربى ثم قام حضرة المدير فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب و القى كلمة تشجعية اثنى فيها على جهود القسم و طلبته و وعدهم بالتزويد بكل ما يحتاجون اليه فى نشاطهم البنائى الادبى و اللغوى . ثم انتهى الحفل عند أذان المغرب بروح التقدير و التشجيع من الاكابر و بروح ازدياد النشاط و الطاعة و الاحترام من الاصاغر .

الضيف المحترم

زار الاستاذ محمد ايوب اللبنانى الذى تخرج فى احدى الجامعات الامريكية حاليا و نال درجة الدكتوراة فى مبحث علمى فيها دار العلوم فى شهر صفر و اطلع على مناهج تعليمها و نظام تحقيقها و تبادل الافكار مع المسئولين و الاساتذة كما تحدث مع طلبة الاقسام المختلفة و بخاصة طلبة قسم تكميل الادب و اعضاء النادى و اظهر ارتياحه العظيم على جهود الدار و خدماتها المدهشة فى حقل الدعوة و الاصلاح و الارشاد و تفضل الضيف المحترم بزيارة فصل اللغة العربية و مكتب النادى على دعوة من اعضائه و اغتبط كثيرا بما رأى من انواع النشاط اللغوى و الادبى بصورة ملموسة و وعد بارسال الكتب و المجلات اللازمة لمكتبة النادى التى تغذى اعضائها البالغ عددهم مآت بالغذاء الفكرى العربى الصحيح .

● عقد النادى الادبى عدة اجتماعات عامة عربية حضرها طلبة الدار برغبتهم المتزايدة الاكيدة الى اللغة العربية ، كما لا تزال الجلسات الاسبوعية التمرينية تنعقد باستمرار وفق البرنامج المقرر .

صدرت من النادى الادبى عدة اعداد من الجرائد الحائطية يقوم باعدادها طلبة الصف العربى و طلبة قسم تكميل الادب و اعضاء النادى و من تلك الجرائد : « النادى ، الكفاح ، الرسالة ، الربيع ، النهضة . الروضة ، المطلع ، السفينة ، الكوكب .

● شكل المجلس لجنة خاصة من بين اعضائه تتعهد اعمال دائرة التنظيم

للملاقات مع ابناء الدار القدم و تعاونها على ترقية مستواها و زيادة فعاليتها و توسيع نطاقها ، و اللجنة مكونة ·

● من حضرات اصحاب السماحة الشيخ المفتى عتيق الرحمن العثمانى و الشيخ سعيد احمد الاكبرآبادى ، و الشيخ القاضى زين العابدين ، والشيخ محمد ميان المحترم .

● قرر المجلس تعيين الشيخ الاستاذ نصير احمد خان احد اساتذة الدار النائب الثانى للمدير نظرا الى توسع نطاق الاعمال الادارية وتضاعف و تنوع المسئوليات الداخلية و الخارجية . و قد تولى سماحة نائب المدير الثانى مهامه منذ الشهر الجارى ·

● قد قام صاحب الفضيلة الشيخ المدير بعدة اسفار فى ربوع الهند و شارك فى كثير من الاحتفالات الدينية و التى فيها مواعظها الغالية ·

و فى آخر شهر مارس قام برحلة طويلة الى افريقيا الجنوبية على دعوة من محبيه و رجال الخير و الدين هناك فاقام فى ٧ و ٨ من ابريل فى مدينة « جونها نسبرك » و صرف اوقاته فى زيارات هامة و اجتماعات و احتفالات كما طاف فى البلدان و الاماكن الاخرى و التى خطبا و مواعظ ذات نفع و تاثير و لقى فى سفره هذا كل توفيق من ربه و حفاوة بالغة من اهالى افريقا المسلمين ·

● فى بداية شهر صفر الماضى جرى الامتحان التحريرى و الشفوى لفترة ثلاثة شهور الاولى فى جميع الاقسام التعليمية . و دام اسبوعا كاملا ·

● قد زيدت الى دار الضيافة غرفتان جديدتان و تم بناءهما حاليا

و نظراً الى كثرة الزوار و قلة الحجرات وضع مشروع لبناء الطابق الثانى المشتمل على عدد كاف من الحجرات ، و ندعو له سبحانه ان يوفر لتمويل هذا المشروع اللازم اسبابا لازمة .

● قد بدئ العمل فى اقامة بناء جديد ذى جناحين واسعين و عدة غرف صغيرة و مرافق لازمة بجنب الكلية الطبية لاقامة المرضى من طلبة الدار و معالجتهم فيه . و لايزال مشروع بناء المستشفى للدار فى حيز التصميم ، و لسوف يرجى له النجاح اذا عنى به من يوفقه الله لمثل هذه الأعمال الخيرية .

● قدتم بناء القاعة الجديدة لمكتبة الدار قبل مدة و الآن قدتم التنسيق و التنظيم فيها للكتب و المطالعة . و بهذه الزيادة الثانية قدتوسع مكان المكتبة ولوانها لاتزال لكثرة محتوياتها و ذخائرها الى توسيع مزيد .

● قدبدأ تنفيذ مشروع مبنى جديد فى ساحة الكلية الطبية لاقامة الطلبة الافريقيين و ينسب هذا البناء اليهم باسم « المنزل لافريقى » و تقدر تكاليف هذا البناء بمائتى الف روبية هندية .

★ دعت مصلحة الاذاعة لعموم الهند صاحب الفضيلة مولانا الشيخ محمد طيب مدير الدار لالقاء كلمة اذاعية فى موضع « النظام العلمانى » فتفضل فضيلته بنشر كلمة الغالية فى ٥ مارس من اذاعة عموم الهند .

★ انعقدت دورة السنة الحديدة لمجلس الشورى بدار العلوم لتقرير موازنة العام الجديد فى ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ من مارس تحت رئاسة فضلة الشيخ مولانا محمد منظور النعمانى و قرر المجلس للعام الجارى ميزانية

جـديدة بمبلغ مليون و مائتى و واحـد و خمسين الفا و مئة روبية هندية (١٢٥١١٠٠) .

★ وافق المجلس على وظيفة مدرس جديد للصف العربى نظرا الى توسع عماله و تزايد رغبة الطلبة الى اللغة العربية و حرصا على ترويج هذه اللغة العظيمة بين بناء الدار و خارجها ·

تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

دعوة الحق

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم بديوبند كل ثلاثة اشهر

رئيس التحرير المسئول :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوى

فى الهند و باكستان : ست روبيات

فى الخارج ما يعادلها عدا اجرة البريد

العدد الثالث ـ المجلد السابع

جمادى الاخرى ١٣٩١هـ

اغسطس ١٩٧١م

محتويات هذا العدد

يرسل الاشتراك السنوى ٦ روبيات فى باكستان الى العنوان التالى :

الحاج شوكت على ، يوپى سوڈا فيكٹرى ناتهم روڈ ـ لاهور

ملحوظة : يرسل الايصال بعد تحويل المبلغ على البريد

و الا فهی العوبة تتلاعب بها اصابع اللاعبین المهرة من المستعمرین و و المشعوذین . و مع الاسف ان الاکثریة من المسلمین انحرفت عن مناهج الحیاة الاسلامیة جاهلة او متجاهلة ، و اصبح الکثیرون من المثقفین یخجلون عن انتهاجهم منهج الاسلام و منهج الشرق لضعف معنویتهم و اضمحلال روحهم الاسلامیة بما تغلب علیهم و سیطر علی مشاعرهم من شکلیات و مظاهر خارجیة بعیدة کل البعد عن تعالیم القرآن النقیة .

اننا نحاکی الغرب و الدول الراقیة او نحاول ان نحاکیها فی مناهج الحیاة و نحاول ... و خطأ نحاول و خطأ نحاکی فیما نحاکی فان بدایة نهضة الغرب لم تکن من نقطة نضعها لانطلاقنا . فنبدأ حیاتنا مما انتهوا الیه من مظاهر و شکلیات و خرافات حضاریة و مفاسد اجتماعیة و اخلاقیة بعد ان قطعوا مسافات متعبة شاقة . فهل نتلاقی علی صعید واحد ؟ و نحن لم نتعود ان نفجر لنا الطریق من خلال الصخور الصلبة و الجبال الشاهقة و البحار الواسعة . . .

قد ضللنا الطریق و انحرفنا عن درب الحیاة الذی سلکناه و احرزنا النجاح فی سلوکنا ذلك ، حین کنا نکابد المشقات و نقاوم الازمات و نکافح للاهداف . و نجاهد للشرف و الکرامة و نغامر للابقاء علی الشوکة و نخاطر بالنفوس لبناء المجد و الشخصیة ، حین کنا امة ذات اباء ذات غیرة دینیة ، تغار علی ادنی ما یجرح شخصیتها و یحط من شأنها و یسیئ الی سمعتها . .

تعال ایها القارئ الکریم الی الماضی قلیلا ، و التفت الی الوراء

مليئا حتى يسهل عليك تعين الاتجاه نحو المستقبل ، ألق نظرة عابرة على قافلة الاسلام التى سارت من مكة و جابت اقطار العالم ناشرة نور الايمان و الدعوة الصادقة . تعلم الناس و ترشدهم الى المناهج و المسالك الواضحة للحياة ، تلك القافلة — قافلة الاسلام — قافلة الصحابة المؤمنين الصادقين و عباد الله الصالحين ، مثال الجهد و الكفاح و الصبر و المثابرة سارت الى آفاق العالم فتحت فيها آفاقا جديدة من الحضارة و العلم و الفضيلة و الشرف . . .

فكانت كلمة الاسلام هى الكلمة العليا و كان المسلمون هم الاعلون فان الله نصرهم لانهم خرجوا فى سبيله و باسمه و لأجله ، و ان الله على نصرهم لقدير .

تعال ايها القارئ الكريم نتجول جولة سريعة فى اقطار العالم الاسلامى ، تجد فيها دعاوى و اعلانات صارخة و صورا ضاحكة تتغنى بالنهضة ، نهضة البلاد . نهضة الشباب ، نهضة الفتيات ، فتعود الى ذاكرتك صور من الماضى لنهضة المسلمين فتقارن بين الحالتين تسود الاولى روح العمل و روح الجهاد ، هناك طموح و وقار و اعتماد على النفس و ثقة عظيمة بخالقهم العظيم هدف نبيل و مقصد سام و اما الاخرى فتعمها عاطفة الدعة و التكاسل ، شعور بالنقص ، اتكال على الغير ، امانى مشبوهة و مطامع شيطانية اندفاع وراء اللاهدفية . تنازل عن الشخصية و تخل عن مقوماتها ، خلاعة و وقاحة . عرى و سفور ، و تجرد عن كل معانى الفضيلة ، هذه هى النقطة التى و صل اليها الغربيون للتمتع بالحياة و

ووسائلها بعد مكابدة الجهود الجبارة و قضاء حياة التلمذ ، مدة طويلة و هذه هي النقطة التي جعلنا لنهضتنا بداية ، و من كانت بدايته بداية شر و خلاعة و مجون لا يرجى له اى نجاح فى الحياة ، و الا يكون لها نصيب من العز و الشرف .

وحيد الزمان الكيرانوى

ثلاثة مناهج للعلاقات الاجتماعية

● الموالاة ● المسالمة ● الحذر

لفضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

مناهج ثلاثة ، رسمها القرآن لأهله ، ينتهجون اولها — فيما بينهم وينتهجون الثانى و الثالث مع من عداهم .

و فى هذه المناهج تكييف للعلاقات الاجتماعية التى تبرز فيها شخصية الجماعة الاسلامية كاملة لها مميزاتها و خصائصها : و لها طابع يفسح للافهام ان تعرفها حتى لا تكون الشخصية الاسلامية محجوبة عن الاذهان ، و لا مغمورة بالشبه و الشكوك .

(أ) فالمنهج الاول : منهج الموالاة . و قد ردد القرآن ذكرها فى آيات عدة : منها الآية التى فى مطلع حديثنا ، و الموالاة هنا

معناها المحبة و اللارتباط و النصرة ·

و قد خوطب المسلمون خطاب تكليف ان يجعلوا هذا المنهج ديدنا لهم فى المحيط الاسلامى ، و ان يعتبروه من جانبهم وفاء بعهد الله ، و مؤازرة لرسوله ﷺ و وثيقة اخاء فيما بينهم ·

و معنى ذلك : ان الولى الذى نركن اليه ، و نتعلق بحبه ، و نقوم على طاعته و التضحية فى سبيله : هو — اولا و بالذات — الله سبحانه و تعالى . و ثانيا — رسوله ، صلوات الله عليه — لأنه حامل الدعوة اليهم من عند ربهم و هو قائدهم الى الغايات المنشودة فى حياة يراد بها ان تكون حياة لخير أمة اخرجت للناس ·

و ثالثا — المومنون ، لانهم الطائفة التى التزمت عهود الله ، و تآخت فى الطاعة لله ، و لرسوله ، على تعاطف ، و محبة ، و تعاون ، و المقصد ان يكونوا كتلة متضامنة مع ولاة الامر فيهم·

و توجيه القرآن للمؤمنين الى الموالاة على النحو السالف كله توجيه مفروض قبوله منهم ، و هو حتمى عليهم ، فانهم امة واحدة فيما لها من دين ، و منهج ·

و الموالاة بين تابعهم و متبوعهم ، و حاكمهم و محكومهم ، ميسورة و مرجوة : ضرورة أنهم أمة متفقة فى الدين ، و المنهج العملى المستمد منه فى شؤن الحياة .

و حينئذ تكون دعوة القرآن للمومنين الى موالاة بعضهم لبعض ، و تكون تلبيتهم لهذه الدعوة غير مشوبة بلون العصبية المقيتة او المعاندة ·

و من تمـام التوجيه الى موالاة المؤمن للؤمن ان يكون الولاة المتبيوعون بردة فى الدين على الوجه الذى ذكره الله سبحانه فى قوله :

« الذين يقيمون الصلوة و يوتون الزكاة ، و هم راكعون » — يعنى ان يكونوا هم كذلك فى جانب الله ، مثابرين على الصلوة ، مؤتين للزكاة متواضعين بين الناس : تواضع الخشية لله ، كما تكون خشية الراكع فى صلاته ·

و بتوافر هذه الصفات فيهم يكونون موضعا للثقة فيهم ، و أهلا للقدوة بهم ، و الموالاة لهم على السمع و الطاعة .

فاذا تمت صفات الموالاة بين الجانبين كانوا جميعا حزب الله و حزب الله — لا شك — هم المفلحون ·

و على هذا ترددت الآيات الكريمة بالوعود الصادقة ان ينصر الله من كانوا عـــلى هذه الشاكلة — « ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم » — « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » — « و ان يخذلكم فمن ذا الذى ينصر من بعده » — « و ما النصر الا من عند الله » — و قصارى الحديث فى هذا المقام ان الله دعانا و وعدنا و تحقيق وعـــده مشروط علينا بتلبية دعوته . و هذه سنته فيما يجرى لعباده ، و قديمـا جرب المسلمون أنفسهم فى اوضاع عدة . فحينما كانوا حزب الله كانت لهم النصرة على من عداهم ، و كانت لهم جولات مرموقة فى مسالك الحياة و فى نظام الحكم ، و اتساع السلطان ، و شيوع المهابة لهم حتى عند اقوى الامم ·

و حينما تراخت صلة الولاية بربهم ، و وهنت الروابط بين صفوفهم و هانب على المسلمين دعوة الله ، اصبحت خطاهم وئيدة ، ثم صارت جماعتهم غثاء كغثاء السيل : لاقوام لها ، و لامنعة فيها ، لم يستمروا حزب الله كما كانوا فتخلف عنهم ماكان مرجوا لهم ، و لم يخلف الله وعده فينا ، بل نحن الذين خرجنا عن الجادة و رغبنا عن مواصلة السير على ما كان اسلافنا .

و مع ذلك : فنهج الموالات لا يزال قائما ، و لا تزال دعوة القرآن اليه صارخة مدوية فى المسامع و تجارب الحياة تدفعنا دفعا نحو الرجوع اليه نستعيد ما فات . و لعلنا فاعلون (حى على الصلاة حى على الفلاح) .

(ب) المنهج الثانى للؤمنين المسالمة — فى غير ضعف — مع غيرهم اذا لم يكن الغير مشاقا لنا ، و لا عاديا علينا . فان الاسلام دين عمرانى يدعوا الجماعة الانسانية الى كل خير و يود لها ان تسير نحو المثالية و لا يمنع ان يتعاون المسلم مع غير المسلم فى شؤن الدنيا . بل ينشد فى المسلم أن يكون مثلا واضحا فى الكمال و مصدر نفع لنفسه و لغيره ، حتى يكون فى مسلكه الشخصى حجة للدين فى سموه لا حجة على الدين عند خصومه (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين و لم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم و تقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين اى العادلين ، و لومع غير المسلمين . و فوق ذلك اباح للمسلم ان يزدوج بزوجة كتابية اذا اراد . . . و شرع لنا أن ناكل من طعامهم الحلال . و حتم علينا ان نجادلهم

بالحسنى ، و ان نكسب مودتهم بالاحسان لا ضعفا و لا هوانا منا ؟

(و لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) (و جادلهم بالتى هى أحسن) (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم)

بل نهى المسلم ان يشاتم انسانا لا دين له ، لئلا يغضبه و يستفزه الى المقابلة بالمثل او أشد (و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) .

و هكذا من ضروب التهذيب التى تكفل المسالمة بين المسلم و غير المسلم و كل ذلك للرغبة فى تركيز السلام بين الناس ، و ليتفرغوا للعمل المشترك فى دنياهم ، و ليظهر فى المسلم طابعه الدينى الحق و لو انه الصحيح و كان السلف المسلمون يقولون فى دعائهم الذى يحكيه عنهم القرآن و يعلمنا اياه .

(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا و اغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم) -

(ج) المنهج الثالث : منهج الحذر من اعداء الاسلام ، حتى لا يكون المسلمون اغرارا يخدعهم عدوهم حتى يفتنهم عن دينهم بما يبديه من وسائل الاغراء و بما يبث بينهم من النزعات الباطلة ، و الانحلال المموه بلون المدينة ، و الحرية الشخصية و الميوعة المعسولة التى تزحزح المسلم عن رجولته ، و تستلب حياءه و غيرته ، و تجعله اشبه بالانثى فى تخنثه ، و تجعل الانثى كالرجل فى غشيان المجامع ، و مزاحم الاقدام ، فان هذه هى الشرارة المحرقة للقومات الشخصية فى الافراد . ثم هى العاصفة

الجائحة للقومية التى يمتاز بها الوطن العربى ، و المرء يستهين بالخطر فى اوله ، و يستسلم للفتنة ملفوفة فى ملامح الزينة و يتزمت من الدعوات الجديدة حتى يغلب على امره ، و يؤتى من مأمنه .

و كانت وصية الله تعالى لرسوله ﷺ قوية فى هذا الشأن (و احذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ـ فاحذرهم قاتلهم الله و لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا ، و اتبع هواه ، و كان امره فرطا) خسرانا و ضياعا فى المهالك . . . و هذا خطاب يتناول الامة كلها .

فهذه مناهج ثلاثة : اتينا بها اجمالا ـ و القينا عليها ضوءا من اشعاع القرآن لنبين ان نظم الحياة الاسلامية مرسومة فى كتاب الله و ان الرجوع اليها فى موطنها هذا اجدى على الناس من كل تفكير مستحدث ، و ما يجهل ذلك الا من حيل بينهم و بين تعرفه ـ و تذوقه ، او كانت تربيته العلمية على زاد غير زاد التقوى .

و قد تكفل القرآن بزيادة الايضاح و بالحث على تجنب الاستسلام للعدو حتى لا يظل الغافلون عن هذا فى عمايتهم ، و حتى لاتكون معذرة للتخلف عن الجماعة الاسلامية فيما نوديت به و وجهت اليه .

و لم يبق بعد البيان الا لبد الا انتكون الضلالة طامسة على الوعى ، و الفتنة غالبة على المدارك ، و القلب فارغا من الضمير .

و لا حيلة فيمن كان كذلك حتى يهديه الله .. اذا شاء .

(يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى و عدوكم اولياء ، تلقون اليهم

بالمودة و انا اعلم بما اخفيتم و ما اعلنتم و من يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل .)

(و من يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين)

و بعد : فنظرة الى واقع الحياة الحاضرة فى مصر و البلاد العربية تكشف لنا عما كان من تخاذل عن المنهج الاسلامى الحق ، حتى تغلغلت يد الاستعمار فى عنق المجتمع الاسلامى كله ، و امتدت مخالبه الى شعاب الوطن العربى و عشنا حقبة طويلة فى هوان و مذلة .

و لكن بعثا جديدا من فيض الله هز المشاعر الوانية ، و حرك العزيمة الكامنة ، فكان تجاوب العرب عودا على بدء ، و كانت وقفتهم من جديد ايذانا بمشرق حياة ماجدة تأصلت فيهم جذورها ، و أضفت عليهم قديما ظلالها .

و ان مصر و الحمد لله لملهمة فى وقتها ، و كان من مظاهر الالهام ان يعلن رئيسها المحبوب مبدأها فى التعايش السلمى (نسالم من يسالمنا و نعادى من يعادينا) و ان الجمال عبد الناصر لهتافا يخفق له الوطن العربى كله ، و يرتعد له العدو المخادع (ان القومية العربية هى الدرع الواقعية التى تحمى الدول العربية من مؤامرات المستعمرين) .

نبذة من ادب سحبان وائل

ان الدنيا دار بلاغ ، و الآخرة دار قرار . ايها الناس فخذوا من دار ممركم الى دار مقركم ، و لا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم ؛ و اخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل ان تخرج منها ابدانكم ، ففيها حييتم ، و لغيرها خلقتم .

ان الرجل اذا هلك ، قال الناس ما ترك ؟ و قالت الملائكة ما قدم ؟ فقدموا بعضا يكون لكم و لا تخلفوا كلا يكون عليكم .

• • •
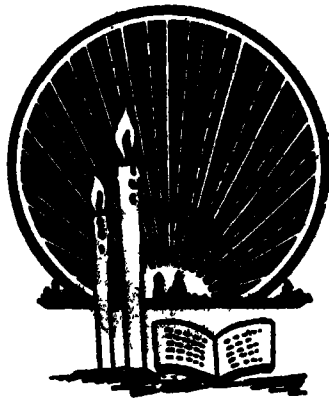
للاستاذ بهى الخولى

الحرب بين الانسان و الشيطان حرب صفات لصفات ، و نحن بصدد تكوين الانسان او بصدد خريطة ، تصميمه ، ... ان نعرض لنا طبيعة تلك الحرب و حقيقة الميادين التى يغشاها الشيطان لمنازلة غريمه ، و هو عرض يهمنا منه امرين :

الاول : ان نتبين على ضوئه بعض الخصائص النفسية للانسان او بعض الخطوط الاصلية التى تتكون منها خريطة ، تصميمه .

الثانى : علاقة تلك الحرب بالمهمة التى وكلت إلى الانسان ، والتنبه لملاقاة الشيطان فى كل ميدان بما يبطل كيده .

قال الشيطان و هو محاج ربه فى امتناعه من السجود لآدم :

« فبما اغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لاتجد اكثرهم شاكرين » اعراف ١٧،١٦

و روى الامام مسلم فى صحيحه عن رسول الله ﷺ « لما صور الله آدم عليه السلام فى الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه : فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو : فلما رآه اجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك » .

و معناه انه خلق ضعيفا لا يتمالك لمهام الامور ، و لا يتماسك امام المغريات التى تتزين له و تعرض لفتنته . . . قال الامام النووى فى شرحه لصحيح مسلم : « اى لا يملك نفسه و يحبسها عن الشهوات و قيل لا يملك نفسه عند الغضب : و قيل لا يملك دفع الوسواس عنه » .

و كل ذلك متسق ما قدمنا من اوصاف الانسان التى يستمدها من خصائص طينته .

و هى اوصاف لا ترشح صاحبها لعبء من الاعباء ، و لا لمنهج سليم سديد . . . و كيف يرجى ان يكون كفوا لشئ من ذلك و هو لا يجد فى طينته تلك من عدة الا ما يجده اى حيوان اعجم فى جبلته ؟

و لكن الانسان لا يرجع فى استعداده الى خصائص الطين و الحمأ المسنون فحسب ، بل يرجع كذلك الى خصائص الروح العلوى الذى نفخه الله فيه ، و هى وحدها مدد قوته و رشده .

و رسول الله ﷺ يخبرنا فى حديثه الذى اوردناه ، ان ابليس عرف

نواحي الضعف فى الانسان حين رآه · اجوف · · · و لاشك انه عرف كذلك فيما بعد ما اودعه الله فيه من خصائص الروح التى نفخها فيه · · فاذا جاء الشيطان يسلخنا عما استودعنا الله من كرامته فهو هدفه الذى اختاره على علم ، و ركز فيه جهده على عمد ، ليرد فريسته الى اسفل طبيعتها · · و ذلك هو هـــلاكها الذى اراده بقوله : « فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم » ·

الصراط المستقيم

و الصراط المستقيم هو الطريق السوى الذى تهدى اليه فطرة الله فى الانسان . . . او هو السلوك الفاضل الذى لا ينحرف به صاحبه يمنة او يسرة عما يرضى الله و الناس . . و اصول هذا السلوك مركوزة فى فطرة الانسان يعرف بها الخير و الشر و الحسن و القبيح ؛ و قال رسول الله ﷺ « الحلال بين و الحرام بين » فمن كان ذا فطرة سليمة واضحة هدى الى المنهج السوى ، الا ان يقعد له الشيطان فى سبيله · فيلبس عليه امره ، و يحجبه من مصادر النور فيه ؛ و الله سبحانه يقول فى الحديث القدسى : « انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم » رواه ابن كثير فى تفسير سورة الروم ·

و قالت جماعة : ان الصراط المستقيم هو الاسلام ، و قال آخرون : هو القرآن : و كلا القولين حق : يتسق مع ما نقول و لا ينقضه :

فالقرآن الكريم — منذ ان تأخر نزوله — هو روح الاسلام الذى اختاره الله سبحانه لعباده منذ الازل، و ارسل به الرسول و دعا اليه خاتم انبيائه ﷺ بقوله « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن اكثر الناس لا يعلمون » الروم : ٣٠

فسلوكه و نهجه الذى يسير عليه هو الصراط .

و استعداده الفطرى لعمل الخير و معرفة الله هو الذى يقوم له نهجه . و يسدد سبيله بما يلهم من صالح العمل و ينكر من سيئه .

و لكل سبيل غاية ، و الله سبحانه هو الغاية التى يجب ان يقصدها اهل ذلك الصراط بكل قول وعمل ... فما اريد به وجه الله فهو السداد و الاستقامة على الصراط السوى و لكن الشيطان يقعد له هذا الصراط و يتربص به غفلة عن الله ، فاذا غفل صار لينا فى يد الشيطان لا يتمالك ، و سهل عليه ان يميل به يمينا او شمالا عن طريقه المستقيم .

و لقد اوضح الله سبحانه تعالى ذلك فى مثل رواه لنا رسول الله ﷺ « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، و على جنبى الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة و على الابواب ستور مرخاة ، و على باب الصراط داع يقول : يايها الناس ادخلوا الصراط جميعا و لا تعوجوا . و داع يدعو من فوق الصراط ، فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال : ويحك لا تفتحه : فانك ان تفتحه تلجه ... ! فالصراط : الاسلام و السوران : حدود الله و الابواب المفتحة محارم الله . و ذلك الداعى على راس

الصراط كتاب الله ، و الداعى من فوق الصراط و اعظ الله فى قلب كل مسلم » رواه الامام احمد - و الترمذى

و مثل جليل يقرب الله به سبحانه كثيرا من الحقائق الى اذهاننا و يبين فيه معنى الاستقامة ، و يشير اشارة و اضحة الى ما فى الانسان من من استعداد للميل و الانحراف عن الجادة ، و يقرر فضل الفطرة قوله ﷺ « و اعظ الله فى قلب ابن آدم » — كلما عمت غرائزه التى لا تتمالك ان تنحرف به يمينا او شمالا لمفارقة ما حرم الله ...

الخير و الشر

و هذا يفضى بنا الى ما فى الانسان من استعداد للخير و الشر . .
و غنى عن البيان ان الاستعداد للخير هو من الهام روح الله الذى نفخه فينا و ان الاستعداد للشر هو قابلية خصائص الضعف للانحراف عن الله و ذلك اصح ما قيل فى تفسير قوله سبحانه « و نفس و ما سواها فالهمها فجورها و تقواها . قد افلح من زكاها ، و قد خاب من دساها » فمن استقام مع الهام فطرة الله فهو المتقى . و من استجاب لغرائزه التى لا تتمالك ضل سواء السبيل ، و كان رسول الله ﷺ اذا قرأ هـــذه الآيات قال ... « اللهم آت نفسى تقواها ، و زكها انت خير من زكاها انت وليها و مولاها » .

و لا سبيل للشيطان ان ياتى الانسان من قبل خصائصه الروحية ،

فهى سلطان الله فيه لاقبل للشيطان او غير الشيطان ان يقربه ؛ و المرء فى عز بهذا السلطان و حصن مكين ما استظل به ، و استمسك بهديه فاذا غفل عنه كان فى حراسة غرائزه التى لا تتمالك ، و كان بها اهون شئ على الشيطان ،

و غراز الضعف التى لاتتمالك ، هى غرائز الانسان الدنيا التى تخلد به الى الارض و لاتوحى له ان يرفع بصره الى السماء ، و قد افاض علماء النفس فى شرحها و تحليلها . و منها غريزة التملك و حب البقاء ، و هما الغريزتان اللتان اتخذهما الشيطان وسيلته فى استدراج آدم الى معصية الله « هل ادلك على شجرة الخلد و ملك لايبلى ؟ »

فاذا ذهبنا الى ان غرأز الضعف فى الانسان هى عدة الشيطان العتيدة فى افساده ، كان العقل و النقل مع مانقول .

ذلك الى ان الشيطان ـ لعنه الله ـ قال : « لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا » فكل من يصدق عليه انه من عباد الله ، للشيطان فيه نصيب مفروض مهما صفا و ترقى ، و لامر ماسجلت كتب السيرة ان الله سبحانه كان يطهر رسوله ﷺ من آن لآخر اذ كانت الملائكة تشق صدره الشريف و تستخرج منه حظ الشيطان فهل يكون ذلك الحظ ، او هذا النصيب المفروض الحتم الا استعداد كل آدمى للشر عن طريق تنزى غرازه الحيوانية لزينة الحياة الدنيا ؟

نعم ان الآية تحتمل ان يراد بالنصيب معنى العدد قليلا كان او كثيرا و لكن احتمالها لما اخترناه أوضح و اقوى فان الاية به تبدو واسعة الافق ،

فتشتمل العدد و غير العدد بدون تكلف او تاويل لنصها اللغوى و لاسيما انه لن يستطيع ان يتخذ من عبادالله اى عدد الا اذا كان له فى النفوس جانب عهد و نصيب مطاوع !!

ذلك الى ان غراز الانسان الدنيا جبلة فيه محتومة لا ينسلخ منها و لا تفارقه ، فهى بعض التقويم الذى خلقه الله فيه ، و لا تبديل لخلق الله ، و ذلك يتجانس مع وصف النصيب بانه حتم مفروض... قال الاستاذ الشيخ محمد عبده فى تفسير المنار : « النصيب المفروض هو ما للشيطان فى نفس كل واحد من الاستعداد للشر الذى هو احد النجدين فى قوله تعالى : « و هديناه النجدين » فهذا هو عون الشيطان على الانسان و هو عام فى الناس حتى المعصومين ، و لكن اخبرنا الله تعالى انه ليس له سلطان على عباده المخلصين فاذا هو زين لهم شيئا لا يغلبهم على عمله فما من انسانه الا و يشعر من نفسه بوسوسة الشيطان فان لم يكن بالشرك فبالمعصية و الاصرار عليها و الرياء فى العبادة » .

روائع الحکم

من افادات الامام الرازی

● ان قوله « اعوذ بالله » اشارة الی نفی ما لاینبغی من العقاعد و الاعمال و قوله « باسم الله » اشارة الی ماینبغی من الاعتقادات و العملیات . فقوله : « باسم الله » لایصیر معلوما الا بعد الوقوف علی جمیع العقائد الحقة و الاعمال الصافیة (۱)

● الرحمة عبارة عن التخلیص من انواع الآفات ، و عن ایصال الخیرات الی اصحاب الحاجات (۲)

● العبادة عبارة عن الاتیان بالفعل المأمور به علی سبیل التعظیم للآمر .

● المعنی اسم للصورة الذهنیة لا للموجودات الخارجیة ، لان المعنی عبارة عن الشئ الذی عناه العانی و قصده القاصد ، و ذلك بالذات

(۱) تفسیر ك . ص ۳ ج ۱ . (۲) تفسیر ك . ص ۳ ج ۱ .

هو الامور الذهنية و بالعرض الاشياء الخارجية ، فاذا قيل ان القائل اراد بهذا اللفظ هذا المعنى فالمراد انه قصد بذكر ذلك اللفظ تعريف ذلك الامر المتصور ۔

● الكلام عبارة عن فعل مخصوص يفعله الحى القادر لاجل ان يعرف غيره مافى ضميره من الارادات و الاعتقادات ، و عند هذا يظهر ان المراد من كون الانسان متكلما بهذه الحروف مجرد كونه فاعلا لها لهذا الغرض المخصوص ، فاما الكلام الذى هو صفة قائمة بالنفس فهى صفة حقيقيه كالعلوم و القدر و الارادات ۔

● مدلولات الالفاظ قدتكون اشياء مغايرة للالفاظ كلفظة السماء و الارض ، و قد تكون مدلولاتها ايضا الفاظا كقولنا ، اسم و فعل و حرف ، و عام و خاص و مجمل و مبين فان هذه الالفاظ اسماء و مسمياتها ايضا الفاظ .

● ان انوار عقول الخلق تجرى مجرى انوار البصر ، و معلوم ان الانتفاع نبور البصر لايكمل الا عند سطوع نورالشمس ، و نور محمد ﷺ عقلى الهى يجرى مجرى طلوع الشمس ، فيقوى العقول بنور عقله ، و يظهر لهم من لوائح الغيب ما كان مستترا عنهم قبل ظهوره ۔ (۱)

● ان احوال النفس على ضد احوال البدن ، و ذلك لان النفس انما تفرح و تبتهج بالمعارف الالهية ، و الدليل عليه قوله تعالى ، الا بذكر الله تطمئن القلوب ، و قال عليه الصلوة و السلام ، ابيت عند ربى يطعمنى و يسقينى ، و لاشك ان ذلك الطعام و الشراب ليس الاعبارة عن المعرفة

---

(۱) تفسيرك . ص ۹۰ ج ۳

و المحبة و الاستنارة بانوار عالم الغيب ، و ايضا فانا نرى ان الانسان اذا غلب عليه الاستبشار بخدمة سلطان او بالفوز بمنصب او بالوصول الى معشوقه قد ينسى الطعام و الشراب ، بل يصير بحيث لودعى الى الاكل و الشراب لوجد من قلبه نفرة شديدة منه ، و العارفون المتوغلون فى معرفة الله تعالى قد يجدون من انفسهم انهم اذ الاح لهم شئ من تلك الانوار و انكشف لهم شئ من تلك الاسرار لم يحسو البتة بالجوع و العطش ، و بالجملة فالسعادة النفسانية كالمضادة للسعادة الجسمانية و كل ذلك يغلب على الظن ان النفس مستقلة بذاتها و لا تعلق لها بالبدن و اذا كان كذلك وجب ان لاتموت النفس بموت البدن . (۱)

(۱) . تفسیرك ص ۹۸ ، ج ۳ .

التبشير و الاستعمار فى البلاد الاسلامية

الدكتور مصطفى خالدى و الدكتور عمر فروخ

تلخيص : عبد القدوس عقيل المباليغانوى

ط - ق - ب - د

لاسبيل إلى إحصاء ما كتبه المبشرون و انصار المبشرين عن الشرق ، و عن العرب و الاسلام ، فان المجلات و الكتب التبشيرية ، التى صدرت فى بلدان مختلفة ، و بلغات مختلفة ، يبلغ عددها إلى الآلاف . اضف إلى ذلك ان هناك فى العالم كله ، جرائد و مجلات سياسية ، أو أدبية أو علمية ، لاتظهر عليها صبغة التبشير و لكنها فى الحقيقة و سائل قوية من وسائل المبشرين .

و مع هذا كله ، فليس أمامنا شئ ، يكشف النقاب عن غايات المبشرين الحقيقية ، و ينبه على الأخطار التى يود المبشرون أن يعرضوا لها الشرق و العرب و الاسلام ، مع أن لهولآء المبشرين ألوف الكتب و الكراريس ، يحاولون أن ينشروها بكل سبيل فى المسلمين ، و فى طول البلاد العربية وعرضها ، و ليست كتب المبشرين ، هى التى تقتضى أن نكتب شيئا لكشف النقاب عن آثار تلك الاصابع الحاذقة التى تمتد إلى كل صوب فى العالم الاسلامى ، بل هناك المؤسسات التبشيرية . تلك الموسسات التى تبدو فى مظاهر مختلفة . بعضها واضح المعالم ، و بعضها الآخر بعيد عن التهمة كل البعد ، كالمدارس و الجامعات ، و المستشفيات ، والمياتم ، و الأندية ، و الجمعيات ، مؤسسات البر و الاحسان .

و قبل كل شئ ينغى لنا أن نبحث عن بواعث التبشير الحقيقية . يظن بعض الناس ، ان المبشرين ياتون إلى الشرق لنشر الدين ، على أنه هدفهم الأسمى ، و الحق ان نشر الدين أمر ثانوى جدا فى جميع الحركات التبشيرية . قدنجد اشخاصا قليلين يمولون حملات تبشيرية على الشرق ، ثم أفراداً قليلين آخرين ايضا يأتون فى هـذه الحملات لينشروا الدين حبا بنشر الدين ، و اعتقادا منهم بأنهم يقومون بعمل سام ، على ان الكثرة المطلقة من الذين يمولون تلك الحملات ، و من الذين ياتون فيها ، لاصلة بين أهدافهم الحقيقية و بين الدين ، الذى يزعمون أنهم قد جاءوا لنشره .

و يرى بعضهم أن السبب الأساسى فى هذا التبشير ، انما هـو بلا ريب راجـع إلى العداوة التى أثارهـا الصليبيون ، و أن المسلمين

لا يزالون متأثرين بموقف الدول النصرانية من الاسلام ، في اثناء الحروب الصليبية . إلا أن المستشرق الألماني كادل بكر يرى السبب أبعد قليلا من ذلك ، إنه يرى أن الاسلام لما انبسط في العصور الوسطى أقام سدا في وجه انتشار النصرانية ، ثم إمتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها . و قريب من هذا ما رآه غاردنر أن القوة التي تمكن في الاسلام هي التي تخيف أوربا . و يحاول المبشرون أن يروا العداوة بين الاسلام و بين الغرب دينية ، و لكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات السنتهم فاذا هي سياسية .

و لكن كل ما ذكرناه يعود إلى قبل ألف عام من الدهر ، فهل ثمت مبرر لاستمرار هذه العداوة إلى أيامنا هذه ؟ إذا اعتبرنا أن أساس العداوة سياسي دنيوي لا روحي ديني ، ايقنا أن هذه العداوة من المبشرين نحو الاسلام لا يزال لها مبرراتها لقد أبرز لورنس براون هذا الموقف في صورة واضحة حينما قال : « إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم و خطراً ، أو امكن أن يصبحوا نعمة له . أما إذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن و لا تاثير » . أما القس سيمون فكان أوضح في التعبير لما قال « إن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (كذا) و تساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية . و لذلك كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة ، ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب ، و على سلب الحركة الاسلامية من عنصر القوة

و التمركز فيها : إذا كانت الوحدة الاسلامية تكتلا ضد الاستعمار الأوربى ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الأوروبيين فى غير مظهر المستعمر ، فان الوحدة الاسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها و سببا من اسباب وجودها . من أجل ذلك قالوا يجب أن نحول بالتبشير مجارى التفكير فى الوحدة الاسلامية ، حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل فى المسلمين .

و لا شك أن المبشرين يمزجون الدين بالسياسة ، فالدين كالوسيلة أما السياسة فهى الهدف الحقيق . و السياسة هنا معناها إستعباد الغرب للشرق .

و مما لا ريب فيه أن الباعث الحقيق و الأول فى رأى القائمين على التبشير انما هو « القضاء على الأديان غير النصرانية » توصلا إلى استعباد أتباعها . إن المعركة بين المبشرين و بين الأديان غير النصرانية ، ليست معركة دين ، بل معركة فى سبيل السيطره السياسية و الاقتصادية و يبدوا بوضوح أن أشد الأديان مراسا فى اباء الاستعباد انما هو الاسلام ، و لذلك يتمنى المبشرون أن ينصروا المسلمين كلهم . و مع أن التبشير يعمل ضد البوذيين و البرهميين ايضا ، فان المقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون . و لقد استوى فى هذه الرغبة جميع المبشرين على الرغم من اختلاف طوائفهم و تباين الأقنعة التى يرفعونها على وجوههم . حتى المستر بنروز ، رئيس الجامعة الأمريكية يقول : « إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا فى هدفهم المباشر ، و هو تنصير المسلمين جماعات جماعات ، إلا انهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة »

ثم يتابع المستر قوله فيقول « و لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التى استطاع المبشرون أن يلجأوا اليها فى سعيهم لتنصير سورية و لبنان ·

و الامر المهم الذى يعنون به كبار رجال التبشير عناية فائقة هو إعداد المبشرين · فالذين يريدون أن يعملوا فى التبشير · يدرسون مناهج خاصة مبنية على تفهيمهم روح الشرق فهنالك سياسة تهيمن على ذلك المنهاج ، هى تصوير الشرق بصورة من التأخر و السوء ، تحمل طالب التبشير على أن يندفع فى مهمته إندفاعا أعمى . و لقد أوجدت مدارس لهذه المهمة منذ زمن بعيد ، فى روسية و باريس و فى طيطلة بأسبانية ، أضافت إلى مناهجها تدريبا عسكريا للتبشير بالقوة .

و لم يكن من المستغرب أن تقوم الرهبنات الأجنبية على اختلاف نزعاتها بالتبشير . إن فرقا مختلفة من الرهبان ، قامت منذ أوائل القرن الثالث عشر بالتبشير ، ثم استمرت فى عملها هذا بعد ذلك . و منذ القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر ، كان الرهبان و الرومينكان و الفرنسسكان يعملون جاهدين فى مراكش و الجزائر و تونس و مصر و الشام . ثم برزت فى أواخر القرن السابع عشر فرق أخرى ، منها العازريون و الكبوشيون . و مع أن هؤلاء قد عملوا فى الاكثر بين العبيد و الأسرى النصارى ، فانهم كانوا من حين إلى حين يتعرضون للمسلمين .

على ان هنالك أفراداً ، ليسوا رهبانا ، و لكنهم تعلموا فى المعاهد الرهبانية و فى معاهد اليسوعين خاصة . أن هؤلاء ايضا يقومون بأعمال

تبشيرية مختلفة . و هذا النوع من الرجال يعرفون باسم اليسوعيين ، ذوى الثياب القصيرة . حتى الراهبات اللواتى يظن انهن نذرن أنفسهن لخدمة المرضى و تعليم الجاهلين ، و مؤاساة المساكين . لسن سوى مبشرات . يقول اليسوعيون فى كتابهم المئوى ، الذى أصدروه فى بيروت عام ١٩٣١ : « إن الأخوات لسن راهبات مبشرات . إنهن فى كل مكان يوجد فيه ، يعملن إلى جانب عملهن التعليمى اعمالا تبشيرية ، و هن لا يكتمن ذلك بل يعلن أنهــن يعملن لضم الخراف الضالة أو المهمــلة الى حظيرة المسيح المنــلك .

و لقد استخدم المبشرون جميع الطرق فى سبيل التبشير ، و استغلوا جميع المناسبات ، فصناعة التطبيب و التعليم و الوعظ و نقل الكتب من لغة إلى لغة ، كلها يجب أن توجه توجيها يفيد التبشير . و المبشرون مجمعون على أن جميع الوسائل — مهما كانت — يجب أن تستغل فى سبيل التبشير . حتى اعمال البر ، يجب أن تستغل استغلالا بحتا ، من ذلك قولهم « كان التطبيب و التعليم من وسائل التبشير ، و يجب أن يبقيا كذلك ، أما أعمــال الاحسان فيجب أن تستعمل بحكمة ، كيلا تذهب فى غير سبيلها ، يجب أن تعطى الأموال أولا للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجا ، كلما اقترب أولئك من الدخول فى الكنيسة (اعتناق مذهبها) فاذا دخلوها منع عنهم الاحسان مرة واحدة .

و سنتكلــم عــلى هــذه الرسـائل فى العبـارات التـالية بايجـاز :

التطبيب حيلة للتبشير :

لقد ادرك المبشرون هذا الميل فى البشر ، فخرجوا عن كل نبل فى الطبيعة الانسانية و سخروا الطب فى سبيل غايات ، حسبك دليلا على نوعها قولهم هم : حيثما تجد بشرا تجد آلاما ، و حيثما تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب ، و حيثما تكون الحاجة إلى الطبيب فهنالك فرصة مناسبة للتبشير . و هكذا اتخذ المبشرون الطب ستارا يقتربون تحته من المرضى .

و قد كان أول من غير سنة وصية أبقراط (وصية أبقراط : حينما يتخرج الطبيب فى الكلية يقسم بعد أن يتسلم الشهادة يمينا تسمى يمين أبقراط . يقسم فيه بانه يقصد فى جميع التدابير ، بقدر طاقته ، منفعة للرضى ، و الأشياء التى تضر بهم و تدنى منهم بالجور عليهم ، فيمنع منها بحسب رأيه . و لا يعطى — إذا طلب منه — دواء قتالا ، و لا يشير ايضا بمثل هذه المشورة . و إلى غير ذلك من الأمور ، التى تنكشف عن نفس انسانية نبيلة . و لكن غيرها) الأمريكيون ، حينما بدأوا ينشؤن عيادة طبية فى سيواس (بتركيا) عام ١٨٥٩ م ، و هكذا نظر الأمريكيون منذ ذلك الحين إلى الطب على أنه معين للتنصير . و منذ ذلك الحين إعتبر الأمريكيون الطب « مشروعا مسيحيا » . و على هذا قال الطبيب بول هاريسون فى كتابه « الطبيب فى بلاد العرب » (ص ٢٧٧) : إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى و لو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عمان) باسرها . لقد وجدنا نحن فى بلاد العرب لنجعل

رجالها و نساءها نصارى ! »

و لا ريب فى أن الطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس حتى أولئك الذين لا يخالطون غيرهم . و لذلك قال المبشرون أن بامكان الطبيب المبشر أن يصل بتبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم ، ثم انهم فرضوا أن يكون الطبيب المبشر « نسخة حية من الانجيل ، إن بامكانه أن يغير الذين حوله و يجعل منهم نصارى حقيقين ، أو أن يترك فى نفوسهم أثرا عميقا على الأقل .

و المبشرون يصرحون بذلك فموريسون يقول : « نحن متفقون بلاريب على أن الغاية الآساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجين فى المستشفيات ، أن نأتى بهم إلى المعرفة المنقذة ، معرفة ربنا يسوع المسيح و أن ندخلهم اعضاء عاملين فى الكنيسة المسيحية الحية » .

و تبدوا أهمية المستوصفات و المستشفيات عند المبشرين بانها إذا كانت للاطباء ، فان مهمتهم الأولى تكون أسهل . حينئذ يستطيع الطبيب أن يجد فى غرفة الاستشارة أو فى العراء فرصا مناسبة لينثر بذور التبشير فى قلوب المرضى . فى هذه الحال يكون كل من دخل المستشفى أو أتى إلى المستوصف للمعالجة ، قد تلقى من طبيبه المبشر تلك الكرازة (تعبير مسيحى معناه القاء النصائح على الآتين إلى الكنيسة) التى توجهه نحو المسيح . من أجل ذلك عنى المبشرون أول ما عنوا ، بالتطبيب على أنه واسطة إلى غاية . ان اليسوعين مثلا قد أسسوا اكثر اعمالهم التبشيرية فى سورية و غيرها الى جانب مراكز للتطبيب .

و كذلك كان لهم أطباء دوارون يزورون القرى ، ليلاحقوا الناقهين الراجين إلى قراهم فيكرزوا فيهم ، و لكنهم لم ينجحوا ، و كذلك يجب الا نعجب إذا علمنا أن ا كثر الأطباء البرو تستانت ، الذين نعرف اسماءهم ، ما جاؤوا الى بلاد العرب و الدول الاسلامية إلا حباً بالتبشير لا بالتطبيب ، و إن جلهم ان لم نقل كلهم ، قد أوقع فى البلاد أضرارا تفوق الخدمات الطبية التى اسداها أضعافا مضاعفة ، و اذا رأيت أن تعرف مبلغ إهتمام هولآء الاطباء بالتبشير لا بالتطبيب ، فاعلم أن نفراً منهم أنشأوا مستوصفا فى بلدة الناصر فى سودان ، و كانوا لا يعالجون المرضى ابداً إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذى يشفيه هو المسيح .

و لم ينس المبشرون مقام المرأة فى الأسرة ، فوجهوا اهتمامهم الى التأثير عليها ، و جعلوا يبشرون فى مستشفيات النساء وفى المستوصفات . وكذلك أرسلوا الطبيات المبشرات الى القرى للاتصال مباشرة بالنساء ، و استخدام نفوذ المرأة فى الوصول الى اهدافهم ، التى يزعمون انها نبيلة ، و لكنها لا تنكشف دائما إلا عن سعى لبسط نفوذ سياسى استعمارى .

و لقد استخل المبشرون كل شئ فى سبيل التنصير حتى الممرضات يرى المبشرون أن الممرضة لا تعمل على تخفيف الالم فقط ، بل تحمل اليهم ايضا رسالة المسيح ، و لذلك حرص المبشرون على انشاء مدارس للتمريض فى ايران .

التعليم ميدان فسيح للتبشير :

« كل مولود يولد على الفطرة » (الحديث) و لكن يولد و فيه

استعداد طبيعى يتوجه به نحو الخير او الشر و نحو صناعة أخرى و لا ريب فى اننا اذا استثنينا بعض عوامل الوارثة الطبيعية ، وجدنا أن الموجه الحقيق لكل فرد ، انما هو البيئة الاولى ، التى إحتضنته صغيرا . على ان عوامل البيئة تظل تعمل فى الأفراد و الجماعات ، و لكن تاثيرها يقل كلما تقدم الانسان فى السن .

و لقد أدرك المبشرون هذه الخاصة فى البشر ، هذه الخاصة التى يجب ان تستغل فى سبيل الانسانية ، و فى سبيل جلاء شخصية الفرد و بناء شخصية المجموع . و لكن المبشرين ضربوا بهذا كله عرض الحائط و استخدموا العلم و التعليم فى سبيل غايات صغيرة ، و شغلوا انفسهم بتبديل عقائد الأفراد الدينية ، باذلين جهودا كبارا فى سبيل منافسة غير نبيلة : عداوة على تجاذب الاشخاص بين اليسوعين و البروتستانت ، و مكائد بين فرق البروتستانت انفسهم ، ثم رياء لاحد له فى تزيين الآراء و تسويد صفحات التاريخ .

و نحن هنا دائرون بك حول نقطتين : حول إستغلال المبشرين العلم بطرق لا تنكشف الا عن ضيق فى الأفق ، إلا أن هذا قليل الأهمية لأن الانسان لا يلبث أن يرى هذا الأفق الضيق فيجازى به أصحابه ، و أما النقطة الثانية فهى حرص المبشرين على إفساد النبل الانسانى و جعل العلم ، العلم الذى هو نعمة فى سبيل تحرر الانسانية و رقيها ، وسيلة إلى إستعباد الأفراد و الأمم ثم سوقهم بسيف الاستعمار إلى الاستكانة أمام سلطان السياسة المادى ، فليس التعليم عندهم غاية سوى التبشير .

يقول نفر من المبشرين إن أهداف المدارس و الكليات التى تشرف عليها الارساليات فى جميع البلاد كانت دائما متشابهة . إن المدارس و الكليات كانت تعتبر فى الدرجة الاولى واسطة للتنصير و التمرين فى الكنيسة . . . حتى الموضوعات العلمانية التى تعلم من كتب غربية و على يد مدرسين غربيين ، تحمل معها الآراء النصرانية .

و يرى هنرى جسب نفسه : « إن التعليم هو واسطة إلى غاية فقط فى الارساليات المسيحية ، هذه الغاية هى قيادة الناس إلى المسيح و تعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين و شعوبا مسيحية . و لكن حينما يخطوا التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية فى نفسه و ليخرج لنا خيرة علماء الفلك و طبقات الأرض و علماء النبات و خير الجراحين و الأطباء فى سبيل الزهو العلمى . . . فاننا لا نتردد حينئذ فى أن نقول : إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيرى المسيحى إلى مدى علمانى محض إلى مدى علمى دنيوى . مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ و كمبردج . لا الجمعيات التبشيرية التى تسعى إلى أهداف روحية فحسب » .

و قد قال قبل ذلك : إن المدارس شرط أساسى لنجاح التبشير ؛ و هى بعد هذا واسطة إلى غاية لا غاية فى نفسها .

و إن هذه المدارس يتطلب من المعلم أن يكون مسيحيا فحسب ، بل يجب أن يكون مسيحيا من كل قلبه و أن يطبق الحياة المسيحية على المبادئ الاجتماعية و السياسية و الدولية ، و لهذا كان المعلم الاجنبى

افضل من المعلم الوطنى ، و خصوصا اذا كان المعلم الوطنى مسلما .
و لما بدأ المبشرون عام ١٨٣٤ يفتحون المدارس فى بلادنا ، كان معظمهم يقصر التعليم على التوراة و الانجيل فقط ، لا يريد ان يتحداهما ، إذ ان غاية المبشرين الحقيقة كانت اعداد شبان للتعليم فى مدارسهم او للعمل فى مكاتبهم توسيعا لحركة التبشير . على ان بعضهم كان يود ان يعلم الطلاب شيئا آخرسوى التوراة و الانجيل . و لكن المبشرين كلهم اجمعوا على ان التعليم الدينى شئ اساسى فى سبيل غايتهم ، و اقترحوا فوق ذلك أن يوحد المبشرون مشروعهم المسيحى فى التعليم .
و أخيراً جاءت العلوم الحديثة ، و لم يبق بالامكان أن تتجاهل المدارس الأجنبية علوما عظيمة نافعة كالرياضيات و الكيمياء و الحقوق و الاجتماع و الاقتصاد و الرسم و ما شابهها . فلجأت تلك المدارس حينئذ إلى سياسة جديدة ، إلى سياسة الدس على الاسلام و التاريخ الاسلامى ، أليست هذه المدارس مدارس تبشيرية ؟ أو ليس هدفها الأول مقاومة العرب و الاسلام ؟ فلماذا لا تكتفى إذن من تنفيذ خطتها بمهاجمة خصمها الحقيقى ؟ و هكذا إنحدر التبشير و المبشرون إلى درك فى التاريخ و العلم لا يحمدون على الانحدار اليه .

إن للتعليم النسائى أهمية خاصة فى بناء المجتمع . هذه الاهمية لم تغب طبعا عن أعين المبشرين ، فاولوها عناية عظيمة ، فلما جاءوا إلى العالم العربى ، كان العلم بين الرجال قليل الانتشار ، أما بين النساء فكان أقل انتشارا . و ادرك المبشرون أن هذه حال لا يمكن أن تدوم ، و أن

المرأة ذات أثر فى التربية أكثر من الرجل فاولوها اهتماما عظيما . و إن المبشرين لم يتأخروا فى فتح مدارس البنات ، فانهم فتحوا مدارس كثيرة للبنات فى مصر و السودان و سوريا كلها ، و فى الهند و الأفغان .

و لكننا نعتقد أن التعليم الوطنى الموحد ، و لو كان ناقصا بعض النقص ، أفضل من التعليم الاجنبى المتنافر ، و لو كان كاملا كل الكمال .

السيـاسة طريق التبشير :

لقد خابت الجمعيات التبشيرية فى جهودها الفردية بين المسلمين . لقد تبين لهـذه الجمعيات ، لأسباب كثيرة إن انتقال المسلم من الاسـلام إلى النصرانية قد يتم مرة فى العام بعد العام . و لكن ذلك يعنى إن الجهود لا تتناسب مـع النتائج ، فيجب البحث عن طريق أشد تاثيرا ٠

أما الاسباب الحقيقية التى تصرف المسلم عن هـذا الانتقال — كما ذكرها المبشرون أنفسهم — فلن نتعرض لهـا ، ذلك لأنهـا تثير مشكلة عظيمة بين مواطنين فى الشرق يعيشون على الأخوة و الوداد ، و هــذا أبعد شئ عن غايتنا فى هذا المقال . و الآن لنا هدف واحد : إننا نريد أن نبرهن على أن رجال الدين الأجانب هم المسئولون عن نكبات الشرق السياسية و الخلقيه ، و عن الفتن التى كانت تثور بين أهل الأديان و المذاهب ٠

و من أجل ذلك كله تلفت المبشرون ، منذ زمن قديم جدا إلى سبيل أحسن تمهيدا و أشد تاثيرا ، فلجأوا إلى حكوماتهم . و بعد أن رضى المبشرون أن يجعــلوا الدين آ لة فى يد الدول ، إنتهزت الدول

هذه الفرصة و جعلت تساعد المبشرين ، الا انها فى الحقيقة كانت تسعى إلى أهدافها الخاصة .

و من الأمور التى أصبحت معروفة فى اسباب الحروب الصليبية ، أن تلك الأسباب كانت فى ظاهرها دينية . غايتهـا تخليص بيت المقدس من يد المسلمين ، بينما كانت فى حقيقتها سبيلا للسيطرة عـلى الشرق الاسلامى بمـا فيه من خيرات اقتصادية و مراكز حربية .

و لمـا أدركت الدول الأوروبية أن المبشرين آلة فعالة لتاييد النفوذ الأجنبى فى الابراطورية العثمانية ، أخذت تلك الدول تتبارى فى استخدام المبشرين ، و كان الدور الأول فى ذلك للسياسة الانكليزية . و يظهر ان انكلترة لم تكن ترهب نفوذا الولايات المتحدة فى الشرق الاسلامى ، كما كانت ترهب النفوذين ، الأفرنسى و الايطالى فيه .

كان التعاون السلمى بين رجال السياسة و بين المبشرين قليل النتائج و كانت هـذه النتائج على قلتها بطيئة الظهور ، و لقد اعتد رجال السياسة هذا التعاون دينا لهم على المبشرين ، فلما قوى المبشرون بعض القوة فعلا ، رجعت عليهم دولهم تقتضيهم هذا الدين .

و هكذا بعد أن عملت الدول الأجنبيه زمـا طويلا عـلى تاييد إرسالياتها التبشيرية فى الشرق . قويت تلك الارساليات . فعادت هى بدورها تعمل على تاييد دولهـا . و لكن المبشرين لم يستطيعوا ذلك الا من طريق إثارة الاضطرابات فى بلادنا ، و لذلك عمـدوا إلى اثارة اضطرابات مختلفة ، و حرصوا على اذكاء العداوة بين الذين كانوا يبشرون

بينهم ، و على أن يفسحوا المجال أمام دولهم للتدخل فى بلادنا .

لم يكتف الأجانب بالنزول فى الشرق ، و استغلال خيراته ، و احتلال مواقعه الحربية ، و بالتصرف فى مناصبه و وظائفه كما تملى عليهم مصالحهم و كما يريد هواهم ، بل إنهم أرادوا أن يضمنوا مستقبلهم فيه ، و أن يحولوا دون كل تنبه و يقظة فى المستقبل . و لذلك عزموا علـــى أن يفسدوا حياة الشرق القومية و الاقتصادية ، و يفككوا عرى وحدته الوطنية ، و يخمدوا جذوة الروحية ، حتى يصبح الشرق بين أرجلهم أشلاء لا تستطيع حراكا .

و لقد استعانت الدول الأجنبية على ذلك فى الشرق بالرهبان السود (اليسوعيين) و بخلق الحركات الشعوبية كالفرعونية و الأشورية ، ثم باليهود و الصهيونية .

الأعمال الاجتماعية طريق التبشير :

الأعمال الاجتماعية هى المناسبات التى تربط بعض البشر ببعضهم عرضا ، أو تتيح بعض الناس أن يعرفوا بعضهم الآخر ، إن البشر عادة مقسمون حسب اعمالهم ، فقلما يتاح للطبيب المنصرف إلى علمه و عمله أن يجتمع بالتاجر أو بالصانع أو بالفنان . و كذلك يتعذر علـى رجل من المدينة أو من حى معين فى المدينة . أن يجتمع برجل من مدينة أخرى أن من حى آخر فى مدينته هو . من أجل ذلك يلجأ الناس عادة إلى خلق جو اجتماعى يجمع بينهم فى مناسبات مختلفة : فى الحفلات الرياضية و الخطابية ، و فى الاندية الأدبية و السياسية ، و فى الاتصال

فيما بينهم من طريق الصحف و المجلات و اعمال البر و الاحسان ، و في الاجتماعات المختلطة بين الجنسين رجالا و نساءا ·

و المبشرون يعرفون هذه كلها فى بلادهم ، فاحبوا أن ينقلوها إلى بلادنا ، لا حبا بنا نحن لكى تكون الصلات بيننا أوثق و الحياة عندنا أكثر فائدة و اكثر حرصا ، بل توصلا إلى اختراق السور الذى ضربه العرف الشرقى حول الأسرة المسلمة ، كى يفتح لهم باب جديد يلجونه للتبشير بيننا ، تلك كانت غايتهم الاولى من النشاط الاجتماعى الذى أحبوا أن يبثوه فى بيئتنا بواسطة المدارس الأمريكية خاصة ، و من طريق الخدمة الاجتماعية بين الفلاحين ايضا ·

الاحسان فى الحقيقة عطف من القوى على الضعيف ، عطف يبتدى فى صور مختلفة أبرزها و أشهرها دفع المال . و لكن الاحسان قد يجرى مجارى أخرى كالتعليم المجانى ، وهبة الثياب ، و الكتب ، و المساعدة على ايجاد عمل و ما يجرى هذا المجرى . فلنبدأ هنا بالمال : لم يكن المبشرون محسنين بالمعنى النبيل الذى نفهمه من هذه الحكمة ، و لكنهم كانوا يستغلون ما بايديهم من وسائل الاحسان حتى يصلوا إلى أهدافهم التبشيرية فالاستعمارية . و لقد كانوا فوق ذلك مقتصدين جدا لا ينفقون و لا ينفعون إلا بمقدار ما ينتظرون من فوائد عاجلة ،

أما التعليم المجانى الذى يظهر عليه طابع الاحسان ، فان المبشرين يهتمون به ايضا ، يعتقد اليسوعيون أنه يجب أن يقوم إلى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية ، مدرسة صغيرة للفقراء مجانية ،

لا لتعليمهم فى الدرجة الاولى ، بل لحفظ المظهر التبشيرى باديا للعيان . إن الفقراء أكثر انقيادا لقبول هذا المظهر من أندادهم من ابناء الأغنياء هذه النزعة فى التعليم المجانى لا ينفرد بها اليسوعيون الأفرنسيون وحدهم ، بل يتنازعها جميع المبشرين .

و استغل المبشرون جميع أوجه النشاط الاجتماعى للتبشير ، حتى تلك التى لا يسبق الوهم إلى انها بؤرات تبشيرية ، من هذه الأوجه كلها انشاء المكتبات لبيع الكتب فى الظاهر و تكون ستارا لارادة أعمال التبشير .

و اخيرا إننا عرفنا فى الكلمات السابقة عدة من الوسائل التى يتوسل بها المبشرون إلى الوصول إلى الاسلام و المسلمين ، ثم ادركنا أن التبشير انما هو فى الحقيقة تمهيد إلى السيطرة السياسية على بلاد الشرق للاستغلال الاقتصادى .

فالتبشير إذن خطر دينى بالغ فوق ما هو خطر سياسى و اقتصادى : إنه خطر على كيان الأمم الشرقية ، إن القضية بالنسبة الينا قضية بقاء أو فناء .

العالم العربى فى حاجة الى قيادة مخلصة متحمسة

محمد ابو بكر الغـازى بورى
المتخرج من دار العلوم بديوبند

* * *

ان العالم العربى قد نكب اليوم باقسى الاحوال ، و احيط بظروف عصيبة جـدا ، و قد هزت الشعوب العربية بكوارث و ماسات جعلتها تتقلب المـا على فرش الهوان و الذل ، و قد ارقت من عينها الكرى ، و افقدت وعيها ، ان الحالة التى تمر بها الدول الاسلامية العربية حالة عجيبة فى نوعها ، لا نجد مثالها فى تاريخها الطويل الممتد ·

ان تاريخ العالم الاسلامى يتجمل بالامجاد و الفخار و الاعمال المثالية و العرب قوم عرفوا بالحماسة و الجد ، و البطولة المدهشة ، و التفانى فى سبيل الحق و التضحية باعلى شئ عندهم فى سبيل صيانة العز و الشرف و الاحتفاظ بشخصيتهم و رفـع شان دينهم ، و قد يضرب المثل بهم فى الكفاح و العمل و العزيمة الصارمة ، و الهمة العالية و المغامرة و المثابرة .

و قد اشتهروا في الاخلاق الكريمة و العادات النبيلة، و القيم العليا، انهم قوم جد و جهد، و كد و عمل، قوم ذو غيرة و انفة، لا يخضعون لذل او مهانة، لا يهترخون لهزيمة و لا يستسلمون لها جم على كرامتهم و حرمتهم، و لا يظهرون الطوع لمكابر و معاند يريد النيل من شرفهم العزيز، و بجدهم التليد، انهم قوم انتفاض و قيام في سبيل الحق لكسبه و رده الى صاحبه.

هذا الذي قرأناه في تاريخهم الزاهي الجميل و عرفناه من عاداتهم و شعارهم، و جربناه عن اعمالهم، الا اننا نقضي العجب الآن من هذه الحالة المخزية التي ابتليت الشعوب العربية بها. و الذي زادنا عجبا و حيرة انه قد مضت خمس سنوات على تلك النكسة التي سببت خزيا لها، و حطت من شأنها، و قدحت في سمعتها و نالت من مجدها، نكسة اليمة مفجعة بكت لها العيون، و تفجعت لها القلوب، نكسة غيرت مجرى التاريخ، و هزيمة فاحشة نكراء، اصبحت نقطة سودا على جبين الشعب العربي، بل على جبين العالم الاسلامي كله. مضت على هذه النكسة و هذه الهزيمة مدة طويلة و وقت غير قليل و العرب الآن كما كانوا، لم ينتفضوا لغسل العار الذي لحق بهم، و الحصول على المجد الذي ضاع منهم، و لا عادة الحال الى نصابها، لم يقوموا لاسترداد ما سلب منهم من الاراضي المقدسة و البلدة المباركة، التي هي مجلبة سعادة و فخر لهم، تلك البقاع المباركة و المقدسات المحترمة التي كانوا — العرب — امناء لها، و كانوا مكلفين بصيانتها من ايد معتدية ظالمة اثيمة، و كانوا

هم المسئولين الاولين بالاحتفاظ بحرمتها ، احتلها عدو ماكر عنيد ، و داخها ظالم مريد عتيد ، و تلعب بحرمتها امة ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، جعلت يدها الوسخة على تلك الأمكنة الكريمة ، مهبط الانبياء و الرسل ، دويلة صغيرة تتحداهم و تتحدى غيرتهم و انفتهم و العرب لا تثور ثائرة غيرتهم ، و انهم قد التزموا الصمت . و اختاروا الوجوم ، و انقادوا للحالة التى هم فيها ، يعيشون الآن و استكانوا للهوان ، و استحبوا حياة البذخ و الترف ، و اللهو و اللعب ، على حياة الكد و الجهد ، و العمل و الاقدام ، و استأثروا حياة الهوان على حياة الشرف و الكرامة . حياة العز و المجد ، احبوا الاشتغال بالملاهى و الاهمال بدل صب العروق ، و الخروج الى ساحة العمل . اختاروا حياة التنعيم مكان المكافحـــة و المدافعة . آثروا حياة النوم عـــلى فرش وثير ناعم عـــلى سهر الليـــالى و صبر الشحوم .

و تاريخ كل قوم يشهد ان امة — اية أمة كانت — اذا تسرب اليها الانحطاط الخلق ، و عدم الشعور بالمسئولية ، و الاهمال ، و دلف اليها الحب للـمال و الحياة الرخيصة و الاسترسال فى هواها و رغبت عن الجهد ، و البروز فى ميدان العمل ، و الكفـاح و التواصل للبدأ و امتنعت عن تقديم للتضحيات للـمال و الانفس ، وتغلغل فى قبلها حب الدنيا فلا تقوم قائمتها و تصبح فى عاجل او آجل عرضة الفناء و الاضمحلال و لا تعيش عزيزة كريمة ذات مجد و شرف ذات تاريخ و تطوير . و لا يكتب اسمها الا فى سجل للمتراخين و المتكاسلين عديمى الغيرة والحمية .

يرضون بقمحة و هوان ، و تنازل و انحطاط .

و من العجب العجاب ان الامة العربية التى كان لها صدى و دوى فى البسالة و الحماسة ، و الوقوف ضد عدوان و اعتداء ، و الاخذ بيد الطغاة المردة فى العصر المنقرض، و كان لها من الآداب و الامجاد ما اندهشت لها النفوس و تحيرت مها العقول ، و اعجبت بها امم العالم انما شاع منهم فى ذات الوقت انهم أمة التواكل أمة الكسل ، و أمة نبذت المسئولية على الغير ، أمة الاستسلام و أمة الجمود ، يشمت عليهم الاعداء و يتربصون بهم الدوائر ، و يضربون على الصناجة فى بيوتهم فرحا بكبتهم و ذلهم و خورهم و ضعفهم

و اكبر شئ فقده العالم العربى هو الشعور بخسارتهم و بما لحقهم من العار و الذلة . فانهم مكان ان ينهضوا لسد هذه الخسارة و لغسل هذا العار اللاصق بجباههم الضنيئة انما هم فى عراك شديد فيما بينهم ، تحدث الثورات تلو الثورات ، تقتل النفوس ، تراق الدماء — لا دماء العدو الجانى المتعدى الغاصب — بل دماء اخوانهم و بنى جنسهم ، شغلهم التقاتل و التناحر فيما بينهم عن العدو و لا يحى شعورهم بما تصيبهم من الخسارة الفادحة . و الضرر الاكبر ، و لا يقدرون انهم بهذا التناحر قد اضاعوا قوة كبيرة ، و لا ادرى إلى متى يضيعون هذه القوة — قوة يجب ان تبذلى ضد العدو المحتل — و أثمة هذه الدماء التى ضاعت فى غير محل دماء لها قيمة لا تعادلها قيمة اى شئ ، دماء لم يكسب العالم العربى بها الا الخسارة الكبيرة لنفسه و الندم — اذا

بقى فيه شئ من الغيرة — و الشماتة للاعداء ، ان البسالة و المغامرات التى يراها ابناء العالم الاسلامى الشجعان المقاديم فى المعركة — لم تقم بينهم و بين العدو بل — و انما وقعت بين بنى أوطانهم ، كان مفخرة و عجابة للتاريخ ، لو كانت هذه المغامرات و البسالة وجهت نحو العدو الباغى الظالم الذى يريد ان يهدمهم و يدمرهم و يزلزل كيانهم ، و الذى اصبح خطرا كبيرا للعالم العربى اجمع ، عدو البس الامة العربية ثوب الخزى و الخزلان .

و فى هذا الوضع الخطير الذى اصبح امر العالم العربى فيه فوضى و تشتت جمعهم ، و لم تبق بينهم قيادة مخلصة شاعرة شعورا واقعيا بما يجب عليها أن تقوم به فى هذا الظرف العصيب ، لاسترجاع مجد العالم العربى الضائع و استرداد شرفهم المفقود .

قد اصبحت الحاجة أشد إلى قيادة مخلصة متحمسة تتزعم الشعوب العربية و تقودها إلى ما فيه خيرها و نفعها ، قيادة صحيحة سليمة تتالم بما ابتليت به الشعوب ، و تحس بما فيه من الوجع و النكبة احساسا كاملا . قيادة حية الشعور و العزم . ذات همة عليا . يكون ارتكازها على نفسها و على بنى جنسها . و لا تجعل سلاحها تهديدا فارغا ، و كلاما رنانا ، و ادعاءات متخاذلة ، و تهديدات مجردة كما فعلتها القيادات السابقة ، التى برزت فى العالم الاسلامى على مسرح النظام و الحكم الى اليوم .

و انما تجب ان تتصف هذه القيادة بصفتين رئيسيتين :

إحداهما ان تومن بالله ايمانا صادقا بجميع صفاته ، تومن انه قاهر على كل قاهر ، قادر على كل قادر ، ان الامور لا تدبر الا حسب مشيته ، و لا تقضى الا طبق قضائه ، تومن بان الحياة و الموت ، و النصر و الهزيمة و الرفع و الخفض كلها بيده ، لاية امة شاء ان يرفع الى قمة الظفر و الانتصار و لاى شاء ان يهبط به الى حضيض الذل و الهوان . و يجب ان يكون لهذا الايمان عمل فى مجالات جهدها . و يظهر من كل حركة تاتيها اثره الملموس ، لا تشخص الانظار الا الى الله ذى القوة المتين ، و يكون الاعتماد على ذاته وحدها ، و الثقة بقوته الخفية ، و بلطفه العام ، و ان يكون النظر إلى مسبب الاسباب قبل ان يكون إلى الاسباب ، واذا تمتعت القيادة العربية بهذا الايمان العميق . و سلمت زمام امورها إلى الله مع جهدها المتواصل ، و كدها الدائم ، و عملها المستمر لتحقيق الغايات ، و الباس خططها ثوب النجاح ، فعاشت فى العالم رفيعة الشان ، و عالية المنزلة ممتازة بين الأمم المعاصرة ، و كانت لها مكانة مرموقة . و منعة و شوكة ، و هى تحرز مكانتها بين الشعوب المتقدمة الراقية المتنافسة فى السبق و التقدم ، و الانتهاض و البروز .

و الامر الثانى الذى يجب على هذه القيادة ان تتسلح به هى الخبرة التامة و البصيرة الدقيقة ، و النشاط و الطمع فى جلب النفع العام و دافع التضحية و الفداء و التحمس فى كسب الخير ، و الارتكاز على نفسها . و النفور من الاتكال على الامم الاجنبية ، و التزود بالاساليب العلمية و الفنية الحديثة ، لا تكون عالة على الغير و لا آلة بيده ، و ترك

التراخى و التكاسل فى حياتهم المادية ، و دام العرب لا يتركونهما لا تصلح حياتهم ، و لا تتحقق امانيهم ، و لا ينجون من عدوهم ، فالوقت وقت العمل لا وقت الكلام ، و الوقت وقت اعداد مستطاع ، لا وقت الدعاوى و التهديدات . وقت الجهاد و النضال لا وقت الاكثار و التفخيم فالحاجة اشد إلى مثل هذه القيادة فى العالم العربى ليعود الوضع السابق ، و يجرى الامر الى نصابه . و ان يسود الامن و السلام ، و ترجع الكرامة و الشرف ؛ فان الله لا يغيرمابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، و لا تهنوا و لا تحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مومنين ؟

محمد ابو بكر الغازى بورى
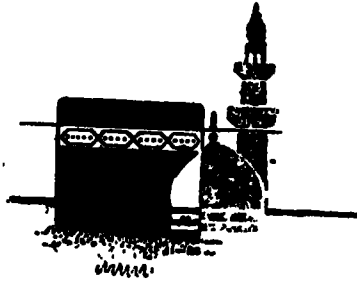
يا شعب الخلود

للشاعر المرحوم محمد اقبال

* * *

امة الصحراء يا شعب الخلود ... من سواكم حل اغلال الورى

اى داع قبلكم فى ذا الوجود ... صاح لا كسرى هنا لا قيصرى

من سواكم فى حديث او قديم ... أطلع القرآن صبحا للرشاد

هاتفا فى مسمع الكون العظيم ... ليس غـــير الله ربا للعبـاد

لا تقل اين ابتكار المسلمين ... و سل الحمراء واشهد حسن تاج

دولة سار مــلوك العالمين ... نحوها طوعا يؤدون الخراج

دولـة تقراء فى آياتهـا	مظهر العزة و الملك الحصين
فى كنوز الحـق فى طياتهـا	دونهـا حارت قلوب العارفين
ارسل الشكر الى غـير انتهاء	لنبى الله قدسـى الجنـاب
اشعـل الايمـان نورا بالعراء	اوقد النور بكف من تراب
و حباه الله من عليـائه	عزمة قل بهـا سيف الغـير
راكب النـاقـة فى صحرائه	سارفيها راكبا خـيل القـدر
كـبروا الله فى ظل الحروب	و صفوفا تحت ظل المسجـد
ضجة دانت لهم فيها الشعوب	و ارتقوا فيها مكان الفرقد
وى كان لم تشرقوا فى الكائنات	بهدى الايمان و النهج الرشيد
و نسيم فى ظلال الحادثات	قيمة الصحراء فى العيش الرغيد
كل شعب قام يبنى نهضـة	وارى بنيـا نكم منهـد ما
فى قديم الدهر كنتم أمـة	لهف نفسى كيف صرتم أمما ؟
كل من أهمل ذاتيتـه	فهـو أولى الناس طرا لفناء
لن يرى فى الدهر قوميته	كل من قلد عيش الغرباء
فكروا فى عصركم و استيقنوا	طالما كـنتم جمالا للعصر

و املاوا الصحراء عزما و اخلقوا

مرة اخرى بهـا روح عمر

* * * * *

الخطابة من اهم وسائل الدعوة الاسلامية

سماحة الاستاذ الشيخ لطف الرحمن (١)

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد سراج الهدى و خاتم النبيين و امام المرسلين و على آله و اصحابه و من تاسى بهم و اتبع نهجهم القويم . و بعد :

ان الخطابة (SERMON) لها اهمية بالغة و لها تاريخ متوغل فى عصور عتيقة . و لقد كان داؤد عليه السلام اخطب الانبياء . فكانت الخطابة و الفصاحة من الصفات التى اصطفاه الله بها ، فيقول القرآن الكريم « و شددنا ملكه و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب » (ص) و بيان فصل الخطاب الذى حبا الله به داؤد عليه السلام يموه بما للخطابة من معنى و مفهوم . فيتعين ان يكون الخطابة بكلمات سهلة واضحة و بجمل منتظمة

(١) هذه نبذة من مقدمة « الخطب الرحمانية » الجديدة لصاحبها الشيخ لطف الرحمن و نقلها الى العربية عبد الرحمان الكيرانوي .

متناسقة و اسلوب متزن متفق مع المقصود ، و لا بد ان يكون خاليا من الغموض و التعقد و التكلف لئلا يصعب على المخاطب فهمه و العمل به . اذ ان الخطاب اذا كان على العكس من ذلك قد يسبب تشرد البال و حيرة العقل ، و ضيق الصدر . بدل ان يكون باعثا على طمأنينة الخاطر و اقتناع العقل و انشراح الصدر .

و الناحية الثانية التى دلت عليها هذه الآية الكريمة هى ان الخطابة يمكننا التذرع بها الى تعليم الناس لامور الدين الفطرى و تعليم الحكمة و هى تلك العطية الالهية الجليلة التى تؤهل الامم للاضطلاع بمهام الحكومة و ادارة دفة البلاد . و تكسبها حنكة و بصيرة ، و قوة و مناعة ضد قوى الشر و الطغيان . فلقد كان للخطابة دور فعال فى بناء الامة الاسلامية و ذلك لانها قد ساهمت مساهمة كبيرة فى نشر الاسلام و ابلاغ دعوته حتى ازدهر و امتد سلطانه القوى فى الخافقين .

و لقد بلغت عناية الاسلام بالخطبة أن التزم النبى ﷺ القاءها قبيل صلاة الجمعة طوال حياته منذ بدأها و امر باقامتها حتى اصبحت بمثابة جزء من الصلاة مكافى لما قصر منها . و ما احوج عصرنا الحديث إلى الخطابة فما من مجلس يجتمع و لا من مؤتمر ينعقد الا و نجاحه يتوقف على كلمات المندوبين عامة و على خطاب (ADDRESS) الرئيس خاصة .

و يحدثنا التاريخ ان الخطبة قد استمرت دوما مستندة إلى ولاة الأمور و قادة الامم و زعمائها على اختلاف اشكالها و ازيائها باختلاف طبيعة الامكنة و البيئات و الديار . و قد حظى منصب الخطابة بنصيب

اوفر و اهتماما كبر من الخلفاء الراشدين و السلاطين العادلين و الملوك المنصفين من المسلمين . و قد استخدم هؤلاء السلاطين و الملوك الخطابة لبذل النصيحة و الموعظة و لصالح الاسلام و المسلمين ثم تدهورت حالتهم الخلقية و فسدت عاداتهم و تفشت فيهم اعمال الظلم و الغشم و الاضطهاد و الارهاب ، فاتجه نحوهم قانون مجازاة الاعمال ·

« و لكل امة اجل اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة و لا يستقدمون » (١) فتطورت اوضاعهم و تغيرت احوالهم ، فلما انقرضت شوكتهم و زال سلطانهم و لقوا مصيرهم المحتوم الذى قرروه بانفسهم بانغماسهم فى الشهوات الجامحة و الاهواء الطاغية . كان مصير الخطابة تبعا لذلك ان فقدت مكانتها السامية و نشاطها الفعال فاصبحت مهجورة متروكة الاستعمال لحقبة طويلة . و كان من نتيجة ذلك ان حرم الناس من دروس الهدى و التقى و نصائح الدين و الحكمة ، و غشيهم ستار متراكب من ضباب الجهل و الضلال فلم يهتدوا سبيلا و طبقوا عليهم المثل السائر : « الناس على دين ملوكهم » فنسجوا على منوال سادتهم و ملوكهم الغاشمين الضالين المعتوهين ، فانعكست فيهم اخلاق سادتهم الهمجية و عاداتهم الرديئة و قد عانت الامة الاسلامية من تدهور اخلاقها المثلى ، و انقراض مثلها العليا اجيالا طوالا حتى فقدت شعوب كثيرة حق تقرير مصيرها و و الاستقلال بحكمها فضلا عن تحتم قوتها تلك الصلبة الجبارة التى اذعنت لها امم العالم . و لا تزال الامة الاسلامية حتى الآن ترسف فى رواسب

(١) الآية ٤٩ من سورة يونس

اخلاقها الرذيلة والمتوافقة وبقاياها الهطيئة الزوال التي يمكننا أن نشاهد ظهورها إلى العالم ولا غرابة فيها، فانه الآية الاسلامية وفيها تبيانه، فان فساد الاخلاق وانحطاطها هو الذي يسبب انقراض شوكة أمة من الأمم وزوالها كما أن تحسن الاخلاق اذا اتسمت بها أمة من الأمم تؤدي بها إلى مراقي السعادة والهناء وترتفع بها إلى مشارف الكرامة وذروة المجد والعلى كما صرح بذلك المؤرخ الاسلامي ابن خلدون في مقدمته في الفصل الثاني من الكتاب الأول (ليراجعه من شاء التفصيل).

فمن حين أن كل بقعة من بقاع العالم افلست من الأمن والاطمينان وهددتها ضروب الأخطار وواجهتها انواع المشاكل والقضايا التي تحتاج إلى علاجها الناجع وحلها الحاسم، واخذت تعول على انفسه الأشياء التي تظن أن فيها سلاحا لمشاكلها كالغريق الذي يتشبث بالحشيش — ففي مثل هذه الآونة علينا أن نضطلع بمسؤليتنا ويتحتم علينا أن نقوم بواجبنا بلا تواني ولا تراخ، وتلك المسئولية هي العمل على إبلاغ الدعوة الاسلامية بعوض تلك الدروس الاصلاحية العملية التي القاها رسول الإنسانية والأمن والسلام الذي كان رحمة للعالمين: «وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين» (١).

فلقد قال ﷺ في الخطبة التاريخية التي القاها في حجة الوداع: «فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع» (٢). وكانت هذه الخطبة مأثرة من مآثر خطابه البليغ الرائع، وقد روى حديث

(١) الآية ١٠٧ من سورة الانبياء (٢) المجلد الاول من البخاري، كتاب المناسك.

طویل عن عرباض بن ساریة رض یقول : « صلی بنا رسول الله ﷺ ذات یوم ثم اقبل علینا بوجهه ، فوعظنا موعظة بلیغة ذرفت منها العیون و وجلت منها القلوب . فقال رجل : « یا رسول الله ! کان هذه موعظة مودع فاوصنا » فقال ﷺ : اوصیکم بتقوی الله و السمع و الطاعة و ان کان عبداً حبشیا ، فانه من یعیش منکم بعدی فسیری اختلافا کثیرا ، فعلیکم بسنتی و سنة الخلفاء الراشدین المهدیین ، تمسکوا بها و عضوا علیها بالنواجذ ، و ایاکم و محدثات الأمور ، فان کل محدثة بدعة و کل بدعة ضلالة » (۱)

(۱) مشکوة المصابیح باب الاعتصام بالکتاب و السنة ، الفصل الثانی .

معنى الفقه لغة :

قال فى الصحاح : الفقه الفهم . قال اعرابى لعيسى بن عمر : شهدت عليك بالفقه ، تقول منه فقه الرجل بالكسر ، و فلان لا يفقه و لا ينقه (اى يفهم)

و فى القاموس المحيط : الفقه بالكسر العلم بالشئ و الفهم له.

و فى المصباح المنير : الفقه فهم الشئ . قال ابن فارس : و كل علم لشئ فهو فقه .

فالفقه هو الفهم لما ظهر او خفى . قولا كان او غير قول . و من ذلك قول الكتاب الكريم « ما نفقه كثيرا مما تقول » (١) » و لكن

(١) الآية : ٩١ سورة هود .

لا تفقهون تسبيحهم » (١) « انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون » (٢)

غـــير أن القوافى قال فى شرح تنقيح الفصول : و قال الشيخ ابو اسحاق الشيرازى : الفقه فى اللغة ادراك الاشياء الخفية . فلذلك تقول : فقهت كلامك و لاتقول فقهت السماء و الارض . و على هذا النقل لايكون لفظ الفقه مراد فالهذه الألفاظ ، و الالفاظ التى يشير اليها القوا فى هى : الفهم والعلم و الشعر والطب . و لفظ الفقه من المصادر التى تؤدى معناها ، و كثيرا مايراد منها متعلق معناها كالعلم بمعنى المعلوم ، و العدل بمعنى العادل معنى الفقه فى الصدر الاول :

و قد غلب فى الصدر الاول استعمال الفقه فى فهم احكام الدين جميعها ، اى فهم كل ماشرع الله لعباده من الاحكام ، سواء أكانت متعلقة بالايمان و العقائد و مايتصل بها ، أم كانت احكام الفروض و الحدود و الاوامر و النواهى و التخيير و الوضع ، فكان اسم الفقه فى هذا العهد متناولا لهذين النوعين على السواء ، لم يختص به واحد منهما دون الاخر ، كان مرادفا اذ ذك لكلمات « شريعة . و شرعة ، و شرع ، و دين » التى كان يفهم من كل منها النوعان جميعا .

و كما كان اسم الفقه يطلق على فهم جميع هذه الاحكام ، كان يطلق على الاحكام نفسها ، و من ذلك قوله عليه الصلوة و السلام : « رب حامل فقه غير فقيه » « رب حامل فقه إلى من هو افقه منه » و هذا الاستعمال الجامع قد استمر أمدا ليس بالقصير ، يرشدنا الى هذا ما نقل

(١) الآية : ٤٤ سورة الاسراء . (٢) الآية : ٦٥ سورة الانعام .

و ماهذه المعرفة الا معرفة احكام الله بنوعيها ، كما أنه سمى كتابه فى العقائد « الفقه الاكبر » . ثم تغير هذا الاستعمال و دخل التخصيص على اسم الفقه ، و نشأ اصطلاح للاصوليين و آخر للفقهاء

معنى الفقه عند الاصوليين .

يحسن بنا أن نشير أولا إلى أن مانزل به الوحى الالهى على رسول الله ﷺ . كتابا كان او سنة . من الاحكام العملية . قد يكون دليله قطعى الثبوت و قطعى الدلالة معا ، و هو ماتعورف اطلاق النص عليه ، و هذا النوع لا مجال فيه للاجتهاد ، و ان كان محلا للنظر . فمنه مايكون ضروريا و شعيرة اسلامية كوجوب الصلوة و لزكاة و الصوم و الحج و منه ماهو نظرى . و مثل النص فى كل هذا الاجماع اذا كان ثابتا ثبوتا قطعيا .

و قديكون الدليل قطعى الثبوت ظنى الدلالة ، و قديكون ظنى الثبوت قطعى الدلالة ، و قديكون ظنى الثبوت و الدلالة . و هذه الانواع الثلاثة هى محل الاجتهاد و تسمى احكامها احكاما ظنية و احكاما اجتهادية ، فقوله تعالى « و امسحوا برؤسكم » (١) قطعى الثبوت و قطعى الدلالة على وجوب أصل المسح . فهو حكم قطعى ، لكن دلالته على مقدار مايمسح عن الرأس ، أهو الكل او الربع أو البعض . دلالته ظنية ، فالاخذ بأى مقدار يكون حكما ظنيا اجتهاديا .

بعد هذا نقول : إن الاصوليين قد اتجهت عنايتهم الى بيان مفهوم

---

(١) الآية ٦ : سورة المائدة

الفقه فى اصطلاحهم بالمعنى الوصفى ، اى الحال التى اذا وجد عليها المرء سمى فقيها ، و لم يعرضوا لمعناه الا سمى . اى المسائل و الاحكام التى يطلق عليها اسم الفقه ، و ان كان من الممكن أن يقال : ان الأحكام التى تسمى معرفتها فقها هى التى يمكن ان تسمى فقها بالمعنى الاسمى ، والاحكام التى تسمى معرفتها فقها هى التى يمكن ان تسمى فقها بذلك المعنى ، غير ان المسئلة مسألة اصطلاح و نقل له لا مسألة استخراج و تفهم و استنباط لوازم .

و قد افاض الأصوليون . و بخاصة المتأخرين منهم فى بيان معنى الفقه الوصفى فى مصطلحهم ، و كانت لهم فى ذلك تعريفات و اعتراضات ومناقشات و كلام طويل خلاصته ان لهم فى ذلك ثلاث طرائق .

فالطريق التى جرى عليها جمهورهم هى ان الفقه معرفة الأحكام الشرعية التى طريقها الاجتهاد كما قال الشيرازى فى اللمع ، و هو بعينه ما عربه غيره الفقه من انه العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال كما قال بعضهم أو من طريق أدلتها التفصيلية كما قال البعض الاخر ، فالعلم بالذوات من اجسام و صفات و سواها ليس فقها لانه ليس علم احكام. و العلم باحكام العقلية و الحسية و الوضعية كاحكام الحساب و الهندسة و الموسيقى و النحو و الصرف لا يسمى فقهاً لانه علم أحكام ليست بشرعية .

و علم احكام أصول الدين و أصول الفقه ليس فقها ، لانها احكام شرعية علمية و ليست عملية . و بقيد الاستدلال خرج عن أن يكون فقها علم جبريل و رسول الله ﷺ و علم المقلد بالاحكام

الشرعية العملية ، لانه علم ليس عن استدلال ، و كذلك العلم بشعائر الاسلام كوجوب الصلاة و الصيام و الزكاة و غير ذلك مما هو معلوم بالضرورة من غير استدلال ، فهذا لا يسمى فقها لحصوله للعوام و النساء و الاطفال المميزين ، فالفقه هو العلم الاجتهادى و الفقيه هو المجتهد ·

و الطريقـــة الثانيـــة :

هى ما انتزعه صدر الشريعة مما جاء باصول البزدوى مع شئ من التصرف . فقد اختار فى التنقيح تعريف الفقه : بانه العلم بكل الاحكام الشرعية العملية التى قد ظهر نزول الوحى بها و التى انعقد الاجماع عليها من ادلتها مع ملكة الاستنباط الصحيح منها ، فلكى يتحقق معنى الفقه عنده يجب العلم باحكام الشرعية العملية المعروفة اخذ من ادلتها ، قطعية كانت او ظنية . و ليس الاستدلال بمعنى الاجتهاد شرطا لحصول هذاالعلم ، و يجب ايضا أن تكون مع هذا ملكة الاستنباط الصحيح من الاحـــكام الشرعية التى نزل بها الوحى ، او انعقد عليها الاجماع . فالفقيه على هـذا من كان أهلا للاجتهاد و ان لم يقع منه اجتهاد ·

و الطريقـــة الثالثـــة :

هى التى جرى عليها الكمال بن الهمام فى التحرير و لا لغيره ، و هى لا تختلف عن الطريقة السابقة الا فى بعض امور أهمها ما يرجـــع إلى المراد من الاحكام الشرعية ، فقد ذهب إلى أنها القطعية لا الظنية ، و ان الظن ليس من الفقه ، و ان كان الاحكام المظنونة ليست مما يسمى العـــلم بهـا فقهـا .

فالفرق بين الطرائق الثلاث يرجع إلى المراد من الاحكام ، فمنهم من اراد منها الظنية وحدها ، و منهم من اراد القطعية وحدها ، و من جعلها شاملة للقطعية و الظنية ، و قد نقل ابن عابدين فى رد المختار عن شرع التحرير ، أن التعميم قد نص غير واحد من المتأخرين على انه الحق و عليه عمل السلف و الخلف . و دعوى هذا الشارح فى جريان العمل عليه دعوى جريئة لا يصدقها الواقع .

معنى الفقه فى اصطلاح الفقهاء :

و اسم الفقه قد استعمل فى اصطلاح الفقهاء للدلالة على احد معنيين . أحدهما : حفظ طائفة من مسائل الاحكام الشرعية العملية الواردة بالكتاب و السنة و ما استنبط منها ، سواء أحفظت مع أدلتها أم حفظت مجردة عن هذه الدلائل فاسم الفقيه عندهم ليس خاصا بالمجتهد كما هو اصطلاح الاصوليين ، بل يتناول المجتهد المطلق ، و المجتهد المنتسب ، و مجتهد المذهب ، و من هو اهل التخريج و اصحاب الوجوه و من كان من اهل الترجيح ، و من كان من عامة المشتغلين بهذه المسائل ، او تكلموا فى المقدار الادنى من هذه المسائل الذى يسمى حفظه فقهاء انتهى تحقيقهم إلى أن هذا متروك العرف ، غير انهم لا يصفون بفقه النفس الا من كان واسع الأطلاع ، قوى الفهم و الادراك متين الحجة ، بعيد الغور فى التحقيق و الخوض على المعانى ، له ذوق فقهى سليم نقى ، و ان كان مقلدا ، كما اعتادوا ان يصفوا بذلك الكمال بن الهمام و اضرابه من الفقهاء المقلدين .

و المعنى الثانى الذى يطلق عليه اسم الفقه : مجموعة هذه الاحكام و المسائل . فاذا ذكرت دراسة الفقه أو فهم الفقه ، او ما ورد فى الفقه ، او التاليف فى الفقه ، او كتب الفقه او ما هو من هذا القبيل ، فانهم لا يعنون الا هذه المجموعة التى تحتوى على الاحكام الشرعية العملية التى نزل بها الوحى ، قطعية كانت او ظنية ، و على ما إستنبطه المجتهدون على اختلاف طبقاتهم ، و على ما اهتدى اليه اهل التخريج و الوجوه ، و على ما ظهرت روايته و اشتهرت و ما يكن كذلك ، و على الأقوال الصحيحة و الأقوال الراجحة و الأقوال غير الصحيحة و المرجوحة و الضعيفة و الشاذة ، و على ما افتى به أهل الفتوى فى الواقعات و النوازل ، و إن لم يقم على استنباط و لم يكن إلا تطبيقا للاحكام المقدرة و على بعض ما أحتيج اليه من مسائل العلوم الأخرى كبعض أبواب الحساب التى ألحقت بالوصايا و المواريث ، و على ما رآه المتاخرون و الفقهاء الذين ليسوا من اهل الاجتهاد و لا التخريج من طريق ما سموه تفقها ، او استظهارا او اخذا . او ما اشبه ذلك ، فكل هذا الذى ذكرنا قد اندمج بعضه ببعض و صار فقها .

و لكل مذهب من المذاهب الفقهية مجموعته الخاصة التى تنسب اليه فيقال فقه مذهب ابى حنيفة . و فقه مذهب مالك و فقه مذهب الامامية و فقه الزيدية ، و فقه الاباضية . و هكذا . و منذ الأزمنة البعيدة وجدت مجموعة عامة شاملة لفقه المذاهب الفقهية كلها او اشهرها ، و هى التى اختصت باسم اختلاف الفقهاء ، و المجموعات الخاصة و المجموعة

العامة كلاهما يتناوله اسم الفقه .

و الفقه بهذين المعنيين يطلق عليه ايضا علم الفروع ، او الفروع ، اما فى مقابلة العقائد و اصول الدين ، لان التصديق بالأحكام العملية فرع للتصديق بالعقائد ، و اما فى مقابلة اصول الفقه لتفرع تلك الأحكام عن اصولها و ادلتها التى هى موضوع اصول الفقه .

و قد يطلق الفقهاء اسم الفروع ايضا على بعض المسائل المتفرعة على اصول المسائل الفقهية الكلية .

الشريعة و الفقه :

الشريعة و الشرعة معناها فى اللغة : مورد الناس للاستقاء ، سمى بذلك لوضوحه و ظهوره ، و تجمع الشريعة على شرائع و الشرع مصدر شرع بمعنى وضح و أظهر و قد غلب استعمال هذه الألفاظ فى الدين و جميع احكامه ، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذى اوحينا اليك (١)

« لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا » (٢) . « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » (٣) . فالشرع او الشريعة او الشرعة هو ما نزل به الوحى على رسول الله ﷺ من الأحكام فى الكتاب و السنة ، مما يتعلق بالعقائد و الوجدانيات و افعال المكلفين قطعيا كان او ظنيا ، و معناه يساوى معنى الفقه فى الصدر الاول .

و لا نعرف انه قد طرأ عليه تخصيص ، اللهم الا ما قديشعر به

(١) الآية ؛ ١٣ سورة الشورى (٢) الآية ؛ ٤٨ سورة المائده (٣) الآية ؛ ١٨ سورة الجاثية

استعمال بعض الفقهاء احيانا لكلمة « شرائع الاحكام » و لايريد منها الا الاحكام التكليفية و الوضعية ، و لكن هذا لايرقى إلى مرتبة التخصيص و الاصلاح .

اما الاحكام التى لم ترد لا فى الكتاب ولا فى السنة نطقا و لاعملا ، كانت مما استنبطه المجتهدون من معانى تلك الاحكام ، و لم يجمع عليها من اهل الاجماع ، فليست الا افهاما و آراء لأربابها . و لاتسمى فى الحقيقة شرعا و لاشريعة . و مانسبت الى الشرع و سميت احكاما شرعية فى تعريف الفقه و فى غيره من المواطن الا لأنها مستنبطة من الشرع ، لا لأنها منه .

فاذاوازنا بين مفهوم الشرع او الشريعة و مفهوم الفقه بالمعنى الاسمى فى اصلاح الفقهاء، وجدنا ان بينهما العموم و الخصوص الوجهى . يجتمعان فى الاحكام التى وردت بالكتاب و السنة . و ينفرد الشرع او الشريعة فى احكام العقائد و ما اليها مما ليس فقها ، و ينفرد الفقه فى الاحكام الاجتهادية و مايلتحق بها .

و قد ظهر فى عصرنا اطلاق اسم الشريعة الاسلامية على الفقه وما يتصل به و ربما كان بدء ظهور هذا فى مدرسة الحقوق بالقاهره ، ثم كثر استعماله ، حتى انه لايفهم الآن من الشريعة الاسلامية عند الاطلاق الا هذا المعنى ، و على هذا الأساس سميت الكليات التى خصصت فى بعض البلاد الاسلامية لدارسة الفقه . و مايتصل به . كلية الشرعية الاسلامية .

و قد فشا أخيرا فى القضاء استعمال عبارة « المنصوص عليه شرعا كذا » و قديكون ماينقل ليس الا رأيا لاحد المؤولفين فى الفقه .

على ان الامر ليس ذا شان كبير مادامت المسألة مسألة اصطلاح ، فقديما قالوا : انه لامشاحة فى الاصطلاح . (مقتبس من موسوعة جمال عبد الناصر الجزء الاول الذى اصدره المجلس الا على للشئون الاسلامية بالقاهرة)
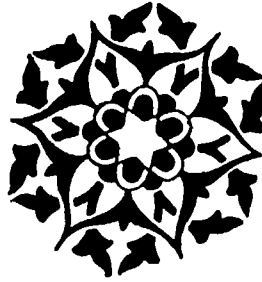
انباء عن دارالعلوم

● قد انتشر فی اکثر بلاد الهند رمد العین بصورة وبائیة اصیب بها عـــدد کبیر من طلبة دار العـلوم فی شهر یونیو (ربیع الثانی) و قد کان من المقرر ان یجری امتحان الفترة الثانیة فی جمادی الاولی و لکن الرمد الوبائی حال دونه و اضطرت الهیئة المسؤلة للدار الغاء الامتحان و تعطیل الدار لعشرة ایام

● توافد الی الدار کالمعتاد کثیر من الضیوف من مستویات مختلفة من الهند و خارجها و من جملتهم رئیس الهیئة الطبیة لحکومة الولایة الشمالیة الذی جاء للاطلاع علی مستوی التعلیم فی الکلیة الطبیة التابعة للدار و النظر فی استحقاقها لتسجیل شهادتها و قبولها لدی الحکومة کسائر شهادات الکلیات الطبیة الاخری امثالها .

● قد وصل الی الدار الاستاذ الفاضل عبد الحسیب سرحال من بیروت فی الشهر الماضی و اجتمع برجال الدار و اساتذتها و طلبتها و تبادل معهم الافکار فیما یهم التعلیم و الدعوة فی وقت الحـاضر و قد دعاه اعضاء النادی الادبی و طلبة قسم تکمیل الادب الی حفلة شای مستعجلة فی دائرة

النادى اقاموها تكريما له ، فجرى حديث ممتع نافع من نواحى عديدة ، و اطلع الاستاذ على نشاط دارالعلوم و خدماتها للحديث و العلوم الاسلامية و للغة العربية . و اظهر غاية فرحه و اعجابه لما رأى فى النادى الادبى من حب جم للغة العربيه المتزايدة .

● اجتمع المجلس التنفذى للدار فى شهر الماضى و انعقدت عدة جلساته فاتخذ عدة قرارات بخصوص التنظيم الادارى كما استعرض الاعمال فى سائر اقسام التعليم و الادارة و اصــدر اوامره للازمة لدعم الأعمال و زيادة انتاجها .

طبعت بالمطبعة الكوثر
سرائی میر۔ اعظم کرہ (الهند)
قام بالطبع و النشر وحيد الزمان الكيرانوى من دار العلوم بديوبند

تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم بديوبند كل ثلاثة اشهر

رئيس التحرير المسئول :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوى

فى الهند و باكستان : ست روبيات

فى الخارج ما يعادلها عدا اجرت البريد

العدد الرابع - المجلد السابع

رمضان المبارك ۱۳۹۱ ھ

نوفمبر ۱۹۷۱ م

محتويات هذا العدد

يرسل الاشتراك السنوى ٦ روبيات فى باكستان الى العنوان التالى :

الحاج شوكت على ، يوپى سوڈا فيكٹرى ناتھ روڈ ـ لاهور

ملحوظة : يرسل الايصال بعد تحويل المبلغ على البريد

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام المسلح

ردوا العدوان و ابذلوا فى سبيل الحق

«فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا ان الله مع المتقين ، و انفقوا فى سبيل الله و لا تلقوا بايديكم الى التهلكة و احسنوا ان الله يحب المحسنين »

ان الله عز و جل يأمر بنصر الحق و النضال دونه و مجاهدة الكافرين بالنفس و النفيس ، و يوصى عباده ان لا يستكينوا للظلم ا و يحرضهم على مقابلة العدوان بمثله ، و على ان لا يتركوا الضلال يستعلى و يستعلن فلا يجد من يقمعه و يردعه ·

كلا . فرسالة الله اعز فى حقيقتها و اعز لدى حماتها من ان يكون لها امام الباطل منزلة السوء و الهوان . و هذا ـ بداهة ـ يستتبع سيلا جاريا من النفقة المبذولة ، و ينابيع دافقة من الايثار و التضحية و بيع الدنيا بالآخر . و قد وجه المسلمون الاولون صراحة بهذا التكاليف الشاقة فى هذه

الآيات و فى غيرها من كتاب الله لكن الآية التى نتلوها الآن تمتاز بانها تضمنت تهديدا خطيراً لمن يجبن عن الكفاح و ينكص عن النفقة ! ! اذا اعتبرت الفار بنفسه و ماله ملقيا بنفسه وماله فى الهلاك و أومأت الى ان الامة التى تتراجع عن الموقف الواجب فى ميدان الشرف و الفداء لا تلبث قليلا حتى تذل و تخزى ثم يجر عليها التاريخ اذيال العفاء. ردوا العدوان و ابذلوا فى سبيل الحق . . . و الا فالتسليم للعدوان و الشح بالاموال طريق الضياع و الفناء و التهلكة فلا تلقوا بايديكم اليها .

الا ليت المسلمين يدركون هذه السنة فى ازدهار الامم و اندثارها لاسيما و هم مع اليهودية و الصليبية فى حرب حياة او ممات .

ان اعداء الحق لا يخلوا منهم جيل و لا ينقطع لهم كيد .

و لئن كان الهجوم المسلح غير مطلوب دنيا ، فان السلم المسلح من اركان الدين . و ذلك يتقاضى الآمة ان تأخذ اهبتها كاملة فلا تبخل على عدد الحرب بمال و لا تمسى الا و هى واثقة من ان بيتها على حذر و تهيئو ، فاذا بوغتت ردت على العادين و هى عزيزة قادرة . فاما الامم التى تنام على تفريط ، و تضمن على حماية نفسها و رسالتها بالارواح و الاموال ، فهى امم لا شك هالكة فى عالم يقال فيه من لم يتذأب اكلته الذئاب .

ان النفقة فى هذه الوجوه سياج يحمى المآثر و يصون الحياة كما قال الله تعالى : « ها نتم هؤلآء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فنكم من يبخل . و من يبخل فانما يبخل عن نفسه و الله الغنى و انتم الفقراء » .

(معالم الحق لمحمد الغزالى)

فساد الفكر فساد الأمة والدولة

شاء الله رقى المسلمين فرقاهم بالرسالة المحمدية . و بالدين الحنيف و شاء ان يحط من شانهم لطغيانهم عليه و خروجهم منه و ترك العمل به ، فحط من شانهم . و اذلهم بعد انهاصهم ، يتخلف التاريخ عن تقديم مثل هذا الانحطاط و الوضاعة للمسلمين . فى اى زمن كان ، او اى مكان كان : لا تشك الطبقة المثقفة فى ان مسامى العالم الذين كانوا قدوة للعالم المنصرم اصبحوا له مرؤسيلن ، فاليوم يمرون بدور رهيب . فتاك . مدهش ، و هم مع ذلك نعاش غائر ، و سبات عميق ، ان زخارف الحياة زانتهم . و وسائل الترف اغرتهم ، يقضون ساعاتهم الثمينة فى ابتغاء وسائل الترف ، و البذخ ، و العيش ، و الطرب ، و اللهو ، و اللعب ، بدلا من ان يقضوا حياتهم الفانية فى انقاذ الامة الى طريق

الرشاد ، و الهدى ، يقضون حياتهم حائدين عن الاسلام راغبين الى الغرب ، و انه افسد فكرتهم الاسلامية ، و يفت فى عضدهم .

فكرتهم تدور حول فكرة غربية مادية ، فكرة قامت على مبدأ الانكار ، و الالحاد لوجود الخالق للكون . فكرة حرة طليقة لا غرض لها و لا مرمى سوى الفساد ، و الضلال فى المجتمع الانسانى . و سوى المؤامرة على الاسلام ، و القضاء عليه و ان نهضة اوربا استولت على منبع افكارهم و عقولهم ، و تغلغلت نهضتها المادية الخلابة فى عروقهم و احشائهم ، فلا يتكلمون الا بما يتكلمه الاستعمار ، و لا يفكرون الا فيما يفكره فيه الغرب ، و لا يسيرون الا سير الضلال . فلما صار المسلمون ضعفاء فى فكرتهم الاسلامية ، و طاقاتهم المعنوية الروحية ، و حضارتهم الامعة الزاهرة ـ اصبحوا فريسة الالحاد و الاستعمار . يدعوهم كل شخص الى دينه ، و يطمعهم كل فرد . هذا هو الشيوعى يدعوهم الى الشيوعية و هذا هو الاشتراكى يلقى عليهم أخيلته الاشتراكية . و ذلك العربى الملحد يحدث فيهم الشكوك ، و يفشد افكاره الدينية . من يقاوم من المسلمين هذه النازلة المحدقة بهم ؟ و من يقاوم تلك النظرية الخاطئة الى يتدفق سيلها على العام الاسلامى ؟ و من يقف موقف الباسل على قلع هذا الجو المظلم ؟

وكان هذا الجو الرهيب المدهش شيئا منتظرا لان تلك البلبلة الفكرية سببته و انها ما جاءت الا من طريق الغرب ، و من اعداء الاسلام ، و اعداء الاسلام لم يحاولوا الا ان تزيو بزى و تنكروا بمظهر

إلى ان وصلوا الى هدفهم المنشور .

موقفان متضادان

إنا نرى لما سيطر الغرب على المسلمين ، ظهر هناك موقفان : موقف للجيل الجديد من الشبان . شغفهم حب الحضارة الغربية ، و الثقافة الجميلة ، يغنون بمظاهرات الغرب و يولعون بها ، و يشدقون مافوا هم أن الاسلام لم يستطع المسايرة بالعصر الحاضر ، و العصر الجديد لم يصطحبه القران المنزل قبل اربعة عشر قرناً و يقولون ما وصل احد الى قعر معانى القران الى اليوم و يهتفون كلمات شنيعة ليست هى حديرة بالذكر و فى طليعة هذا الموقف متخرجو الجامعة العصرية الحديثة . ينكرون الاسلام اشد الانكار فهم عمياء سلب الله عنهم قوة تفكير هم و دهب بهم النور و تركهم فى ظلمات لا يبصرون

موقف آخر :

الى هذا رجال قلائل يقفون موقف المناضل الباسل قدام الشبان ؛ يجتهدون كل الاجتهاد لأنقاذ أولائك الشبان من الغواية . و فى ايديهم لواء الاسلام خفاقا من الشرق إلى الغرب . يبذلون الجهد فى سبيل قلع ذلك الجذر السيّء الحـــديث . يسعون لمحوه ، و لأحداث الفكر العميق الاسلامى الصارق أساسه على وحدة الايمان . يودون دوراً رائعا لاصلاح مجتمعهم ، و يفكرون لبناء مجتمعهم و تصحيح عقـائد هم ، و فى سبيل هذا

يتحملون شدائد و يصارفون ظروفا قاسية . مع دلك يداومون على أعمالهم لغرس لبناتهم الاولى الدينية ، يقتبصون اضواء من القرآن الحكيم الخالد الذى لاتفنى عجائبه على مر القرون و كر الاعوام ، يحاولون من اجل الاصلاح الصادق النقى الطاهر . « و من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا لله عليه فمنهم من قضى نحبه ، و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا » .

قيادة خاطئة تسبب الفشل

بما مر سابقا من الموقف الاول اتضح لنا ، ان الطبقة الناشئة الجديدة الى اين تسير و اى موقف تختاره ، ليست فيها رغبة دينية و حية اسلامية تميل الى الدنيا و زهراتها ، تتضلع على جانب من اللغة الانكليزية ، و بواسطتها تصل تلك الجماعة المثقفة ، بزعمها ، الى مناصب الحكومة و مقاليدها فتمثل قيادتها و زعامتها ، و تحكم على شخصيات بارزة دينية ، و تهتك ثقافة اسلامية ، و تنهك منبع قوة الاسلام ، فتسوء حالة المملكة ، و تضطرب شعوبها ، فتكون المملكة عرضة للفوضى ، و التشتت و الفساد ، و الدمار ، و النهب ، و السلب لأعداء الاسلام ، فتتحول الواسعة الخصبة الى قاع صفصف . و اليك مثال اسرائيل خرجت من سغورها اعتداء و هاجمت على سوريا و الاردن ، و مصر فتحولت كما ترى .

ان تلك القيادة خاصيتها السمعة ، و الفخفخة ، و هتافات ضخمة ،

و كلمات تبعد عن الحقيقة و الواقعية هذه القيادة و عواملها سببت لفشلنا فى المعركة .

الحاجة الى اصلاحها :

فيجب اصلاح العقول ، و النفوس لتلك الطائفة الحاكمة الخاطئة فى قيادتها كما كان السيد جمال الدين الافغانى يرى اليها . انه كان يريد بجهده المتواصل و بخطبه الحارة تصحيح العقول و النفوس . ثم المملكة .

و استدلاله يمس القلب . كان يقول اذا صلح العقل و النفس صلحت المملكة و اذا فسد القل و النفس فسدت الدولة لانهما منبع تفكير .

تسن القوانين بالعقل و النفس فاذا كان فيهما فساد كان الفساد فى القوانين فاذا نفذت تنتشر الفتن . فاصلاح العقل اولا ، و اصلاح الدولة ثانيا .

نحن فى حاجة الى قيادة صحيحة من جديد

انا محتاجون الى قيادة عالمية صالحة تقوم على عقيدة راسخة ، و ايمان عميق بالله تلمع فى صفاتها كالبرق . نقية عن الكدورة و القذارة ، تحطم الحضارة الغربية على اسسها . و تستفيد بها ما يساعدها على الرقى و التقدم من اختراعات و اكتشافات و تترك ما يعارض العقائد الاسلامية و اصولها ، فان تكن القيادة على طريق الخلافة لراشدة

فى العدل و الانصاف ، و سن القوانين و الدستور ، و ان يكن القادة مثل عمر الفاروق رض و القائد المسميت خالد ابن الوليد رض و البطل المغوار سلمة ابن الاكوع رض فى الصمات و العادات اصبحت الدولة الواسعة الارجاء مطمئنة هادئة ، يعم أمنها و رخاءها الكل سكان البلاد و يرتفع مستوى معيشة الأمة الخطة فانها فى طمانينة و هناءة . و عيش رغيد كما كان الامن عاما فى زمن عمر الفاروق رض بين الحق و الباطل ، لانه مشى فى ضوء الاسلام الى القيادة فطار صيته و علت مهابته فى العالم اخضع القياصرة و الاكاسرة للاسلام .

و حياته للاسلام مماته للاسلام ، أيده الله بنصره الموعود ، ان تنصروالله ينصركم و يثبت اقدامكم فيا عمراه من الاسلام بعدك ؟ و من هو يمثل دور الخلافة الراشدة فى العصر الحاضر .

(بقلم الاستاذ ، ا ـ ك ـ ق)

عبقرية الرسول الاعظم
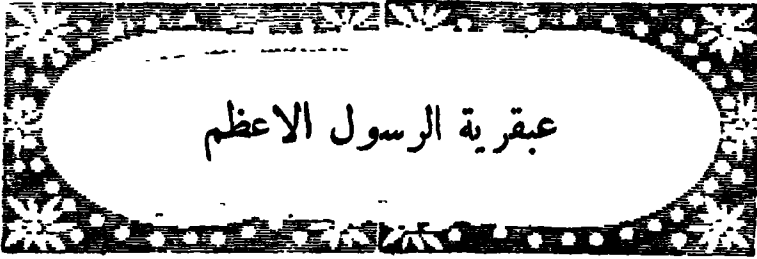
فى الهجرة

للاستاذ محمد عبد الصمد فدا

تجلت عبقرية الرسول ﷺ فى مختلف الامور التى عالجها . و الاحداث و الانقلابات الهامة التى قام بها و هى على اختلافها و كثرتها كانت تتميز بسمة واحدة و تخضع لقانون ثابت يصونها عن الخطأ و يسير بها فى طريق التوفيق و الكمال ، هذه السمة هى الاصلاح الاجتماعى الشامل من اقرب طريق و أسلمه و هذا القانون هو البحث العلمى الصحيح الذى يقوم على اصالة الراى و استقصاء البحث و عمق الفهم و دقة الملاحظة و التأمل و المقارنة و التجرد عن الاهواء .

هذه هى المقدمات التى كان يضعها الرسول الكريم لكل امر من

الامور التى يعالجها ليصل حتما الى نتيجة واحـــدة هى اصابة الهدف و تحقيق الغرض ، و هذا القانون بمقدماته و نتيجته هو آخر ما ارتقت اليه الحضارة الانسانية فى سبيل تقويم الفكر و حرية الراى فلا بدع اذا ان يكون محمد ﷺ عبقرى الوجود و زعيم الانسانية و هجرته عليه الصلاة و السلام الى يثرب حدث تاريخى رائع يعتبر بحق نقطة البدء بالنسبة لتطور حياة الحضارة الاسلامية .

و لقد تجلت كثير من جوانب عبقرية محمد الفذة فى هجرته هذه التى اخذ يتهيؤ لها منذ ان لاقى هو و اصحابه من قومه صنوف العذاب و ضروب الايذاء و منذ ان ضيقوا الخناق عليه و على اصحابه و منذ ان ظهر له عناد قريش و مكابرتها و نكرها لتعاليمه النبيلة المقدسة التى تكفل حرية الفرد و الشعب و تضمن المساواة و تلغى الفوارق و تحرم على الاثرياء و الرؤساء استغلال العامة و استعبادهم كما تحرم عليهم لذائذهم و آثامهم التى كانوا يعيشون لها و من اجلها منذ ذلك الحين و قبل الهجرة بامد غير قصير بدأ الرسول يفكر فى الهجرة و بدأ يفكر فى اصلح مكان لمهاجره فرارا بدينه و بعد اعن اذى قومه فاخذ يستعد و يتهيؤ لذلك اليوم فى هدوء و تأنى لا يستعجل امرا و لا يرتجل خطة ، فاتجه تفكيره السامى الى الحبشة لان بها كما قال ملكا لا يظلم عنده احد فامر بعض اصحابه بالسفر اليها فسافر من سافر منهم خفية فى الهجرة الاولى ثم سافروا اليها ثانية فى عدد اكبر و لكن الرسول الكريم لم يكتف بكلتا الهجرتين لأنها و ان ضمنت لأصحابه البعد عن اذى المشركين و كفلت لهم حرية

الجهر بمعتقداتهم الا انها لم تحقق كل ما يصيبوا اليه ذلك السياسى العميق فخرج مستخفيا بمفره الى الطائف لا يعلم به احد عله يجد قوما يسلمون فينصرونه و يستطيع اشر دعوته التى بعث بها و لكن ثقيفا خافت ان هى اتبعته ان تفقد مركزها الاقتصادى و الدينى بحكم خصومه قريش فقد كانت الطائف مصيفا و محببا لأهل مكة و كانت ايضا مستقر عبادة اللات التى كانت تعبد و يحج اليها فلم تجب دعوة محمد بل قابلته اسوا مقابلة حتى اغرت سفهاءها به لكن الرسول الكريم لم يابه لهذا الامر و توجه لربه يطلب نصره و عونه ثم عاد الى مكة و احذ يفكر فى مكان اصلح لهجرته فعرض نفسه على كثير من قبائل العرب فى مراسم الحج و لم يكتف بهذا بل اتى كندة و كلبا و بنى حنيفة و بنى عامر و بنى صعصة فى منزلها فردوه جميعا ردا غير جميل بعد طول هذه المدة و بعد طول هذا العناء. و بعد دراسته الطويلة حرج بتلك الفكرة الصحيحة فكرة الهجرة الى يثرب تلك البلدة التى تتمع بمركز ممتاز يهدد تجارة قريش و اقتصادياتها و التى كان للرسول العظيم بها صلة التجارة و صلة القربى بنى النجار اخوال جده عبد المطلب و ذلك القبر قبر والده الذى كان يقصد مع والدته الوفية ·

فبدأ يفكر فى يثرب بجد و اهتمام بالغين و يرسم الخطط و يهيئى الظروف للهجرة اليها فعمد الى اتصال بمن يلقاه من اهل يثرب فى موسم الحج و عرض عليهم التوحيد فامنوا بالله و برسالته ثم عقد مع بعضهم بيعة العقبة الاولى . و اكتفى فيها بدعوتهم الى الاسلام و تعاليمه ثم عمد

معهم بيعة العقبة الثانيه علي ان ينصروه و يزودوا عن دعوته ثم امر اصحابه من المهاجرين بالسفر اليها اما هو فقد انتظر حتى تلقى امر ربه فهاجر و هكذا استطاع الرسول الاعظم ان يحقق اهم مايصبوا اليه من الهجرة و هو الخروج بدعوته من ذلك النطاق الضيق و تلك الدائرة المحصورة الى اجواء جديد وافق ارحب .

و هكذا هاجر فى الوقت المناسب و بعد ان تأكد ص اخلاص مبايعيه و بعد ان ادرك احتياجهم اليه تلحفهم عليه و هكذا تمت هجرة العبقرى العظيم على خطوات متتالية حكيمة رزينة كل خطوة منها تكشف لنا عن جانب من جوانب تلك العبقرية الفذة . فتفكيره فى الهجرة من حيث هو يدل على بعد نظره و تنفيذه لخطته يدل على مقدرته السياسية البارعة ، و اختياره يثرب يدل على عبقرية القيادة التى تعرف كيف تختار اصلح المواقع و تهديده لتجارة قريش ، يدل على عبقريته الاقتصادية ـ ثم هذه المؤاخاة بين الانصار و المهاجرين من جهة و بين الاوس و الخزرج من جهة اخرى ـ هذه المؤاخاة التى تدل على عبقرية ذلك الزعيم الانسانى و المصلح الكبير الذى حطم تقاليد الجاهلية و هدف لتكوين وحدة تامة و مجتمع صالح يلغى خوارق الانساب و لايقيم وزنا الا للقيم الانسانية العالية .

روحانية يدعو اليها القرآن

لحل الازمات المادية

سماحة الاستاذ الشيخ لطف الرحمن

تعريب : عميد الزمان الكيرانوى

* * *

قبل ان نعرض الدعوة التى يدعو اليها القرآن الحكيم امام العالم علينا ان نفكر قليلا فى السؤال الذى يتساور القلب ٠ و هو لماذا يشكو العالم الانسانى من القلق و الاضطراب و التخبط و الحيرة على الرغم من تلك الحركات و النشاطات الواسعة النفوذ و الهدى يمارسها العالم اليوم من اجل الحصول على الأمن السالف و الطمانينة الضائعة ، فليس من خاف على اهل الفكر و البصيرة النافذة ان الحركات الاوربية العالمية تدأب منذ مدة طويلة فى

مزاولة اعمالها التى تهدف الى اغراض شتى مستغلة فى ذلك الاساليب العلمية ·

وقد تمخضت هذه الحركات اولا عن الراسمالية الطاغية التى لم تلبث ان استفحل امرها فيسطرت على جميع وسائل الكسب و الموارد المالية و امتلكت ادوات الانتاج و اصبحت الطبقة الراسمالية حاكمة تتصرف فى مصائر سائر الطبقات و تتصرف فى الاقتصاد المالى العالمى حسب ما تمليه اهوؤها ، فصارت الطبقات الأخرى عبيدا للطبقة الرسمالية بشكل من الاشكال و لكن ندعى هذه الطبقة بالديموقراطية . فلم يكن القدر ليترك هذه الطبقة تسوم طبقات اخرى سوء العذاب فكان لا بد من ظهور حركة اخرى تناهض هذه الحركة كليا و بروز طبقة اخرى تشاكس هذه الطبقة و تقضى عليها نهائيا ، و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض و لكن الله ذو فضل على العالمين ، (١) كذلك يظهر من

Newton, s low – To every action there is always an egual and opposite reactio.n ,,

. بدأ رد الفعل فى الظهور فقامت هناك حركة مناهضة اخرى تناهض الرأسمالية و اسفرت هذه الحركة عن الشيوعية . و بما ان الرأسمالية كانت تستغل المذهب و الدين لتحقيق اغراضها فردا للفعل جاءت الحركة المعارضة الشيوعية حاملة للواء المادية و الالحادية و جعلت مقاومة الاديان و الملل مبدأ من مبادئها . و كانت بداية هذه الحركة الملحدة بحرب

---

(١) ع ٢٣ من سورة البقرة

الطبقات التى تغلبت فيها الحركة العمالية الفلاحية فقضت علـى الاقطاعية وطغيان الرأسمالية و اقامت حكومة للعمال و الفلاحين . و دأبت فى نشر الشيوعية فى العالم . و نتيجة لذلك قامت فى العالم باسره حـرب طبقية شاملة لاتزال مستعرة الى اليوم ، و ظواهرهـا مانراه من نزاع مما بين ابن و اب و تلميذ و استاذ و مايقوم من حين لآخر من اضـرابات و تظاهرات فى الكليات و الجامعات الى غير ذلك من ضروب النزاعات و الخلافات . هذه و تلك كلها رواسب تلك الحرب الطبقية و آثارها الباقية .. و كلتا الحركتين الماديتين اللتين تناديان بصلاح البشرية - تتشاكسان و تتصارعان فى الحرب الباردة . فلا تزداد المشاكل و الظروف الا تعقدا و تحرجا و تكون كل لحظة منذرة بنشؤ مشكلة جديدة . و من المعلوم ان العلاج لايكون ناجعا مفيدا الا اذا روعى فيه مزاج المريض اذن لابد من رعاية المزاج الانسانى اذا أردنا علاج الانسانية الموبوءة و انقاذها مما تعانيه من ويلات و مشكلات ، فمما يجدر بالملاحظة هو ان المزاج الانسانى يتكون من عناصر و روح ، و ليس جسمنا إلا عبارة عن تركيب هذه العناصر ، و النفس تؤدى عملية تنشئة هذا الجسم فالانسان دائب فى تهيأت وسائل الراحة لهذا الجسم « المادى » لتنشئته و انعاشه على ان هذا الجسم لايعد بشئ بالنسبة الى الروح ، لأننا نرى ان الروح اذا ما دهقت من الجسد الترابى و فارقته اصبح هـذا الجسد الجميل المليح جثمانا هامدا عاطلا لا حراك فيه

يقول الدكتور « لى بان » الفرنساوى مؤكدا لاهمية علم الروحانيات

(فی کتاب الحضارة العربية فی الفصل الثانی من الباب الثانی) : « . . . القدر المذکور اعلاه یکفی لاثبات مانعلم الروحانیات ـ علی حداثه تعهده بالنمو، و عدم اجتیازه لمراحل الاکتمال ـ من اهمیة و ضرورة للطوائف البشرية و ماله من نتائج حسنة مجدية ـ

ان النفس اذا اطلق سراحها و اهمل شأنها تتمتع بحرية لا کوابح فیها و لاقیود ـ مالت الی الشر و هیمنت علیها الشهوات الجامحة الطاغية فهی بطبيعتها و فطرتها امارة بالسوء ما لم یبذل الجهد للضغط علیها کما نص علیه القرآن الکریم « إن النفس لأمارة بالسوء (۱) » فلو لم یحاول الانسان اخضاع النفس و تذلیلها . و ارخی عنانها فلابد ان تطغی علیه نفسه و ترکب علیه الشهوات النفسانية الرذيلة ، و حينئذ یصبح اشباع هذه الاهواء السافلة مقصدا و غاية منشودة لهذا الانسان الماجن المغلوب علی عقله و کیاسته . و فی مثل هذه الحالة یتلاشی ذلک الفارق الذی یمیز الانسان العاقل من الحیوان الذی لا یعقل.

ان العقل و الاختيار لمن النعم التی اسبغها الله علی الانسان و خصه بها دون غیره من الموجودات ، و شرفه لا علی الکائنات الحیه فی العالم الاسفل فحسب بل شرفه علی الملائکة ایضا . و العقل و الاختیار هما تلک المنحة الالهية التی بها یتمکن الانسان من التسخیر لکائنات العالم و الهیمنة علیها و هی التی تزید مسئولية الانسان تضاعفا و تضخما فتحتم علیه القیام بالعدل و القسط و النصفة و نستشف ذلک مما ورد فی القرآن الحکیم

(۱) الآية ۵۳ من سورة يوسف

« إنا عرضنا الامانة على السموات و الارض و الجبال فابين ان يحملها و اشفقن منها و حملها الانسان (١) » .

فالانسان الذى لايعمل الروية و لا يستخدم العقل و الاختيار فيما يباشره من الاعمال و ينهمك فى تحقيق وسائل الترف و البذخ و يعيش عيشة الميوعة و الخلاعة لمجرد الترويح للجسم ـ ذلك الانسان ـ اشبه منه بالحيوان بل هو اضل منه . فلقد قال الله تعالى فى القرآن الكريم :

« أرأيت من اتخذ إلهه هواه افانت تكون عليه وكيلا أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا (٢) »

و العلاج الذى يقدمه القرآن للخلاص من تلك الحالة التى تنتج عن انقياده للشهوات النفسانية ـ هو ان يغلب الانسان نفسه و يكبح جماحها فيطهرها و يزكيها عن ارجاس خلقية و يعودها على اخلاق ذكية طاهرة : (قد افلح من ذكـــاها .)(٣)

قد وضح لنا بما اسلفناه ما اودع الانسان من نزعات و ميول وما يتركب منه مـــزاجه ، اذن فجميع المحاولات التى تبذل التهيئة الأمن و الاطمينان للبشرية المضطربة تبوء بالفشل لذريع دائما مالم يراعوا فيها المزاج الانسانى .

ان الروح الانسانى الذى هواهم موجودات العالم ليس فانيا كالجسد فان له بقاء بعد مفارقته للجســـد يضا ـ و حسبنا لتصور مدى ضيق

---

(١) الآية ٧٢ من سورة الاحزاب (٢) آية٤٣و٤٤ منسورةالفرقان (٣) الآية ٩ من سورة الشمس الجـــزء ٣٠

النظرية التى تقول عن كيان الانسان الذى هو اشرف الكائنات ، بانه بعد قضائه مدة قصيرة فى هذا العالم يغنى فناء ابديا و ليس بعده شئ . فمثل هذه النظريات اىما تصور الموت مرادفا للبلى و الفناء و نهاية العهد بالاحساس و الحياة و الضياء . و هذه النظريات و الافكار من نضج المادية او هى من البقايا الجاهلية الأولى فى فهم الوجود و الروح فان العقل السليم يابى ان يسلم بمثل هذه الترهات الفارغة .

و كيف يمكن ان يستسيغ العقل لمثل هذا المصير لذلك الانسان الذى خلقه الله ليجعل خليفته فى الارض ، و الذى امر الله الملائكة بالسجود امامه و سخر له جميع ما فى الكون من اشرف الموجودات (سوى الانسان) الى تفه الذرات . كلا . لايكون مصيره هكذا ، فان له بقاء و تقدما و استمرارا فى مراحل الارتقاء ، يترقى من المنخفضات الى المشارف ، و من الفناء الى البقا . و من الزوال الى الكمال : (لتركبن طبقا عن طبق)(١)

نتأمل قانون النشوء و الارتقاء (Evolution Rule—) فنجده عاما شاملا ، ظواهره اكثر عن ان تحصى ، فكم من اتانين (مواقد) طبيعية تحول العناصر الى الاجسام و يحصل عن طريقتها عــلى الدفائن المعدنية (كالذهب و الفضة) تلك الاجسام التى قد تمكن البشر من تحويلها إلى انواع المصنوعات بصياغتها فى المواقد النارية الهائلة ، هذه العملية و غيرها من العمليات المدهشة التى هى مظاهر ذلك الارتقاء و النشوء — كلهـا تجرى بحكم ناموس الارتقاء . و النشوء كما هو معلوم بالبداهة . و بالمقارنة

(١) الآية ١٩ من سورة الانشقاق .

بين ارتقاء الانسان و ارتقاء ماسواه من الكائنات العالمية نجد ان الارتقائين يتعانقان تعانقا اسياسيا ، فلايمكن ان يتحقق رقى الانسان و نشوؤه الا بمسايرته لقانون الارتقاء . و لكن ارتقاء الانسان يتميز عن غيره بما استأثربه الانسان من شرفه المميز ، فلا بد من مراعاة ذلك الشرف الاعظم فى ارتقائه و من اجل ذلك نرى كليات و جامعات منبثة فى العالم بكثرة هائلة ـ تهتم بتغذية روح بنى الانسان و تعمل على تنشئتهم و تكفل لهم تقدمهم الروحانى عن طريق تزويدهم بالعلوم و المعارف ، كما انها تعلمهم الاحتفاظ بالنظم و القوانين الوضعية المتبعة و احترامها عن طريق فرضها عليهم بعض القيود و الرياضات الجسمانية و لقد قال العلماء الاحصائيون فى التعليم و التربية : خيرا : ان الحاجة الى التدريب و التربية اكثر و اشد من التعليم المجرد فالتعليم المحض لا يجدى فائدة الا اذا كان مقرونا بالتربية الصحيحة . فالطالب الذى يتعود الكذب و الشتم و السباب و اثارة النزعات و الشجارات و يمارس السرقة و الارهاب ـ لا يستحق ان يتقدم بل يستحيل ان يتقدم و ان يفوز بالدرجة كائنا من كان . و اما اذا كان الطالب على العكس من ذلك فليتزم الصدق و يراعى الآداب و يتخالط مع الناس و يصاحب الاخيار و يصادفهم ، ويعاون المكروب و يغيث الملهوف . و يزور عن الناس ضد هجمات اعدائهم الاشرار الأوغار فيصون عرضهم و كرامتهم و يعينهم على الوائب ـ اذا كان الطالب كذلك متحليا بهـــذه الاخلاق الكريمة ـ لا بد ان يتقدم و يترقى و ينجح فى حياته الدنيا و الآخره ، كائنا من كان فلاشئ يعوق رقيه و لاشئ يحول

دون ارتقائه طويلا فلا بد ان تزول العقبات و تذوب العراقيل و ينصهر الصخور المعترضة يوما ما ـ

العزة

ان الناس يذلون انفسهم ، و يقبلون الدنية فى دينهم ، لواحد من امرين ، اما خوف ان يصابوا فى ارزاقهم ، و إما ان يصابوا فى آجالهم ، و الغريب ان الله لم يجعل لبشر اليهما من سبيل ٠

فالناس من خوف الذل فى ذل ٠ و من خوف الفقر فى فقر ٠

الحكمة فى الصوم و الحج

افادات الامام الاكبر الشيخ ولى الله الدهلوى رح

ربما يتفطن الانسان من قبل الهام الحق اياه ان سورة الطبيعة البهيمية تصده عما هو كماله من انقيادها للملكية فيبغضها و يطلب كسر سورتها فلا يجد ما يغيثه فى ذلك كالجوع و العطش و ترك الجماع و الأخذ عن لسانه و قلبه و جوارحه و يتمسك بذلك علاجا لمرضه النفسانى و يتلوه من ياخذ ذلك عن المخبر الصادق بشهادة قلبه ، ثم الذى يقوده الانبياء شفقة عليه ، و هو لا يعلم ، فيجد فائدة ذلك فى المعاد من انكسار السورة . و ربما يطلع الانسان على ان انقياد الطبيعة للعقل كمال له ، و تكون طبيعته باغية ، تنقاد تارة و لا تنقاد اخرى ، فيحتاج الى تمرين فيعمد الى عمل شاق كالصوم فيكلف طبيعته و يلتزم وفاء العهد حتى يحصل الامر المطلوب ، و ربما يفرط منه ذنب فيلتزم صوم ايام

كثيرة يشق عليه بازاء الذنب ليردعه عن العود فى مثله و ربما طاقت نفسه الى النساء و لا يجد طولا و يخاف العنت فيكسر شهوته بالصوم و هو قوله ﷺ فان الصوم له وجاء . و الصوم حسنة عظيمة ، يقوى الملكية و يضعف البهيمية و لا شئ مثله فى صيقلة وجه الروح و قهر الطبيعية و لذلك قال الله تعالى ، الصوم لى و انا اجزى به ، و يكفر الخطايا بقدر ما اضمحل من سورة البهمية و يحصل به تشبه عظيم بالملائكة فيحبونه فيكون متعلق الحب اثر ضعف البهيمية و هو قوله ﷺ لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك و اذا جعل رسما مشهورا نفع عن غوائل الرسوم . و اذا التزمته امة من الامم سلسلت شياطينها و فتحت ابواب جنانها و غلقت ابواب النيران عنها . و الانسان اذا سعى فى قهر النفس و ازالة رذائلها كانت لعمله صورة تقديسية فى المثال و من اذكياء العارفين من يتوجه الى هذه الصورة فيمد من الغيب فى عمله فيصل الى الذات من قبل التنزيه و و التقديس و هو معنى قوله ﷺ : « الصوم لى و انا اجزى به »

و ربما يتفطن الانسان بضرورة توغله فى معاشه و امتلاء حواسه مما يدخل عليه من خارج و ينفع التفرغ للعبادة فى مسجد بنى للصلوة ، ولا يمكنه ادامة ذلك ، و ما لايدرك كله .فيختطف من احواله فرصا فيعتكف ماقدر له و يتلوه المتلقى له من المخبر الصادق بشهادة قلبه و العامى المملوء عليه كما مر ، و ربما يصوم و لا يستطيع تنزيه لسانه الا بالاعتكاف و ربما يطلب ليلة القدر و اللصوق بالملائكة فيها فلا يتمكن منها الا بالاعتكاف .

الحكمة فى الحج

اعلم ان حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان يذكر حال المنعم عليهم من الانبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و مكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من ائمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين و راجين من الله الخير و تكفير الخطايا ، فان الهمم اذا اجتمعت بهذة الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة و المغفرة و هو قوله ﷺ ماروى الشيطان يوما هو فيه اصغر و لا ادحر و لا احقر و لا اغيظ منه فى يوم عرفة (الحديث).

و اصل الحج موجود فى كل امة لا بد لهم من موصوع يتبركون به لما رأوا من ظهور آيات الله فيه من قرابين و هيئات مأثورة عن اسلافهم يلتزمونها لانها تذكر المقربين و ماكانوا فيه . و احق مايحج اليه بيت الله فيه آيات بينات بناه ابراهيم صلوات الله عليه المشهود له بالخبر على السنة اكثر الامم بامر الله و وحيه بعد ان كانت الارض قفراً وعرا اد ليس غيره محجوج الا وفيه اشراك او احتراع ما لا اصل له . و من باب الطهارة النفسانية لحلول بموضع لم يزل الصالحون يعظمونه و يحلون فيه و يعمرونه بذكر الله فان ذلك يجلب تعلق همم الملائكة السفلية و يعطف عليه دعوة الملاء الاعلى الكلية لاهل الخير فاذا حل به غلب الوانهم على نفسه و قد شاهدت ذلك رأى العين . و من باب ذكر الله تعالى رؤية شعائر الله و تعظيمها فانها اذا رؤيت ذكر الله كما يذكر الملزوم

اللازم لاسيما عند البزام هيئات تعظيمية و قيود و حدود تنبه النفس تنبيها عظيما و ربما يشتاق الانسان الى ربه اشد شوق فيحتاج الى شئ يقتضى به شوقه فلا يجده الا الحج و كما ان الدولة تحتاج الى عرصة بعد كل مدة ليتميز الناصح من الغاش و المنقاد من المتمرد و ليرتفع الصيت و تعلو الكلمة و يتعارف اهلها فيما بينهم فكذلك الملة تحتاج الى حج ليتميز الموفق من المنافق ، و ليظهر دخول الناس فى دين الله افواجا . و ليرى بعضهم بعضا فيستفيد كل واحد ما ليس عنده اذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة و التراأى ، و اذا جعل الحج رسما مشهورا نفع عن غوائل الرسوم و لا شئ مثله فى تذكر الحالة التى كان فيها ائمة الملة و التحضيض على الأحد بها ، و لما كان الحج سفراً شاسعا و عملا شاقا لايتم الا بجهد الانفس كان مباشرته خالصا لله و مكفرا للخطايا هادما لما قبله بمنزلة الايمان .

مؤثرات الانفاق فى سبيل الله (١)

للاستاذ امين احسن الاصلاحى منشئ مجلة ميثاق
تعريب محمد ابو بكر الغازى بورى
المدرس بالمدرسة الدينية بغازى بور

★ ★ ★

ان انجح علاج لما يطرأ على الانسان من الغفول لشغفهم بالدنيا و اهلها هو انفاق من كسب الأموال فى سبيل الله على الفقراء و المساكين و على كل من مسته حاجة اقتصادية ، و يعانى مشاكل الحياة ، و عليك ان لا تنسى انى استعملت هنا كلمة الانفاق لا كلمة الزكاة و بين الانفاق و الزكوة بون شاسع ، و فرق كبير . لأن طهارة النفس و الاحسان الكامل الذين عندهما الاسلام لا يحصلان الا بالانفاق لا بمجرد الزكوة - فان الزكوة اقل ما طالبه الدين من اصحاب الاموال ، و ان مطالبته الحقيقية منهم هو

(١) نشرت هذه المقالة فى المجلة الفرقان اللكهنوية سنه ١٣٧٨

الانفاق و البذل فى الامور الخيرية و الدينية ، على علن ، و فى سر ، و فى السراء و الضراء للاصدقاء . و الاقرباء للموالى و المعارض و الذى يحصل عليه الانسان باداء الزكوة لا يعدوا الا ان تتحمس النفس للبذل فى سبيل الله و لا شك ان ذلك ايضا طريق وعر و امر صعب لا يأتى به كل انسان بسهولة . و لأجل ذلك قد عبر القرآن عن اداء الزكوة باقتحام العقبة ، و لكن النور الذى ينقذ الأنسان من حب الدنيا و الانشغال بحطامها و يقربه زلفى الى الله فانما هو يحصل بالانفاق فى سبيل الله . بشرط ان يحترص الباذل و المنفق على شرائط تجب مراعاتها عند افراز المال .

و نوجز الكلام فى هذا الصدد مما يتعلق بالانفاق . و ما يحصل عليه المنفقون من البركات . ثم نتبعه بالوجوه التى تحبط تلك البركات و نذكر طرقا تقى مراعاتها حبطها و ضياعها .

بركات الانفاق

من اكبر بركات الانفاق ، انه يصل قلب العبد بمولاه ، فلا يكون قلبه غافلا منه للحظة . و من الطبيعى ان الانسان يحب المال فانه يحب المواضع التى يضع ماله فيها . و قلبه يحن اليها ، كما تشهد بذلك التجارب فان من دفن ماله فى مكان سرى فقلبه دائما ينشغل بذلك المكان . و ان وضعه فى البنوك فنفسه دائما تشتغل بها . و يظن المدخر ماله فيها نجاح

البنك نجاحا له و خسارته خسرة له - و ان صرفه فی تجارة فطبیعته تتشاغل بتلك التجارة . و لو كان له اسهام فی شركة فتطیر به التصورات الیها . و جملة الكلام ان كل نفس تحن الی موضع یكون فیه مالها و هذا من الحقیقة التی لا یستطیع احد ان یجحدها .

فاذا تفكرت فی ضوء هذه الحقیقة ، فعلمت ان من ینفق امواله فی سبیل الله فیكون له علاقة وثیقة بالله و اتصال شدید به .

قال عیسی علیه السلام —

« ضع مالك عند ربك فكان قلبك عنده .

(الارتباط الحقیقی بالمجتمع)

و بركة اخری للانفاق ، ان من ینفق ماله یكون له ارتباط حقیقی بالمجتمع ، و هذا لیس بشیء حقیر لا یسترعی الانتباه . بل ان الشریعة الاسلامیة تعتبره احد الاساسین للدین : فلا بد لكل عبد لكونه عبدا حقیقیا ان یراعی شیئین : الأول ان تكون مروة علاقته بربه وثیقة ، و و یكون اتصاله به اتصالا بمعنی الكلمة . و الثانی ، ان یكون ارتباطه بالخلق ارتباطا كاملا فالأول یتأتی من الصلوة ، و الثانی یتأتی من الزكوة و الانفاق و هذا هو السرفی قرن الزكوة بالصلاة فی القرآن فاینما ذكر الله الصلوة اتبعها بالزكوة . قال تعالی فی ابتداء سورة البقرة « یقیمون الصلوة و مما رزقناهم ینفقون »

فظهر من هذين الأمرين أصلان للشريعة الاسلامية يقوم عليهما بنائها و بناء علاقات الانسان بين الخالق و خلقه ، و قد اعتبرتهما الديانات السابقة اصل البر و الاحسان . سئل المسيح ما اصل الخير كله ؟ فاجاب : « احب الله بكل قلبك و احب جارك » و من البديهى ان مجرد التظاهر بالحب باللسان ليس له مفهوم و منشد : فان اول مقتضيات الحب ان لا يمتنع الانسان من انفاق ماله على محبه ان مسته حاجة و صار هو عرضه للضائقات الاقتصادية و ان يخفف من ألمه بمشاطرة هم اصابه و غم اعترضه . و ان يكون سهيما له فى فرحه و سروره و ان يسعى فى انقاذه عن الورطات التى تدهور فيها ، كما ان اول مظاهر حب الله . ان يستعد الانسان لتلقى احكام منه من اقامة الصلوة و اداء الفرائض كذلك اول مظاهر حب الخلق الانفاق على ذوى الحاجات منهم و سد حوائجهم ، و فى الظاهر هما شيئان مختلفان . و لكن الحقيقة ان الثانى منهما ثمرة الأول و نتيجته ، كما هو ظاهر لدى من تعمق النظر ، فان من يحب الله يحب خلقه ايضا . و الخلق عيال الله . و ان من طبيعة الانسان أنه اذا تعلق بشخص علاقة الحب فان هذه العلاقة لا ينحصر نطاقها فى ذاته فقط بل انه يتمدد الى متعلقيه ايضا . و تظهر مظاهر هذه العلاقة و الحب فى الانفاق . و البذل على اكمل وجه و على هذا ان الانسان يحب الله بدوافع من الشكر و الامتنان . فانه لما يلقى نظره على ما حوله يجد نفسه محاطة بآلاء الله و نعمائه الجليلة التى تحفزه على اداء الشكر و الحمد له و التذلل له باقامة الصلوة و اداء ما فرض الله عليه و ينهض للاحسان

كما احسن الله اليه .

و قد اتضح لك من هذا التفصيل ان اساس الشريعة يقوم على هذين الشيئين ، فواحد منهما أصل جميع حقوق الله و ثانيهما أصل جميع حقوق عباد الله : فان الذى تعود انفاق ماله على غيره فان نفسه لا تشمئز فى تادية حقوق أخرى ، و ان نفس الانسان ان تطهرت من حب المال و تجردت من البخل فسهل له اتيان كل الخيرات ، و نالت شخصيته فى المجتمع مكانة عالية كريمة ، و ان القرآن قد لفت النظر الى هذه الحقيقة فى هذه الآية ·

فاما من اعطى و اتقى و صدق بالحسنى فسنيسره لليسرى و اما من بخل و استغنى و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ·

الانفاق يجلب الحكمة

و بركة الانفاق الثالثة . أنه ماء و غذاء بالنسبة لى العقائد كلها فان الخيرات التى تطرق اليها شئ من النقص و الضعف لأجل تقصيرات وقعت ، تتكمل بالانفاق . و ان العقائد التى هى لم تثبت و لم تتأصل فى القلوب تستحكم و ترتسخ ، و قد سمى القرآن هذا الاستحكام و الارتساخ حكمة . و ان آيات القرآن توحى الى ان الانفاق مفتاح الحكمة . كما هو واضح من هذه الآية التى ذكر الله فيها بعضا من بركات الانفاق ·

الشيطان يعدكم الفقر و يامركم بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه و

فضلا و الله واسع عليم ،

و ان هذه البركة و النعمة لا ينالها إلا من يتمم بالانفاق ابتغاء رضوان الله و مرضاته ، و تثبيت قلبه على الأحكام الدينية ، و من أجل ذلك قد مهد الله هذه الآية بقوله ·

« مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله »

و تثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فطل » (سورة البقرة)

و معنى تثبيت الانفس · انهم ينفقون اموالهم على حبها لانهم تعودوا فعل الخيرات و لايشعرون بصعوبة فى العمل بالاحكام الالهية . و ان تقيسر لهم التضحية بالمرغوبات فى سبيل الله ·

و من يضع ماله فى سبيل الله ناويا هذه الغاية ، فقال الله عن هولاء انه يهب لهم المعرفة و الفضل من عنده . و يعطيهم من كنوز الحكمة ما لاينفد و لايفنى ، و هو دائما يستمتع بهذه النعمة .

ازدياد البركة فى المال

و بركة رابعة للانفاق انه تحصل به البركة فى المال . و ضرب الله مثلا لبركة ينالها الانسان عوضا عما بذل من ماله .

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مأة حبة و الله يضاعف لمن يشاء و الله واسع عليم » و قال تعالى « يمحق الله الربو و يربى الصدقات »

و ان هذه النعمة كما يتمتع بها الانسان فى الآخرة كذلك يتمتع بها فى الدنيا . و هذا . لأن كثيرا من عباد الله المخاصين الذين يستجيب الله دعواتهم يستمتعون بماله فيدعون له و المأثور فى بعض الأحاديث ان الملائكة ايضا يدعون للمنفقين فى سبيل الخيرات ·

عن ابى هريرة عن رسول الله ﷺ قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ، و يقول الآخر اعط ممسكا تلفا .(١)

و عليك ان لا تجهل انه ليس معنى البركة أن الانفاق يجعل صناديق المال تمتلئ بالكنوز ، و تنموا الارباح يوما فيوما ، او تتحول أمواله من كثير الى اكثر ، بل معنى البركة ان الانتفاع الكامل الحقيقى الاصيل لا يحصل عليه غيره كما يحصل عليه من يبذل ماله فى سبيل الله . و ان الخلق يستفيد منه ما لا يستفيد من غيره . و الذى له حظ فى اصلاح المجتمع و المدنية لا يناله غيره الذى يبخل بماله ، و ان ما يحظاه بحظ من رضوان الله لا يحصل عليه غيره الذى يشح مما اعطاه الله من الخير و ان الذين يملكون السيارات ، و لهم عمارات شامخة ، و ابنية منيفة و يعدون أموالهم على اناملهم بخلا و شحا ، لا يستطيعون أن يتصوروا للحظوة التى تكون للباذلين فى سبيل الله و الاطمينان النفسى و الهدوء القلبى و الاعتماد على ذات الله و السرور الروحانى التى يتمتع بها المنفقون لا يكون فى نصيب أكبر ملك من ملوك الارض ·

(١) بخارى و مسلم ·

و من برکة الانفاق ایضا أن الذی تعود الانفاق فی سبیل الله إبتغاء المثوبة عنده یطهر ماله من غصب الحقوق الغیر الجائزة ، فان أمواله تزداد فیها البرکات بسرعة هائلة کما تنموا البذرة الصالحة ، و ان الله یحفظها من أن تصیبها آفات تاکل أموال الغاصبین من غیر ان یشعروا بها ؟

الحسنة و السئیة

قال عبد الله بن عباس رضی الله عنه : ان للحسنة نورا فی القلب ، و زینا فی الوجه ، و قوة فی البدن ، و سعة فی الرزق ، و محبة فی قلوب الخلق .

و ان للسئیة ظلمة فی القلب ، و شینا فی الوجه ، و وهنا فی البدن ، و نقصا فی الرزق ، و بغضة فی قلوب الخلق ـ

اقتطفنا لكم

مدخل الى الحياة الأخروية

للمغفور له الشيخ محمد عبده

★ ★ ★
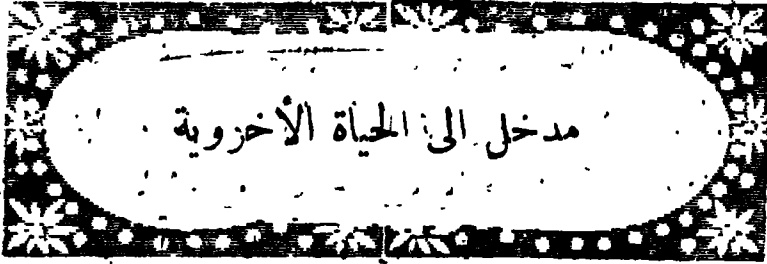
للكلام في باب الحاجة إلى الرسول مسلكان (الاول) - يبتدئ من الإعتقاد ببقاء النفس الانسانية بعد الموت ، وأن لها حياة أخرى بعد الحياة الدنيا تتمتع فيها بنعيم ، أو تشقى فيها بعذاب أليم ، و أن السعادة و الشقاء في تلك الحياة الباقية ، معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية ، سواء كانت تلك الأعمال قلبية كالاعتقادات و المقاصد و الارادات ، أو بدنية كأنواع العبادات و المعاملات .

اتفقت كلمة البشر موحدين و وثنيين مليين و فلاسفة إلا قليلا لا يعتد بهم على أن للنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن و

أنها لاتموت موت فناء و انما الموت المحتوم هو ضرب من البطون و الخفاء ، و إن اختفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء و فيما تكون عليه النفس فيه ، و تباينت مشاربهم فى طريق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ ينهى عند ما تبلغ النفس اعلى مراتب الكمال . و منهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها أو ما به شقوتها . و منهم من رأى أنها تتعلق باجسام أثيرية ، ألطف من هذه الاجسام المرئية . و كان اختلاف المذاهب فى كنه السعادة و الشقاء الأخرويين و فيما هو متاع الحياة الآخرة و فى الوسائل التى تعد للنعيم أو تبعد من النكال الدائم .

و تضارب آراء الأمم فيه قديما و حديثا مما لاتكاد تحصى وجوهه فى هذه الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبث فى جميع الأنفس عالمها و جاهلها ، وحشيها و مستأنسها ، باديها و حاضرها . قديمها و حديثها لا يمكن أن يعد ضلة عقلية ، أو نزعة وهميه ، و انما هو من الالهامات التى اختص بها هذا النوع ، فكما ألهم الانسان أن عقله و فكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا ، و ان شذ أفراد منه ذهبوا الى أن العقل و الفكر ليسا بكافيين للارشاد فى عمل ما ، او إلى انه لايمكن للعقل أن يوقن باعتقاد ، و لا للفكر أن يصل الى مجهول ، بل قالوا إنه لا وجود للعالم الا فى اختراء الخيال ، و انهم شاكون حتى فى انهم شاكون ، و لم يطمن شذوذ هولاء فى صحة الالهام العام المشعر لسائر أفراد النوع ان الفكر و العقل هما ركن الحياة و أس البقاء الى الأجل المحدود ، كذلك

قد الهمت العقول و شعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هــو منتهى ما للانسان فى لوجود بل الانسان ينزع عن هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ، ثم يكون حيا باقيا فى طور آخر و ان لم يدرك كنهه .

ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء . يشهر كل نفس انها خلقت مستعدة لقبول معاملات غير متناهية من طرق غير محصورة ، شيقة الى لذائذ غير محدودة و لا واقفة عند غاية ، مهيأة لدرجات من الكمال لا تحددها أطراف المراتب و الغايات ، معرضة لآلام من الشهوات و نزعات الأهواء ، و نزوات الأمراض على الأجساد ، و مصارعة الجواء و الحاجات ، و ضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد . و لا تنتهى عند حد ، إلهام يلفتها بعد هذا الشعور الى أن واهب الوجود للانواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة فى البقاء و لم يعهد فى تصرفه العبث و الكيل الجزاف . فما كان استعداده لقبول ما لا يتناهى من معلومات و آلام و لذائذ و كمالات ، لا يصح ان يكون بقاؤه قاصرا على ايام او سنين معدودات .

شعور يهيج بالأرواح إلى تحسس هذا البقاء الأبدى ، و ما عسى ان تكون عليه متى وصلت اليه . و كيف الاهتداء و اين السبيل ، و قد غاب المطلوب و اعوز الدليل ؟ شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا فى تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمــد لم يكفنا فى الاستقامة على المنهج الاقوم ، بل لزمتنا الحاجة الى التعليم و الارشاد ، و قضاء الأزمنة و الاعصار . فى تقويم الانظار و تعديل الأفكار و اصلاح الوجدان . و تثقيف الأذهان ، و

لاتزال الى الآن من هذه الحياة الدنيا فى اضطراب. لا ندرى متى نخلص منها ، أو فى شوق الى طمأنينة لا نعلم متى تنتهى اليها .

هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا أو أفكارنا فى السلوك بها فى عالم الغيب ؟ هل فيما بين أيدينا من الشاهد معالم نهتدى بها الى الغائب ؟ و هل فى طرق الفكر ما يوصل كل أحد إلى معرفة ما قدر له فى حياة يشعر بها ، و بان لا مندوحة عن القدوم عليها ، و لكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما أعد له فيها ، والشئون التى لا بد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه ، أو الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشئون ؟

هل فى أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات و الأعمال ، و ذلك الكون مجهول لديك ، و تلك الحياة فى غاية الغموض بالنسبة اليك ؟ كلا فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة فى نظر العقل و مرامى المشاعر ، و لا اشتراك بينهما الا فيك أنت ؟ فالنظر فى المعلومات الحاضرة ، لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة .

أفليس من حكمة الصانع الحكيم ، الذى أقام أمر الإنسان على قاعدة الارشاد و التعليم ، الذى خلق الانسان ، و علمه البيان ، علمه الكلام للتفاهم ، و الكتاب للتراسل ، أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يعدلها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه ، و هو أعلم حيث يجعل رسالته ؟ يميزهم بالفطر السليمة ، و يبلغ بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بانوار علمه ، و الامانة على مكنون سره ، مما لو انكشف

لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه ، أو ذهبت بعقله جلالته و عظمته ، فيشرفون على الغيب باذنه ، و يعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، و يكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين : نهاية الشاهد و بداية الغائب ، فهم فى الدنيا كانهم ليسو من أهلها ، و هم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها ، ثم يتلقون من أمره أن يحدثوا عن جلاله و ما خفى عن العقول من شئون حضرته الرفيعة بما يشاء أن يعتقده العباد فيه ، و ما قدر أن يكون له مدخل فى سعادتهم الاخروية ، أن يبينوا للناس من أحوال الآخرة ما لا بد لهم من علمه ، معبرين عنه بما تحصله طاقة عقولهم ، و لا يبعد عن متناول افهامهم ، و ان يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم و كبح شهواتهم ، و تعلمهم من الأعمال ما هو مناط سعادتهم و شقائهم ، فى ذلك الكون المغيب من مشاعرهم بتفصيله اللاصق علمه باعماق ضمائرهم فى اجماله . و يدخل فى ذلك جميع الأحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة و باطنة . ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات . حتى تقوم بهم الحجة ، و يتم الاقناع بصدق الرسالة ، فيكونون بذلك رسلا من لدنه الى خلقه مبشرين و منذرين .

لا ريب ان الذى أحسن كل شئ خلقه ، و أبدع فى كل كائن صنعه و جاد على كل حى بما اليه حاجته ، و لم يحرم من رحمته حقيرا و لا جليلا من خلقه ، يكون من رافته بالنوع الذى احاد صنعه ، و اقام له من قبول العلم ما يقوم مقام المواهب التى اختص بها غيره أن ينقذه

من حيرته و يخلصه من التخبط فى اهم حياته . و الضلال فى افضل حاليه ·

يقول قائل : و لم لم يودع فى الغرائز ما تحتاج اليه من العلم . و لم يضع فيها الانقياد الى العمل و سلوك الطريق المـؤدية الى الغاية فى الحياة الأخرى ؟ و ما هذا النحو من عجائب الرحمة فى الهداية و التعليم ؟ و هو قول يصدر عن شطط العقل . و الغفلة عن موضوع البحث . — و هو النوع الانسانى — ذلك النوع على ما به . و ما دخل فى تقويم جوهره من الروح المفكر ، و ما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف افراده ، و ان لا يكون كل فرد منه مستعدا لكل حال بطبعه و ان يكون وضع وجوده على عماد البحث و الاستدلال فلو الهم حاجته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع . بل كان اما حيوانا آخر كالنحل و النمل ، أو ملكا من الملائكة ليس من سكان هـذه الارض ·

الملاحظة : الاقتباس من رسالة التوحيد (تاليف) الأستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) من صفحة ٨٩ — ٩٥

للاستاذ بهى الخولى

اذ قال ربك للملائكة : انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . (١)

نشأة الحياة :

تعرض القرآن الكريم لبدء الحياة فى هذه الأرض فقال سبحانه : و الله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه . و منهم من يمشى على رجلين . و منهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير . (٢)

و هذا الذى قرره القرآن منذ قرون و اجيال يقرره العلماء الآن ؛ اذ يقولون ان اول حيوان وجد فى هذه الأرض . انما وجد فى الماء

(١) ص — ٧٤ (٢) النور — ٤٥

فى صورة خلية ضئيلة جدا ، تحمل سر الحياة القابلة للنمو و التكاثر و التطور و بتكاثر هذه الخلية الضئيلة كثر ما يعيش فى الماء من الاحياء و تطورت هـــذه الاحياء فصارعت انواعا و اجناسا و فصائل و ظلت تعيش فى الماء ما شاء لها الله . ثم بدا بعضها يدرج منه الى وجه الارض عليه - - و تاقلم ذلك الذى درج الى سطح اليابس ، و تكاثر و تطور ، فكان منه ما نعرف من انواع الحيوان و ما لا نعرف مما انقرض نسله و غبر عهده ، ذلك ما يقرره القرآن ، و يقرره العلم عن بدء الحياة فى هذه الارض ، و هو تقرير يدل على ان الارض عرفت كثير من انواع الاحياء المائية و البرية قبل ان تعرف هـذا الانسان الذى يسكنها الآن بما لا يحصيه لا الله من الدهـــور - - فلما خلق الله سبحانه آدم كانت الارض حافـــلة باصناف النبات و الطير و الدواب ، و لم يامره سبحانه بالهبوط اليها الا بعد ان علمه اسماءها و خواصها و سر تذليلها و الانتفاء بها ، و اليه الاشارة بقوله عز و جل : و علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم عـــلى الملائكة ، فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين (١)

صلة آدم بمن سكنوا الارض قبله

و ليس فى نصوص القرآن التى وردت عن نشأة الحياة فى هـــذه الارض و تطورها نص قطعى يدل على ان الانسان الحالى انحدر من سلالات تلك الاحياء القديمـــة و تطور حتى صارت الى مـا هو عليه الآن و ليس فى العلم كذلك نص يقينى يقرر ذلك - - و كل ما هنالك

(١) البقرة ـــ ٣١

ان لدى علماء الجيولوجيا علما عن بقايا عظام قديمة لامم سكنت هذه الارض منذ عصور موغلة فى القدم تخالف عظام الآدميين الموجودين عليها الآن - - قال استاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار : (و الجيولوجيون يسمون الامة التى كانت تسكن الارض قبل هذا الجنس الآدمى مباشرة بالانسان (التياندرتالى) و ان ذلك الجنس قد باد عن وجه الأرض راجع مقالة بشان هذا فى البلاغ المخصوص ١٥ مايو سنة ١٩٣٤) اه ٠

و قد راى بعض الباحثين فى قصة آدم ان يناقشوا (نظرية داروين) التى تقول ان الانسان اصله قرد ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار الى ما هو عليه الان . و ليس اصله آدم كما تقول النصوص الدينية - - و ردوا بان تلك النظرية لم تزل موضع البحث ، و لم تبلغ مرتبة العلم اليقينى بعد ، ذلك الى ان لها مؤيدين و معارضين . بل ان من فلاسفتهم من يذهب الى عكسها فيقول ان القرد اصله انسان انحدر الى الحالة التى هو عليها بل ان داروين نفسه يقرر ان هناك حلقة مفقودة بين القرد و الانسان .

و يقول استادنا الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله ، فاذا وصل اصحاب هذه النظرية الى الأدلة القاطعة التى تجعل هذه القضية بديهية تساوى فى بداهتها ، السماء فوقنا و الأرض تحتنا ، كان لزاما علينا ان نؤمل القرآن ليوافق الواقع كما هى القاعدة القائلة ان القرآن يوخذ على ظاهره بدون تاويل الا اذا منع من ذلك مانع فيعمد الى تاويله ٠

و ارى ان ذلك لو حصل — وهو بعيد جدا — فان مرونة آيات

الكتاب الكريم و اعنى بالمرونة سعة آفاقها تغنينا عن التاويل الذى يتوقعه استاذنا الكبير رحمه الله . او على الأقل سيكون التاويل من القلة بحيث لا يبلغ الدرجة التى يتصوره القارى من عبارة الاستاذ التى نقلناها .

و من رجع الى الايات التى تتحدث عن بدء خلق الانسان يقتنع بما نقول و نكتفى عن ايرادها كلها بايراد قوله سبحانه « ذلك عالم الغيب و الشهادة العزيز الرحيم ، الذى احسن كل شئ خلقه و بداء خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة قليلا ما تشكرون »(١)

فالمرونة التى ترى فى هذه الاية الكريمة و غيرها كفيلة باقراء العقيدة التى ارساها الدين فى قلوبنا ، و لا خوف عليها مما ياتينا به هؤلاء .

على أن ذلك مبحث لا يعود علينا بشئ من النفع فى دنيانا و لا فى آخرتنا . فالانسان وجد نفسه هكذا على الأرض ، و صلاحه فيها لن يكون إلا بصلاح ما يفعل من خير و ما يبذل فيها من جهد و هو فى آخرته لن يوخذ بما كان من اصله ايا كان هذا الأصل ، اذ لا « يجزى والد عن ولده و لا مولود هو جاز عن والده شيئا » (٢) و رحم الله امرأ شغل نفسه بما يصلح معاشه و معاده . و هذا كلام ربنا سبحانه يقول فيه انه خلق الانسان من طين ، ثم سواه و نفخ فيه من روحه . و هو كلام فيه كل الكفاية لما نريد من خير الدنيا و الاخرة

(١) السجدة - ٦ (٢) طه - ٥٥

عناصر الطين فى الانسان

اما أنه خلق من طين او تراب فذلك مما يؤيده لواقع . و يقره العلم و تثبته التحاليل الكيماوية . فلو انك اخذت قبضة من تراب الأرض الخصبة و اجريت عليها التحليل لوجدتها كذلك تتركب من : (ستة عشر عنصرا) و لو اخذت قطعة من جسم الانسان ، و اجريت عليها عمليات هذا التحليل لوجدتها كذلك تتركب من (ستة عشر عنصرا) هى نفس العناصر التى تتركب منها ترتبة الأرض . و هـذه العناصر هى ما يأتى ، مرتبة بحسب نسبة وجودها فى جسم الانسان :

الاكسيجن ٣ ، ٦٣ ٪ — الكربون ٢٠ ، ٢٠ ٪ — الايدروجن ٩٠ ، ٩ ٪ — النتروجن ٥ ، ٢ ٪ — الكالسيوم ٤٥ ، ٢ ٪ — الفسفورس ١٠٠١ ٪ — الكلور ١٦ ، ٠ ٪ — الفلور ١٤ ، ٠ ٪ — الكبريت ١٤ ، ٠ ٪ — البوتاسيوم ١١ ، ٠ ٪ — الصوديوم ١٠ ، ٠ ٪ — المغنسيوم ٠٧ ، ٠ ٪ — الحديد ٠١ ، ٠ ٪ —

و آثار ضئيلة من كل من : اليود . و السليكون . و المنجنيز ، و و تنتقل هذه العناصر من ترتبة الأرض الى جسم الانسان مما يتناوله المرء من الأطعمة و المأكولات .

و الاطعمة اما نباتية او حيوانية

فالنباتية مؤلفة من العناصر التى ذكرناها . فلو انك اخذت كمية من القمح - مثلا - و حللها كيماويا لوجدتها مؤلفة من العناصر المذكورة . اذ النبات انما يستمد غذائه من تربة الأرض ، اى من نفس هذه العناصر

و الأطعمة الحيوانية مؤلفة من العناصر التى تتالف منها لأطعمة النباتية .
اذ الحيوان يعتمد فى بناء جسمه على النبات .
و عند ما يمـوت الانسان و الحبوان و النبات تبلى أجسامهم و تتحلل الى عناصرها الأولى ، و تعـود الى الأرص ، فثم دورة كامـلة للعنـاصر المذكورة فى الكرة الأرضية ، و صدق الله العظيم : منها خلقنا كم و فيها نعيدكم ، منها نخرجكم تارة اخرى (١)

موعظة

لما قتل عامر بن مروان ابن محمد و نزل فى داره
و قعد عـلى فراشه ، دخلت عليه بنت مروان فقالت له :
يا عامر ! ان دهرا انزل مروان عن فراشه و اقعدك
عليه لقـد ابلـغ فى عظتك .

(١) طـه ٥٥ .

انبـاء عن دار العلوم بديوبند

★ ★ ★

★ جرى الامتحان السنوى فى جميع الأقسام التعليمية شفاهيا من ٢٧ رجب و تحريريا من ٤ شعبان و انتهى فى الثامن عشر من شعبان بعون الله و توفيقه ·

★ قد عاد فى وسط شعبان الى ديوبند صاحب الفضيلة الشيخ مـــولانا محمد طيب مدير الدار من رحلته الى اوربا التى استغرقت خمسين يوما و طاف خلالها البلدان الكثيرة و اجتمع فيهـا بكبار الشخصيات و الجاليات المسلمة و احرى المحادثات الهامة بشأن تدعيم الدعوة الاسلامية فى الاقطار الأوربية كما القى الخطب الدينية و المواعظ النافعة فى الاجتماعات و الحفلات العـامة و الخاصة و ترك وراء رحلته آثارا طيبة يعود نفعها انشاء الله على الاسلام و المسلمين ·

★ انعقدت الدورة السنوية لمجلس الشورى وفق المعتـاد لبحث الشؤن الدراسية فى ٢٠ و ٢١ و ٢٢ شعبان و من اهم الموضوعات التى

نالت اهتمام المجلس فى هذه المرة هو تعديل المنهج الدراسى و صوغه فى قالب جديد يلايم الى حد ما مقتضيات العصرفالمنهج الجديد الذى قرره المجلس بصورة نهائية سيكون نافذ المفعول من شهر شوال سنة ٩١هـ (العام الدراسى الجديد) و مدته ثمان سنوات عدا اقسام التكميل الأربعة فمدة كل واحد منها سنة واحدة . و هى : تكميل التفسير - تكميل الدين - تكميل الأدب - تكميل العلوم العقليـــة .

● اقترح مجلس الشورى اقامة مطبعة بالحروف الجديدية خصيصا للدار نظرا الى الحاجة الماسة اليها ، و ستبحث اللجنة الخاصة لهذا الغرض الاجراءات اللازمة لها ثم تقدم توصياتها الى مجلس الشورى لكى يتخذ فى ضوئها القرار النهائى ، و ليس يخاف ان هذا المشروع العظيم يحتاج الى تمويل و مساعدة فعالة .

● انعقد الحفل العام السنوى للنادى الأدبى فى ١١ رجب تحت رئاسة سماحة الشيخ نصير احمد خان المحترم نائب مدير الدار و دعى اليه كضيف خاص الأستاذ وحيد الدين خان رئيس تحرير جريدة الجميعيـــة الأسبوعية . و كان الحفل كسابقه ممتازاً فى برمامجه و تنسيقه و جميـــع شكلياته و معنوياته . القى الطلبة من مختلف المستويات التعليمية خطبا و مقالات و قصائد و محادثات و مفاخرات و ما الى ذلك من انواع البيان . و كان البرنامج كله باللغة العربية ، و قد تاثر الحاضرون كثيرا بروعة ما سمعوا و ما رأوا و ازداد اقبال الطلبة على تعلم اللغة العربية و التمرن عليها كلغة حية ناطقة .

● يجرى العمل على قدم و ساق فى اقامة مبنى فخم للطلاب الأفريقيين الذى يسمى بافريقا منزل (الرباط الافريقى) امام الكلية الطبية فى رقعة واسعة ، فى الجهة الشمالية من الدار و سيتم انشاء الله فى القريب العاجل .

● و من جملة الضيوف الزائرين للدار فى الفترة الماضية الاستاذان اليابانيان الذان وصلا الى الدار فى ٧ سبتمبر الماضى أحدهما استاذ الاردية و آخرهما استاذ التاريخ فى جامعة طوكيو . يابان و كانت تصحبهما سيدة عالمة . قاموا جميعا بجولة فى الدار و اطلعوا على نظامها التعليمى و خدماتها العلمية و الدينية و تاثروا كثيرا و اظهروا كبير اعجابهم و تقديرهم لمجهودات دار العلوم فى حقل العلم و الدين و الدعوة .
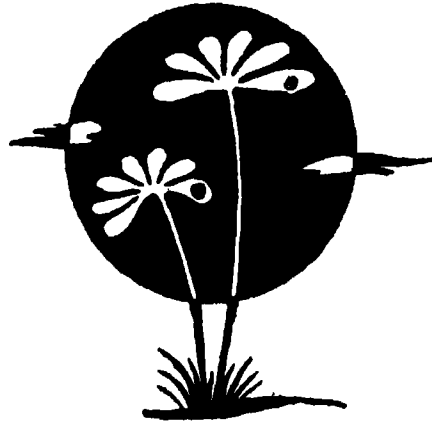
DAWATULHAQ

Daululoom Deoband - U. P. (India)